

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

قصة موسى عليه السلام مع فرعون بين القرآن والتوراة
"دراسة مقارنة"

إعداد

نضال عباس جبر دويكات

إشراف

الدكتور محمد حافظ الشريدة

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات
العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2006م



Handwritten signature in blue ink.

قصة موسى عليه السلام مع فرعون بين القرآن والتوراة
"دراسة مقارنة"

Handwritten signature in blue ink.

إعداد

نضال عباس جبر دويكات

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ: 5 / 3 / 2006م وأجيزت.

التوقيع

أعضاء لجنة المناقشة

Handwritten signature in blue ink.
محمد حافظ صالح الشريدة
التوقيع

- د. محمد حافظ الشريدة / رئيساً

Handwritten signature in blue ink.

- أ. د. حلمي كامل عبد الهادي / عضواً

Handwritten signature in blue ink.

- د. خالد علوان / عضواً

الإهداء

إلى والديَّ اللذين ربباني فأحسننا تربيتي

إلى المجاهدين المرابطين

إلى روحيَّ جدتي وعمي الطاهرتين

إلى زوجتي الوفية

إلى أبنائي عباس وأمل

إلى هؤلاء جميعاً أهدى هذا العمل

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، حمداً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

انطلاقاً من قوله صلى الله عليه وسلم: ((من لا يشكر الناس لا يشكر الله عز وجل))⁽¹⁾

وقوله: ((إنَّ أشكر الناس لله أشكرهم للناس))⁽²⁾، فإنني من هذا المقام أتقدم بخالص شكري وتقديري لأستاذي الفاضل الدكتور محمد حافظ الشريدة، الذي أعطاني من علمه ووسعني بقلبه، فوجّهني خير توجيه، فأسأل الله له العفو والعافية، في الأولى والآخرة، وأسأله تعالى أن يجزل له في عطائه، وأن يرفع درجته، إنه سميعٌ مجيب.

كما أتوجه بجزيل الشكر للأساتذة الأفاضل:

فضيلة الدكتور: حلمي كامل عبد الهادي.

وفضيلة الدكتور: خالد علوان.

الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الرسالة

والحمد لله رب العالمين

(1) أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني، مسند الإمام أحمد، (233/18)، حديث رقم (11703)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(2)، 1999م.

(2) المرجع السابق، (166/36)، حديث رقم (21846).

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
ت	الإهداء
ث	شكر وتقدير
ج	فهرس الموضوعات
د	ملخص البحث
1	المقدمة
4	الفصل الأول: مدخل لقصة موسى عليه السلام مع فرعون
5	المبحث الأول: موسى وفرعون في كتاب الله
5	موسى في القرآن
5	فرعون في القرآن
6	لمحة موجزة عن موسى عليه السلام
8	لمحة موجزة عن فرعون
16	الأحداث الرئيسية لقصة موسى مع فرعون في القرآن
16	المبحث الثاني: ملامح عامة حول قصة موسى مع فرعون في التوراة
16	التوراة معنى ودلالة
16	الأسفار التي وردت فيها قصة موسى مع فرعون
15	الأحداث الرئيسية للقصة في سفر الخروج
18	المبحث الثالث: شخصية موسى عليه السلام بين القرآن والتوراة
18	التكريم الرباني لموسى عليه السلام في القرآن
22	موسى عليه السلام في وصف التوراة
25	المبحث الرابع: الشخصية الفرعونية بين نصوص القرآن والتوراة
25	بعض صفات فرعون المنفق عليها بين الكتابين
28	نماذج لبعض الصفات المختلف عليها بين الكتابين
31	الفصل الثاني: موسى مع فرعون من الميلاد إلى البعثة
32	المبحث الأول: مع موسى من الميلاد إلى البعثة في كتاب الله
32	ولادة موسى وطفولته في القرآن
37	مع موسى في زهرة الشباب
40	التكليف بالرسالة

46	المبحث الثاني: موسى مع فرعون من الميلاد إلى البعثة في التوراة
46	ولادة موسى وطفولته في التوراة
48	طبيعة العلاقة بين موسى وفرعون في مرحلة الشباب
49	التكليف بالرسالة في نصوص التوراة
54	المبحث الثالث: مقارنة لأحداث هذه المرحلة بين القرآن والتوراة
54	المتفق عليه بين الكتابين من أحداث هذه المرحلة
60	أوجه الاختلاف بين الكتابين في هذه المرحلة
60	أولاً: الاختلاف في حقيقة الله وصفاته
63	ثانياً: المختلف عليه من أحداث هذه المرحلة بين الكتابين
73	الفصل الثالث: مرحلة الدعوة ومواجهة فرعون
74	المبحث الأول: موسى ودعوة فرعون في كتاب الله
75	اللقاء الأول وعرض الرسالة
76	رد فرعون على موسى
77	محاورة في أمر الربوبية
82	إجتماع فرعون بالسحرة
83	اللقاء الموعود وإيمان السحرة
86	المؤامرة على موسى وقومه
88	مؤمن آل فرعون
93	نشاط موسى الدعوي في تلك المرحلة
96	تسليط العذاب على فرعون وقومه
103	قارون يناصر فرعون على موسى وقومه
107	الجزاء من جنس العمل
107	المبحث الثاني: مشاهد المواجهة في التوراة
110	اللقاء الأول مع فرعون
110	ميثاق الله مع بني إسرائيل
112	تقديم المعجزات أمام فرعون
113	سخط الله على فرعون وقومه
114	الرب يوجه ضربة قاصمة للمصريين
118	المبحث الثالث: الدعوة ومواجهة فرعون بين القرآن والتوراة

الصفحة	الموضوع
122	أوجه الاتفاق بين الكتابين في مرحلة الدعوة
125	أوجه الاختلاف بين الكتابين في مرحلة الدعوة
139	الفصل الرابع: الخروج في القرآن والتوراة
140	المبحث الأول: الخروج في القرآن
141	الخروج معنى ودلالة
142	الخروج مطلب أساسي في دعوة موسى
142	زمن و مكان الخروج
143	أمر الله لموسى بالخروج
144	مطاردة موسى وأتباعه
147	المواجهة الأخيرة بين موسى وفرعون
147	معجزة النجاة
148	اللحظات الأخيرة في حياة الطاغية
150	إزهاق الروح وإنجاء البدن
151	خاتمة القصة في القرآن
153	المبحث الثاني: الخروج في التوراة
153	مدّة إقامة الإسرائيليين في مصر
153	عدد بني إسرائيل أثناء الخروج
153	طريق الخروج حسب رواية التوراة
155	أصحاب النفوس المريضة
158	المبحث الثالث: الخروج بين القرآن والتوراة
159	أوجه الاتفاق بين القرآن والتوراة في حديثهما عن الخروج
163	أوجه الاختلاف بين الكتابين في حديثهما عن الخروج
168	الخاتمة وأهم النتائج
170	فهرس المصادر
182	فهرس الآيات الكريمة
194	فهرس الأحاديث الشريفة
195	فهرس التراجم والأعلام
B	ملخص الرسالة بالإنجليزية

قصة موسى عليه السلام مع فرعون بين القرآن والتوراة

"دراسة مقارنة"

إعداد

نضال عباس جبر دويكات

إشراف

الدكتور محمد حافظ الشريدة

الملخص

بيّنت في هذه الدراسة أحداث قصة موسى عليه السلام مع الطاغية فرعون في كل من القرآن والتوراة، وقمت بعقد مقارنة بين أحداث القصة في الكتابين، مبيّناً أن التوراة تتفق مع القرآن في بعض الجوانب، كرسم ملامح القصة العامة، ولكنّ اختلافهما كان أوسع وأشمل عند الحديث عن الجانب التفصيلي لأحداث القصة، كما ويتضح للقارئ أن القرآن يركز على مواطن العبرة والعظة في القصة، ولا يركز على الجانب التفصيلي الذي يخرج عن هذا الهدف، بينما تركز التوراة على السرد التاريخي التفصيلي وإن خرج عن مواطن العبرة والعظة، وقد بيّنت التكريم الرباني لكليم الله موسى عليه السلام في القرآن، والإساءة المتكررة له في نصوص التوراة، وبيّنت صبر موسى وثباته في وجه جبروت فرعون وطغيانه، ومن خلال هذه الدراسة يتبين للقارئ كثرة التحريف والتزييف في التوراة، لما فيها من تعد على الله

وعلى رسوله موسى عليه السلام، ووصفهما بأوصاف لا تليق بمقام الألوهية والنبوة، وفي هذا إشارة لانحراف اليهود في نظرهم للإله والرسول الكرام.

وقد جعلت فهرساً للموضوعات، وفهرساً للآيات القرآنية وآخر للأحاديث النبوية الواردة في الرسالة، وترجمت لبعض الأعلام ممن تقتضي الحاجة أن أترجم لهم، وجعلت فهرساً للمصادر والمراجع. والله أسأل أن يجعل ذلك في ميزان حسناتي يوم ألقاه، إنه سميع مجيب.

المقدمة

الحمد لله العفوُّ الأكرم، الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية والمهيمن عليها، وإنّ من تمام هيمنته عليها أن يكشف الكثير من جوانب التحريف والتغيير التي أُدخلت على تلك الكتب، ومن هذه الجوانب التي وقع فيها التحريف والتغيير قصص الأنبياء السابقين، خصوصاً قصة كليم الله موسى عليه السلام، وهذه التحريفات تضمنت الطعن في عقيدة موسى ورسالته بالإضافة إلى رميه بالعيوب المنفرة في جسده، وقد اخترت هذا الموضوع "قصة موسى عليه السلام مع فرعون بين القرآن والتوراة دراسة مقارنة"، لأكشف هذه الطعون وأفندها، ولقد قام المفسرون وبعض كتّاب التاريخ بعقد مقارنة لبعض جزئيات هذه القصة بين القرآن والتوراة، مبيّنين أوجه الاتفاق والاختلاف بين الكتابين في إيرادهما للقصة، إلا أنّ حديثهم عن هذا الموضوع جاء مفزقاً ومشتتاً في تفاسيرهم وكتبهم، وقد قمت في بحثي هذا بجمع جزئيات هذا الموضوع مع إضافة بعض التعليقات والتحليلات، وأرجو من الله أن أكون قد وفقت لإخراج مادة مستقلة تتناول الموضوع من شتى جوانبه المختلفة، وقد قسّمت هذا الموضوع إلى مقدمة وأربعة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول: مدخل لقصة موسى عليه السلام مع فرعون

الفصل الثاني: موسى مع فرعون من الميلاد إلى البعثة

الفصل الثالث: مرحلة الدعوة ومواجهة فرعون

الفصل الرابع: الخروج في القرآن والتوراة

ولا بُدَّ من الإشارة إلى أنني قمت في كل فصل من هذه الفصول ببيان أحداث القصة كما جاءت في القرآن ثم بعد ذلك أبينها كما جاءت في التوراة، ثم أقوم في نهاية الفصل بعقد مقارنة بين أحداث القصة في كلا الكتابين مبيناً أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما.

هذا وقد وقع اختياري على هذا البحث للأسباب التالية:

1- بيان الكثير من الحقائق عن سيدنا موسى عليه السلام كما عرضها القرآن، والتي قد

تخفى على كثير من الناس بسبب الروايات التي منبعها الإسرائيليات.

2- عدم تعرض العلماء لهذا البحث قصة موسى عليه السلام مع فرعون بين القرآن

والتوراة دراسة مقارنة بشكل تفصيلي، وعدم إفراده في مصنفات خاصة تسهّل على

الباحث الرجوع إليها والاستفادة منها بشكل تفصيلي.

3- لقد جاء اختياري لهذا الموضوع قبل كل شيء خدمة لكتاب الله عز وجل، وطلباً

لرضوانه، ولكشف الحقيقة التي تقتضي الإنصياح لهذا الدين والتمسك به، بهدف

الخلاص من الهلاك والفوز بالخير كله.

وقد اعتمدت منهجية علمية في كتابة هذا الموضوع، وذلك من خلال:

1- الرجوع إلى المصادر والمراجع في توفير المادة ذات الصلة بالموضوع، حيث قمت

بتجميع نصوص القرآن الخاصة بقصة موسى عليه السلام مع فرعون، وما يقابلها من

نصوص التوراة.

2- قمت بدراسة شاملة لأحداث القصة في كلا الكتابين وتحليلها وبيان تعليقات العلماء

عليها.

3- قمت بمقارنة أحداث القصة في كلا الكتابين مبيناً أوجه الاتفاق والاختلاف بين الكتابين

في حديثهما عن القصة.

4- إتباع الأسلوب العلمي في كتابة الأبحاث وذلك عن طريق:

- تقسيم البحث إلى فصول ومباحث ومطالب.
 - توثيق المعلومات بشكل دقيق ونسبة الأقوال إلى أصحابها.
 - توثيق الآيات القرآنية ونصوص التوراة والأحاديث الشريفة وأقوال العلماء بشكل دقيق.
- 5- وضع علامات الترقيم والتشكيل والتصنيف.

وأسأل المولى سبحانه أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الأول

مدخل لقصة موسى عليه السلام مع فرعون

الفصل الأول

مدخل لقصة موسى عليه السلام مع فرعون

المبحث الأول: موسى وفرعون في كتاب الله

المطلب الأول: موسى في القرآن

تُعتبر قصة موسى عليه السلام أكثر القصص وروداً في القرآن الكريم، فقد ذُكرَ موسى في القرآن مائة وستاً وثلاثين مرّة، في أربع وثلاثين سورة⁽¹⁾، وقد حازت سورة الأعراف على النصيب الأكبر من إجمالي هذا العدد، فقد ذكر كليمُ الله موسى فيها إحدى وعشرين مرّة، ثم تلتها سورة القصص بثماني عشرة مرّة، ثم سورة طه بسبع عشرة مرّة، ثم سورة البقرة بثلاث عشرة مرّة، ثم سورتا يونس والشعراء بثماني مرّاتٍ لكلٍ منهما، ثم سورة غافر بخمس مرّات، وتشترك سور النساء والمائدة والأنعام وإبراهيم والنمل وهود والإسراء بنصيب واحد هو ثلاث مرّاتٍ لكلٍ منها، ومرتان في كل من سور الكهف والمؤمنون والأحزاب والصفات والأحقاف، ومرّة واحدة في كل من سور آل عمران ومريم والأنبياء والحج والفرقان والعنكبوت والسجدة وفصلت والشورى والذخرف والذاريات والنجم والصف والنازعات والأعلى⁽²⁾.

المطلب الثاني: فرعون في القرآن

وردَ اسم فرعون في القرآن أربعاً وسبعين مرّة، موزعةً على سبع وعشرين سورة⁽³⁾، وأكثر السور ذكراً له هما سورتا الأعراف وغافر، حيث ذكر في كل منهما تسع مرّات، ثم تلتها سورة القصص بنصيب مقداره ثماني مرّات، ثم سورة يونس والشعراء بست مرّات في كل منهما، ثم سورة طه بخمس مرّات، ثم سورتا الأنفال وهود بثلاث مرّات في كل منهما، وتشترك سور البقرة والإسراء والذخرف والدخان والتحريم والمزمل بذكره مرتين في كل منهما، بينما

(1) عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص854، دار الفكر، ط (4)، 1994م.

(2) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، (270/2)، دار القلم، ط (1)، 1998م، بتصرف.

(3) انظر، عبد الباقي، المعجم المفهرس، ص(654-655)، مرجع سابق.

ذكر مرةً واحدة في كل من سور آل عمران وإبراهيم والمؤمنون والنمل والعنكبوت و"ص" و"ق" والذاريات والقمر والحاقة والنازعات والبروج والفجر⁽¹⁾. ومن خلال استقراء السور التي ورد فيها ذكرُ موسى وفرعون، نجدُ أن السور المكية حازت على العدد الأكبر من إجمالي عدد المرّات التي ذكر فيها موسى وفرعون في كتاب الله، فقد ذكر موسى مائةً واثنتي عشرة مرةً في السور المكية، بينما ذكر في السور المدنية أربعةً وعشرين مرةً، وذكر فرعون ستاً وستين مرةً في السور المكية، بينما ذكر في السور المدنية ثماني مرّات فقط، وهذا يأتي تمشياً مع أسلوب القرآن المكي وأغراضه، والذي يهتم بالجانب القصصي، لأخذ العبرة والعظة، والتخفيف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام، الذين كانوا يعيشون أوضاعاً صعبة تحت وطأة الطغاة المشركين في مكة المكرمة.

المطلب الثالث: لمحة موجزة عن موسى عليه السلام

هو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام⁽²⁾، وموسى اسم علم أعجمي⁽³⁾، وقيل إن اسم موسى مكون من مقطعين هما "مو و شا"، و "مو" إسمٌ للماء في اللغة المصرية القديمة، و"شا" بمعنى الشجر، وقيل إنه سُمي بهذا الإسم لأنه وجد حيث ألقته أمه في النهر، وقيل هو من الكلمة المصرية "مس" ومعناها طفل⁽⁴⁾، وينتسب والدا موسى إلى بيت لاوي بن يعقوب عليه السلام⁽⁵⁾، ومع أنّ قصة موسى هي أكثر القصص وروداً في القرآن، إلا أن اسم والديه لم يذكر صراحة في كتاب الله، وقد ورد ما يدل على أن اسم والده "عمران" في صحيح مسلم، فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى

(1) الخالدي، القصص القرآني، (272/2)، بتصرف، مرجع سابق.

(2) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، قصص الأنبياء، ص258، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، مكتبة دار الثقافة، ط (5)، 1996م، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، م1، (212/1)، دار الرشيد، حلب.

(3) الخالدي، القصص القرآني، (280/2)، مرجع سابق.

(4) طبارة، عفيف عبد الفتاح، مع الأنبياء في القرآن الكريم قصص ودروس وعبر من حياتهم، ص219، مطبعة دار الكتب، ودار العلم للملايين.

(5) الخروج (2/3-1).

الله عليه وسلم أنه قال: "مررت ليلة أسري بي على موسى بن عمران..."⁽¹⁾، أما اسم أمه فلم يذكر في كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد أُشير في كتاب الله وسنة رسوله إلى هارون عليه السلام، أخي موسى، وشريكه في حمل الرسالة وتبليغها، قال تعالى: [وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا]⁽²⁾.

أما بالنسبة لتاريخ ولادة موسى عليه السلام فلا نملك تحديداً دقيقاً له، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن كتب التاريخ مليئة بالإسرائيليات والأخبار التي لا تعتمد على دليل صحيح يتم من خلاله تحديد الزمن الذي ولد فيه كليمُ الله موسى عليه السلام بدقة، ومع ذلك يرى البعض أن موسى قد عاش في القرن الثالث عشر قبل الميلاد⁽³⁾، وكذلك الأمر بالنسبة لتاريخ وفاته، فليس هناك تحديد دقيق للفترة الزمنية التي توفي فيها موسى عليه السلام، وتذكر التوراة أن عمر موسى عند وفاته في زمن النبيه كان مائة وعشرين سنة⁽⁴⁾.

أما بالنسبة للمكان الذي دفن فيه موسى بعد وفاته فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أخبر أنه في ليلة الإسراء والمعراج قد مرَّ على موسى وهو قائمٌ يصلي في قبره عند الكتيب الأحمر⁽⁵⁾، ويُستدل من خلال الأحاديث التي وردت في نفس الشأن أن الكتيب الأحمر الذي يضم قبر موسى يقع على بُعد رمية حجر من الأرض المقدسة، فهو على مشارفها، فقد روى البخاري ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه فقال أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت فرد الله عليه عينه وقال ارجع فقتل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة

(1) انظر مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، (1 / 151)، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات، حديث رقم (267)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، ط(3)، 1983م.

(2) مريم (53).

(3) البار، محمد علي، الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم، ص187، دار القلم والدار الشامية، ط(1)، 1990م.

(4) انظر سفر التثنية (7/34).

(5) انظر الألباني، ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، م(6)، (ج1، ص261)، حديث رقم 2627، مكتبة المعارف للنشر والتعارف والتوزيع، ط(1)، 1996م.

قال أي رب ثم ماذا قال ثم الموت قال فالآن فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية
بحجر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق
عند الكثيب الأحمر⁽¹⁾.

وهذا القبر والكثيب الأحمر ليس في الأرض المقدسة وإنما هو على مشارفها، لأن موسى
توفي قبيل دخول الأرض المقدسة، وهم دخلوها بعده، ويرى البعض أن موسى مدفون بمدين
وهي مدينة بين المدينة وبيت المقدس وقد اشتهر عن قبر بمدينة أريحا عنده كثيب أحمر أنه قبر
موسى عليه السلام، وأريحا من الأرض المقدسة⁽²⁾.

المطلب الرابع: لمحة موجزة عن فرعون

ينتسب فرعون إلى الأسر التي حكمت مصر منذ (3100) سنة قبل الميلاد⁽³⁾، وقيل:
الفرعون بلغة القبط "التمساح"⁽⁴⁾، وفرعون علم على كل من ملك مصر كافراً من العماليق
وغيرهم كما أن قيصر علم على كل من ملك الروم مع الشام كافراً، وكسرى علم على كل من
ملك الفرس كافراً، وتبع علم على كل من ملك اليمن كافراً والنجاشي علم على من ملك
الحبشة⁽⁵⁾، والقرآن الكريم عدل عن ذكر اسم فرعون صراحة إلى لقبه، والسبب هو أن القرآن
هدف إلى إبراز شخصية فرعون بغض النظر عن يمثل هذه الشخصية.

(1) انظر البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، م(2)، (ج4، ص157)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب
وفاة موسى عليه السلام، حديث رقم (3407)، حقق أصولها الشيخ عبد العزيز بن باز، دار الفكر، 1994م.
(2) انظر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (6/546)، دار الكتب العلمية، ط1،
1989م، والخالدي، القصص القرآني، (3/340)، مرجع سابق. الكيالي، عبد الوهاب، موسوعة السياسة، (4/482)،
المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1983م.
(3) أنظر الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، مادة فرعون، ص238، عناية يوسف الشيخ محمد،
المكتبة العصرية، بيروت، ط4، 1998م، مع بعض التصرف، وأنظر عبد الأمير، علي مهنا، لسان اللسان، تهذيب
لسان العرب، لإبن منظور، باب الفاء، مادة فرعون، (2/312)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م.
(4) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، (1/90)، دار إحياء الكتب العلمية.
(5) البار، الله جل جلاله، ص187، مرجع سابق.

وتاريخياً لا نستطيع أن نحدد بدقة الفترة الزمنية التي عاش فيها فرعون موسى للإختلاف السابق في تحديد الفترة الزمنية التي ولد وعاش فيها موسى عليه السلام، ويختار البعض أن ذلك كان في القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

وفرعون موسى هو ذلك الطاغية الذي بعث الله إليه موسى عليه السلام في إشارة إلى قوله تعالى: [**أَذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ**]⁽¹⁾، ولم يكن من الفراعنة أشد غلظة ولا أفسى قلباً ولا أسوأ ملكاً منه، وقد اختلف في اسمه، فقيل إن اسمه مصعب بن ريان، وقيل هو الوليد بن مصعب، وعند أهل الكتاب هو قابوس، والمشهور في كتب التاريخ وأكثر كتب التفسير أن اسمه الوليد بن مصعب وكنيته أبو العباس وقيل أبو الوليد وقيل أبو مُرَّة⁽²⁾، وكانت امرأته تدعى آسية كما جاء في الحديث الشريف (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران...) ⁽³⁾، واختلفت الروايات في نسبه فقيل هو رجل من لخم، وقيل من غيرها من قبائل اليمن، وقيل من العمالقة، وقيل من قبط مصر.

وقد سكت القرآن عن ذلك كله، وهذا ينسجم مع هدف القرآن من إيراد القصة، وهو أخذ العبرة والعظة وليس السرد التاريخي فحسب، والظاهر أن موسى واجه فرعون واحداً وأن فرعون هذا قد عُمرَ زماناً طويلاً، فلا يوجد دليل على أن موسى قد واجه أكثر من فرعون، وبالنسبة لزمان غرقه فليس عندنا ما نعتمده في تحديد ذلك الزمان بدقة وحسبنا أن نقول أن اليوم الذي أنجى الله فيه موسى ومن معه، وأغرق به فرعون وجنده هو يوم عاشوراء، وهو العاشر من مُحَرَّم كما جاء ذلك في الحديث الصحيح (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا اليوم الذي تصومونه فقالوا هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه فصامه

(1) طه (24).

(2) الطبري، أبو جعفر بن محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري، م1ج1(282/1)، تخريج صدقي جميل العطار، دار الفكر، 1995م، والنيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، تفسير غرائب القرآن، ورغائب الفرقان، (282/1)، ضبط وتخريج الشيخ زكريا عميرات، ط، 1 دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

(3) البخاري، صحيح البخاري، م3 (252/6)، كتاب الأضمة، باب الثريد، حديث رقم (5418)، مرجع سابق.

موسى شكرا فنحن نصومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن أحق وأولى بموسى
منكم فصامه

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه⁽¹⁾ وفي هذا تحديد لليوم الذي مات فيه فرعون
وليس السنة بعينها.

أما بالنسبة لمكان غرق فرعون وجنده، فلا يوجد تحديداً دقيقاً للمكان الذي غرق فيه فرعون،
والقرآن يشير إلى أن الله أوحى لموسى أن يسري بعباده، وأن يرحل بهم ليلاً، وأن يقودهم إلى
ساحل البحر، والذي نسميه اليوم البحر الأحمر، مخبراً إياه أن فرعون سيلحق بهم مع جنده
للقضاء عليهم، [وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٰ إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ]⁽²⁾، ويذكر ياقوت الحموي
أن غرق فرعون كان في بحر القلزم، "و القلزم" مدينة قرب مصر، وسمي البحر نسبة إليها،
ويكنى ذلك البحر (بأبي خالد)⁽³⁾، ويرى الشهيد سيد قطب رحمه الله أن مكان غرق فرعون،
وساحل البحر المذكور في قوله تعالى: [فَأَضْرَبَ لَهُمَ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا
مُخَشًى]⁽⁴⁾، هو عند التقاء خليج السويس بمنطقة البحيرات⁽⁵⁾، والله تعالى أعلم.

المطلب الخامس: الأحداث الرئيسية لقصة موسى مع فرعون في القرآن

تناول القرآن الكريم قصة موسى عليه السلام مع فرعون من جوانب متعددة ومتنوعة، ابتداءً
من الظروف التي سبقت مولده وانتهاءً بخروج موسى ومن معه وأتباع فرعون وجنده لهم،
وغرقهم في اليم، وأرى تنميماً للفائدة أن أذكر مجمل أحداث قصة موسى مع فرعون في كتاب
الله بخطوطها العريضة وأن لا أتعرض للتفاصيل، مع الإشارة إلى السور التي ذكرتها، مشيراً
إلى أنني سأفرد لها فصلاً منفرداً إن شاء الله في ثنايا هذه الرسالة عند مقارنة أحداث قصة

(1) انظر مسلم، صحيح مسلم، (765/2)، كتاب الصيام، باب صوم عاشوراء، حديث رقم (1130)، مرجع سابق

(2) الشعراء (52).

(3) ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله، معجم البلدان، (103/1)، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب
العلمية، بيروت.

(4) طه (77).

(5) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (211/6)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط- (7)، 1971م.

موسى مع فرعون من خلال دراستها في القرآن والتوراة، وإنما أردت من خلال هذا العرض أن أضع بين يدي القارئ ملامح عامة حول قصة موسى مع فرعون في كتاب الله، وعرضاً للجوانب التي أشار إليها القرآن عند تناول هذه القصة، وإليك الجوانب الرئيسية في قصة موسى مع فرعون كما جاءت في كتاب الله.

أولاً: الظروف التي سبقت مولده عليه السلام

تحدث القرآن عن الأجواء الصعبة التي عاشها بنو إسرائيل تحت وطأة الطاغية فرعون قبل مولد موسى عليه السلام، وذلك في أكثر من موضع كما في قوله تعالى: [طَسَمَ * تَلَكَّ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ]⁽¹⁾، وفي هذه الآيات وصف لحال بني إسرائيل في ذلك الزمن المظلم، الذي تزامن مع ولادة موسى والذي كانوا فيه تحت حكم الفراعنة الظالمين⁽²⁾.

ثانياً: مع موسى في مرحلة الميلاد

تحدث القرآن عن مولد موسى وإرضاعه، وقد جاء الحديث عن هذا الجانب في سورتي طه والقصص⁽³⁾، وجاءت سورة القصص بتفصيل لأحداث الميلاد، من الإيحاء لأم موسى بإرضاعه وإلقائه في اليم، ووصف لحال أم موسى في ذلك الموقف، وبشرى الله برده لها وأنه سيكون من المرسلين، وكذلك الحديث عن دور الأخت في هذه المرحلة، ودور زوجة فرعون في احتضان موسى، بينما أوجزت سورة طه الحديث عن المولد وذكرته في معرض النعم التي أنعم الله بها على موسى، ولم تهتم سورة طه بتفاصيل هذه المرحلة، وفي السياق القرآني نجد أن علاقة موسى مع فرعون في هذه المرحلة كانت أشبه بعلاقة التبنّي، فقد نشأ موسى في حضن أمه على

(1) القصص (1-4).

(2) عباس، فضل حسن، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ص306، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط (2)، 1992م.

(3) انظر سورة طه (38-40)، وسورة القصص (7-13).

حساب فرعون ونفقته الخاصة، بعد أن زينت له زوجته اتخاذ هذا القرار بعد أن ألقى الله محبة موسى في قلبها.

ثالثاً: مع موسى في مرحلة الشباب

جاء الحديث عن شباب موسى، وطبيعة علاقته مع فرعون في هذه المرحلة في كتاب الله ضمن الحديث عن قضيتين متلازمتين، إحداهما نتيجة للأخرى، وهما قتل موسى الرجل القبطي، وهروب موسى إلى مدين⁽¹⁾، خوفاً من بطش فرعون بعد أن فُضح أمره، وقد تحولت علاقة موسى بفرعون من علاقة التبني إلى علاقة الملاحقة والمطاردة والتربص، وبعد هروب موسى إلى مدين انقطعت هذه العلاقة مدة عشر سنين وهي فترة مكوثه في مدين⁽²⁾، وقد وردت أحداث هذه المرحلة في سورتي القصص وطه⁽³⁾ مع الإشارة إلى أن سورة القصص فصّلت أحداث هذه المرحلة تفصيلاً دقيقاً، بينما أجملت هذه المرحلة في سورة طه.

رابعاً: موسى مع فرعون بعد عودته من مدين.

هذه المرحلة تمثل الجانب العملي في رسالة موسى عليه السلام، وهي مرحلة الدعوة إلى الله ومواجهة فرعون، بعدما صدر الأمر الإلهي لموسى بحمل الرسالة، والذهاب إلى فرعون، ويشار هنا إلى أن الدعوة لم تقتصر على شخص فرعون، وإنما خصّ ذكره لكونه رأس الكفر وهدايته تعني هداية الكثيرين، ونستطيع قراءة أحداث هذه المرحلة في كتاب الله ضمن المشاهد الأساسية التالية:

(1) مدينة على بحر قلزم، محاذية لتبوك، بها البئر الذي استقى منها موسى، وقال الحازمي: مدينة بين وادي القرى والشام، انظر الحموي، معجم البلدان (77/5)، مرجع سابق.

(2) مكث موسى في مدين عشر سنين كما صح ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما كما جاء في الحديث (سأني يهودي من أهل الحيرة أي الأجلين قضى موسى قلت لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله فقدمت فسألت ابن عباس فقال قضى أكثرهما وأطيبهما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال فعل). انظر البخاري، صحيح البخاري، م2، (217/3)، كتاب الشهادات، باب من أنجز الوعد وفعله الحسن، حديث رقم (2684)، مرجع سابق.

(3) انظر طه (40)، والقصص (14-28).

المشهد الأول: موسى معرّفاً بنفسه ذاكراً لمطالبه.

انطلق موسى بعد التأييد الإلهي له، وتمنن الله عليه باستجابة دعائه، وإزالة مخاوفه، والتي كان على رأسها خوفه من انتقام فرعون منه لما حدث منه من قتل القبطي، وطلبه أن يعينه بمعين من أهله، هارون أخيه، فهو يعلمُ منه فصاحة اللسان وثبات الجنان وهدوء الأعصاب⁽¹⁾، انطلق ليعرّف بدعوته ويذكر مطالبه، فأخبر فرعون أنه رسول من رب العالمين، وبيّن الغاية التي جاء من أجلها، وهي إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ورفع الظلم عن بني إسرائيل، وإخراجهم من عبوديته، قال تعالى: [وَقَالَ مُوسَىٰ 'يَفْرَعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ] ⁽²⁾، ونجد أن هذا المشهد جاء مفصلاً في سورة الشعراء بشكل واسع ودقيق.

المشهد الثاني: رد فرعون على موسى.

بعدما سمع فرعون خبرَ موسى ونظر في كلامه، أدرك ما فيه من خطورة على ملكه ونفسه، رفض هذه الدعوة، لأنها تسلبه كل مكاسبه، فذكر موسى بماضيه وخاطبه ممتناً عليه بتربيته في صغره، مذكراً إياه بفعلته التي قتل فيها القبطي⁽³⁾، [قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِّنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ] ⁽⁴⁾

ولم يكتف فرعون بهذا الرد، وإنما شرع يهدد موسى ويتوعده إن لم يكف عن هذه الدعوة بالسجن، [قَالَ لَئِن أَخَذْتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ] ⁽⁵⁾

(1) قطب، الظلال، (2333/4)، مرجع سابق.

(2) الأعراف، (104-105).

(3) الخالدي، القصص القرآني، (405/2)، مرجع سابق.

(4) الشعراء (18-19).

(5) الشعراء (29).

متهماً إياه بالجنون تارة وبالسحر تارة أخرى، [قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ]⁽¹⁾، [قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ]⁽²⁾.

المشهد الثالث: موسى يؤيد كلامه بالمعجزات

بعدما سمع موسى رفض فرعون لدعوته وتهديده إياه بالسجن، قدّم موسى ما أمده الله به من المعجزات دليل صدق على دعواه، [فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ]⁽³⁾، فاتهم موسى بأنه ساحرٌ وتوعده فرعون بأن يأتي بسحر يضاهي سحره ويغلبه، وانفقوا على موعد يحشر فيه الناس ليروا الغلبة لمن، وكان ذلك يوم الزينة وهو أحد أعيادهم.

المشهد الرابع: المواجهة وانهزام الباطل

جاء اليوم الموعود لالتقاء السحرة بموسى، وتدفقت جموعٌ غفيرة على ساحة العرض، وبعد جدال ألقى السحرة عصيهم وحبالهم، فامتلاً المكان بما خيل إليه من سحرهم أنها أفاعي، وابتهج فرعون وظنّ نجاح السحرة، وأوحى الله إلى موسى أن ألق عصاك، فإذا هي حيةٌ تلقف ما يأفكون، فعلم السحرة أن موسى ليس ساحراً، فسجدوا لله رب العالمين، فتهددهم فرعون بتقطيع أيديهم وأرجلهم وصلبهم في جذوع النخل، ولكنهم ثبتوا وصبروا وتوجهوا إلى الله ضارعين أن يثبتهم وأن يتوفاهم مسلمين، ونقرأ أحداث هذا المشهد في سورتي طه والشعراء⁽⁴⁾.

(1) الشعراء (27). الشعراء (34).

(2) الشعراء (32-33).

(3) طه، عفيف، مع الأنبياء في القرآن الكريم، ص230، باختصار وتصرف، مرجع سابق.

(4) انظر طه (56-73)، والشعراء (36-51).

المشهد الخامس: نجات موسى وقومه وهلاك فرعون وجنده

يعتبر هذا المشهد الفصل الأخير في قصة موسى مع الطاغية فرعون، ونستطيع قراءة هذا المشهد بتفاصيله في سورة الشعراء⁽¹⁾.

وبشيء من الإيجاز في سورة طه⁽²⁾، حيث الأمر الإلهي لموسى بالخروج من مصر، فانطلق موسى بقومه سراً من أرض مصر قاصداً فلسطين ليلاً، فعلم فرعون بالأمر، فأرسل إلى أعوانه في الأقاليم كي يجمعوا الناس بعنف ليجهزوا جيشاً ضخماً ليقتفوا أثر موسى وأتباعه⁽³⁾، فلحق فرعون وجنده بهم حتى وصلوا ساحل البحر، فاستولى الذعر على أتباع موسى، وأيقنوا الهلاك، فأوحى الله إلى موسى أن يضرب بعصاه البحر، فانشق الماء وأصبح يابسة، فعبر بنو إسرائيل البحر حتى خرجوا من الجهة المقابلة، فلحق بهم فرعون وجنده، فأطبق الله عليهم البحر، فغرقوا وماتوا جميعاً، وكانت نهاية رحلة العذاب لبني إسرائيل مع الطاغية فرعون.

وقد سطر القرآن اللحظات الأخيرة من حياة الطاغية فرعون في سورة يونس، قال تعالى: [وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتَ بِهِمُ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * ءَأَلْفَنُ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ] ⁽⁴⁾.

وهكذا أسدل القرآن الكريم الستار على أحداث قصة موسى بغرق فرعون وجنده في اليم، وزوال جبروت أشد الطغاة عناداً وكفراً وتبجحاً على الله وخلقهم، لتبدأ بعد ذلك أحداث قصة أشد صعوبة من هذه المرحلة، وهي أحداث قصة موسى مع بني إسرائيل.

(1) أنظر الشعراء (56-66)

(2) طه (77-78).

(3) طبارة، عفيف عبد الفتاح، اليهود في القرآن الكريم، ص166، مراجعة شريف خليل سكر وحسين يوسف غزال، مطابع دار الكتب، بيروت، ط(1)، 1966م.

(4) يونس (90-92)

المبحث الثاني: ملامح عامة حول قصة موسى مع فرعون في التوراة.

المطلب الأول: التوراة معنى ودلالة.

يطلق لفظ التوراة على الشريعة المكتوبة⁽¹⁾، وهي التي أنزلت على موسى عليه السلام، وهي من أقدم الكتب السماوية التي نص عليها القرآن الكريم، ويطلق اسم التوراة أساساً على الأسفار الخمسة الأولى من كتاب العهد القديم، وهي التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية، ويطلق على التوراة كذلك مسميات أخرى مثل الأسفار الخمسة أو أسفار الشريعة والناموس وأسفار موسى الخمسة، وقد يطلق لفظ التوراة على العهد القديم بأكمله من باب إطلاق الجزء على الكل⁽²⁾.

المطلب الثاني: الأسفار التي وردت فيها قصة موسى مع فرعون.

تبين مما سبق ذكره أن التوراة تطلق على الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم، وقصة موسى بشكل عام في جميع مراحلها من ولادته حتى وفاته وردت في كل من سفر الخروج واللاويين والعدد والتثنية، دون الحديث عنها في سفر التكوين، أول أسفار العهد القديم، والذي تناول قصة بدء الخلق حتى وفاة يوسف عليه السلام بأرض مصر⁽³⁾، وقد جاءت أحداث قصة موسى مع فرعون كاملة في سفر الخروج فقط، وقد سُمي بهذا الاسم لتناوله خروج بني إسرائيل من أرض مصر⁽⁴⁾.

المطلب الثالث: الأحداث الرئيسية للقصة في سفر الخروج

تناول سفر الخروج أحداث قصة موسى مع فرعون من ولادته حتى خروجه مع بني إسرائيل وغرق فرعون وجنده، وفيه الحديث عن الأجواء التي ولد فيها موسى والتي توافقت مع

(1) البار، محمد علي، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، ص111، دار القلم والدار الشامية، ط(1)، 1990م.

(2) المرجع السابق، ص31 و ص111-112.

(3) انظر البيشاوي، سعيد وآخرون، دراسات في الأديان والفرق، ص33، دار الاتحاد، الأردن، ط— (1)، 1990، بتصرف.

(4) السقا، أحمد حجازي، نقد التوراة، أسفار موسى الخمسة، ص30، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، 1976م.

اضطهاد فرعون لبني إسرائيل، فقد جعل الفراعنة بني إسرائيل عبيداً لهم، وسخروهم في بناء مدنهم وفوق ذلك كله، فقد أمر فرعون مصر في ذلك الزمان بتذحيح ذكور بني إسرائيل من المواليد الجدد، ويذكر سفر الخروج أن أم موسى وضعت في سبط من البردى⁽¹⁾، وذلك بعدما خافت اكتشاف أمره، ثم ألقته في اليم، وبعد ذلك تحدث سفر الخروج عن دور أخته في مراقبته، وكذلك الحديث عن التقاطه من قبل آل فرعون، ودور ابنة فرعون في رعاية موسى واحتضانه، ومن ثم رجوعه إلى أمّه والعيش في كنفها على نفقة القصر الفرعوني، ومن ثم عودته إلى قصر فرعون ليمضي فيه شبابه، ويذكر السفر كذلك حادثة قتل موسى الرجل القبطي، ودفنه في الرمال، وهروبه إلى مدين خوفاً من بطش فرعون وجنده، بعد أن فُضح أمره، وتحدث السفر كذلك عن قصته مع كاهن مدين وزواجه من ابنته، ومن ثم رجوعه إلى مصر، والمناداة عند جبل حوريب⁽²⁾، وأحداث المواجهة مع فرعون، وخروجه مع بني إسرائيل من مصر، وغرق فرعون وجنده في اليم⁽³⁾، وكانت هذه الحادثة هي نهاية قصة موسى مع فرعون. وقبل الخوض في مقارنة أحداث قصة موسى مع فرعون بين نصوص القرآن والتوراة، رأيت من المجدي أن أقدم للقارئ عرضاً أبين فيه صفات الشخص، وهما شخصية موسى وفرعون كما جاءت في القرآن والتوراة، لما في ذلك من إفادة إن شاء الله.

(1) في إشارة إلى قارب صغير مصنوع من عيدان البردى التي تنمو على ضفاف النيل، والتي تم طلاؤها بالقار لمنع نفاذ الماء منها، انظر ماستر فيديا، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص132، التقريب والجمع التصويري والمونتاج والأعمال الفنية شركة ماستر فيديا، حلوان، مصر.

(2) هو جبل سيناء، انظر المرجع السابق، ص138.

(3) البار، المدخل لدراسة التوراة، ص183، وما بعدها، مرجع سابق.

المبحث الثالث: شخصية موسى عليه السلام بين القرآن والتوراة

المطلب الأول: التكريم الرباني لموسى عليه السلام في القرآن

إن استعراض قصة موسى في القرآن يشكل صورة وضيئة ومشرفة لرجل اختاره الله منذ لحظة ولادته ليكون من أولي العزم من الرسل، حيث تتسم شخصيته بالقوة والصراحة والغضب لله والحب له وفيه، والبغض لمن عاداه وناوأه، مع ثقته التامة بنصرة الله له، ورعايته ودعمه للمستضعفين⁽¹⁾، والقرآن الكريم وصف موسى عليه السلام بالصفات التي تليق بمنزلة رسول اختاره الله تعالى واصطفاه، وهذه أهم الصفات والمكرّمات التي منحها الله لنبيه موسى من خلال آيات القرآن الكريم.

أولاً: موسى مخلصاً ورسولاً نبياً

لعل أهم وأرفع ما وصف به موسى في كتاب الله تعالى اختيار الله له لمنزلة الرسالة والنبوة، وهي منزلة لا تضاهيها منزلة، يصطفي لها الله من يشاء ويختار، [اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ]⁽²⁾، وقد جمع الله له منزلة النبوة والرسالة والاصطفاء في آية واحدة فقال عز من قائل [وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا]⁽³⁾، أي كان موسى مختاراً، إذ كان من الرسل العظام، وأولي العزم، الذين اصطفاهم الله على سائر الخلق و النبيين.

ثانياً: موسى كليم الله

خصَّ الله سبحانه وتعالى نبيه موسى بتكليمه مباشرة دون وساطة، قال تعالى: [وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا]، وفي هذا تشرّيف وتكريم، وقد أكد الكلام بالمصدر "تكليماً"، لبيان أنه أراد

(1) البار، الله جل جلاله، ص 190، مرجع سابق.

(2) الحج (75).

(3) مريم (51).

حقيقة الكلام، والمعنى أن التكليم منتهى مراتب الوحي، وفيه حيازة التكريم والتشريف⁽¹⁾، يقول المفسرون: وقد خص الله موسى بهذه العبارة [وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا]⁽²⁾ ليدل على أنه أوحى لموسى بطريقتين، الأولى: الطريق الذي أوحى بها إلى غيره من الأنبياء، والثانية: الطريقة الخاصة وهي تكليمه مباشرة⁽³⁾، وعلى هذا يكون جمع المراتب العالية، وخلُص إلى المنزلة الرفيعة في التكريم والتشريف وعلى هذا يدل قوله تعالى: [قَالَ يَمُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي]⁽⁴⁾

ثالثاً: موسى مبرأً وجيهاً

ضرب بنو إسرائيل أشنع الأمثلة في إيذاء نبي الله موسى، ومارسوا ضده شتى أصناف الإيذاء، فطعنوا في عقيدته ودينه وأخلاقه، ورموه بالعيوب المنفرة في جسده⁽⁵⁾، فبرأه الله مما رموه به وأثبت لهم سلامته: [وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا]⁽⁶⁾، والوجيه عند الله عظيم القدر، رفيع المنزلة⁽⁷⁾، وقال بعض السلف: كان من وجاهته أنه شفع في أخيه هارون عند الله، وطلب منه أن يكون معه وزيراً، فأجابه الله إلى سؤاله وجعله نبياً.

رابعاً: موسى من الصابرين

قُدِّرَ لموسى أن يخرج من مصر خائفاً يترقب، ولبت في الغربية عشر سنين، ثم قُدِّرَ له أن يُبعث إلى أكثر أهل الأرض جبروتاً وطغياناً، وما أن بلغه دعوته حتى لاقى ما لاقى من السخرية والاستهزاء، وتوَّعه فرعون بالسجن والقتل، ويصبر موسى على هذا كله، ويوجِّه

(1) الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، (414/3)، دراسة وتحقيق مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1999م.

(2) النساء (164).

(3) الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، (2845/5)، طباعة دار أخبار اليوم.

(4) الأعراف (144).

(5) انظر تفصيل ذلك، ابن كثير، قصص الأنبياء، ص400، وما بعدها، مرجع سابق.

(6) الأحزاب (69).

(7) الشوكاني، محمد علي بن محمد، فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، (380/4)، راجعه وعلق عليه هشام البخاري و نصر عكاوي، المكتبة العصرية، صيدا، ط (1)، 1997م.

قومه للإستعانة بالله والصبر حتى يهديهم ويهلك عدوهم، [قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ]⁽¹⁾، وقد صبر موسى على لون آخر من البلاء، لعل نبياً آخر لم يمتحن بمثله، ذلك هو الصبر على أذى قومه، وعناد أتباعه من بني إسرائيل، وكثرة تمردهم وطول عنادهم⁽²⁾، فما أن جاوز بهم البحر بعد نجاتهم من فرعون حتى طلبوا منه أن يجعل لهم إلهاً، وما أن ذهب موسى إلى الطور ليناجي ربه حتى عبدوا من دون الله عجلًا جسداً له خوار، وما أن أمرهم بدخول الأرض المقدسة واعداء إياهم بنصر الله حتى رفضوا ذلك، ولذلك نجد أن جمهور المفسرين في تفسيرهم لقوله تعالى: [فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ]⁽³⁾، يعدون موسى ضمن أصحاب العزم من الرسل الكرام، وذلك لصبره وثباته على دعوته، ولما لاقاه من فرعون ومن صبره على قومه⁽⁴⁾.

خامساً: الغضب لله ونصرة المستضعفين

تظهر آيات القرآن الكريم غضب موسى لربه ودينه ونصرته للمستضعفين، فعندما طلب منه قومه أن يجعل لهم إلهاً من دون الله فوجئ بنسيان قومه معجزة النجاة، وانحراف نفوسهم تجاه الوثنية، وعندها غضب لرب العالمين فهو يغار على الألوهية، ويقول قولته التي تليق بهذا الطلب العجيب: [قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ]⁽⁵⁾، وقد جعل الجهل مبهماً ليكون في إطلاق اللفظ مما يعني الجهل الكامل الشامل، فقد وصل جهلهم بطلبهم هذا أقصى درجاته، ويظهر غضبه الله أكثر وضوحاً في قصة عبادة بني إسرائيل للعجل من دون الله، فما أن أخبر الله موسى أن قومه عبدوا عجلًا من بعده، حتى رجع غاضباً أسفاً، وما أن وصل إليهم حتى دفعه الغضب الذي أخذ عليه كل مأخذ إلى جذب هارون بقوة وأمسك شعره وجره إليه، معاتباً إياه، منادياً له باسمه من شدة غضبه مع أنه أكبر منه سناً، [وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا

(1) الأعراف (128).

(2) القرطبي، يوسف، الصبر في القرآن الكريم، ص87، وما بعدها، مؤسسة الرسالة، ط (2)، 1984م.

(3) الأحقاف (35).

(4) انظر البيضاوي والنسفي والخازن وابن عباس، ضمن كتاب مجموعة من التفاسير، (494/5)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(5) الأعراف (138).

خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ^طأَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ^طوَأَلْقَى الْأَلْوَا حَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ ^طإِلَيْهِ ⁽¹⁾ وما هذا إلا من شدة غضبه لربه ودينه، كما وتظهر آيات القرآن خلقاً كريماً آخر يوصف به كليم الله موسى، فهو على استعداد في كل أحواله وأوقاته لنصرة المستضعفين فيها هو يساعد الإسرائيلي المستضعف من القبطي الموالي للطاغية فرعون، وذلك بعدما استغاثه الإسرائيلي لضعفه، وها هو يقدم مساعدة للجانب الضعيف عندما ورد ماء مدين ووجد امرأتين تمنعان أغنامهما من ورود الماء لئلا تختلط مع غنم الرجال، أو لئلا يختلطن مع الرجال فمد موسى يد المساعدة لهما وسقى لهما أغنامهما.

سادساً: القوي الأمين

وصف الله تبارك في علاه نبيه موسى على لسان إحدى الفتاتين اللتين سقى لهما أغنامهما عندما ورد ماء مدين بأنه قوي أمين وذلك في قوله: [قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ ^طإِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ⁽²⁾؛ ويذكر البغوي أن الآية جمعت لموسى صفتي القوة والأمانة، وقال بعض أهل العلم: وصف بالقوة لما رأت الفتاتين من قوته في سقايته الأغنام ومزاحمته للرعاة على بئر مدين، ولرفعه صخرة على البئر لا يستطيع أن يرفعها إلا العدد الكبير من الناس، وتظهر قوته جلية واضحة عندما وكز القبطي وكزة خفيفة فقضى عليه، والأمانة صفة خلقية يتجلى بها من جمع الله له الخير، وتظهر أمانة موسى عليه السلام في أكثر من موضع في القرآن الكريم، فكان أميناً على الأعراس عندما سقى للفتاتين أغنامهما احترازاً للإختلاط بالرجال، وحينما جاءت ابنة الرجل تدعوه لبيت أبيها وكانت تمشي أمامه والريح تضرب ثوبها فتصف جسمها فكره موسى ذلك وأمرها أن تمشي خلفه، وقد كان أميناً في عمله عندما وفى الأجل الذي اتفق عليه مع والد الفتاتين مقابل زواجه من إحداهما مما يدل على وفائه وأمانته ⁽³⁾.

(1) الأعراف (150).

(2) القصص (26).

(3) البغوي، أبو محمد بن مسعود الفراء، تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، (380/3)، دار الكتب العلمية، بيروت ط(1)، بتصرف.

سابعاً: الواثق بنصر الله

عندما اقترب فرعون وجنوده من موسى والذين آمنوا معه، وتقابل الفريقان وجهاً لوجه، ولم يبق أمام بني إسرائيل سوى أن يقعوا في يد الطاغية فرعون، لينكل بهم، ويسومهم سوء العذاب، وإما الموت غرقاً في اليم، ساءت بهم الظنون، وكاد اليأس يطغى عليهم، وقد وصف تعالى حالهم فقال: [فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَائِلًا أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ]⁽¹⁾، وعندما جاء جواب الواثق بالله [قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ]⁽²⁾، لقد كان موسى في حالة نفسية تغاير كلياً حالة الذين معه، لقد كان في غاية الاستقرار النفسي، فمعية الله التي يستشعر بها موسى سكبت في قلبه الأمن والأمان، وذكر أتباعه بهذه المعية التي تتم عن ثقة عالية بالله، وأن الله لن يمكن فرعون منهم، وأنه سيهديهم إلى طريق النجاة.

أقول: وليست هذه الصفات التي ذكرتها سابقاً هي الصفات الوحيدة لموسى عليه السلام في كتاب الله، وإنما هي كثيرة يطول الحديث عنها وإنما اخترت جملة منها لبيان الغرض، وهو التكريم الرباني لموسى في القرآن الكريم، وأن وصف موسى في كتاب الله كان وصفاً لائقاً بمكانة نبي مقرب من أنبياء الله عليهم السلام.

المطلب الثاني: موسى عليه السلام في وصف التوراة

القارئ المتبصر لقصة موسى في التوراة يجد التباين الواضح والتناقض الصريح لشخصية موسى في نصوص التوراة، والذي استحق غضب الرب بعدما خاصمه واتهمه بالخيانة، وتارة أخرى يوصف بأنه كليم الله ونبيه، وكل هذا يعكس سوء الأدب الذي تخلق به بنو إسرائيل تجاه الله وأنبيائه خصوصاً كليم الله موسى وسأعرض أهم المطاعن التي طعن بها موسى من خلال نصوص التوراة لأبين للقارئ مدى الإيذاء الذي وقع لموسى ممن زعموا محبته وادعوا تكريمه وطاعته.

(1) الشعراء (61).

(2) الشعراء (62).

أولاً: موسى يخون الرب ولا يؤمن به

تتسبب التوراة إلى موسى عدم الإيمان بالله، بل وتسجّل عليه الخيانة التي كان ثمنها أن حرّمت عليه أرض فلسطين⁽¹⁾، تقول التوراة في حق موسى وأخيه هارون (لأنكما خنتماني في وسط بني إسرائيل)⁽²⁾، وماذا بقي لموسى عليه السلام بعدما خان ربه ولم يؤمن به!!!

ثانياً: موسى يُعاتب الربّ ويستحق غضبه

كثيرة هي المواضع التي تذكر فيها التوراة عتاب موسى لربه وتقريعه إياه، وكأنه يعاتب بشراً مثله، دون النظر إلى قدسية الله، ومنها ما جاء على لسان موسى لربه كما تزعم التوراة، (يا سيد لماذا أسأت إلى هذا الشعب؟ لماذا أرسلتني؟ فإنه منذ دخلت إلى فرعون لأتكلّم باسمك أساء إلى هذا الشعب وأنت لم تخلص شعبك)⁽³⁾، وبذلك استحق موسى حسب زعمهم غضب الرب وطرد من رحمته حيث تقول التوراة: (فالآن اذهب وأنا أكون معك وأعلمك ما تتكلم به، فقال موسى: إستمع أيها السيد أرسل بيد من ترسل، فحمي غضب الرب على موسى)⁽⁴⁾.

ثالثاً: موسى متردداً في قبول التكليف

تصور التوراة موسى عندما تلقى الأمر الإلهي بالذهاب إلى فرعون، وتبليغ الرسالة بالخوف الشديد والتردد في قبول هذا الأمر فهو يعيش لحظات من الخوف والرهبة، فقد جاء في نصوص التوراة: (هلم أرسلك إلى فرعون، وتخرج شعبي بني إسرائيل من مصر، فيرد عليه موسى مستهجنًا، ومن أنا حتى أذهب إلى فرعون وحتى أخرج بني إسرائيل من مصر؟)⁽⁵⁾.

أقول: وليست هذه الصفات والمطاعن المحرّقة الوحيدة التي تجرأ بها اليهود على نبي الله موسى في التوراة فقط، ولكن أكتفي بسرد هذه الإفتراءات كونها تدل دلالة واضحة على نظرة

(1) أحمد عبد الوهاب، النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، ص48، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1992م.

(2) التثنية (51/32).

(3) الخروج (5) / (22-23).

(4) الخروج (12/4).

(5) الخروج (3) / (10-11).

اليهود لنبي الله موسى، وما رموه به من أكاذيب وأصقوا به من أباطيل، حتى تعطي صورة واضحة لشخصية موسى في التوراة المحرّفة، وبالنظر إليها وإلى ما ورد في المطلب السابق من التكريم الرباني لموسى في القرآن، يستطيع القارئ أن يقارن بين شخصية موسى وصفاته كما وردت في القرآن والتوراة.

المبحث الرابع: الشخصية الفرعونية بين نصوص القرآن والتوراة

الملاحظ عند دراسة شخصية فرعون كما رسمها القرآن الكريم، وكما بينتها التوراة في نصوصها، أننا لا نجد تبايناً واضحاً ولا اختلافاً كبيراً لشخصية فرعون وصفاته بين نصوص القرآن والتوراة، كما هو الحال عند الحديث عن شخصية موسى وصفاته كما هو مبين في المبحث الثالث من هذا الفصل، فجل الصفات التي ذكرها القرآن الكريم والتي وصف بها فرعون، نجد أن التوراة تتوافق مع القرآن فيها إلى حد كبير، وسأقدم عرضاً مبسطاً لبعض الصفات التي توافق ذكر التوراة لها مع ما أثبتته القرآن الكريم في حق فرعون، ثم أقدم عرضاً آخر أبين فيه بعض الصفات التي اختلف إيرادها بين القرآن والتوراة في حق ذلك الطاغية.

المطلب الأول: بعض صفات فرعون المتفق عليها بين الكتابين

إستعباد الآخرين وقتلهم

أشارت آيات القرآن إلى كثير من مظاهر فساد حكم فرعون، وذكرت نماذج من اضطهاده وتعذيبه لبني إسرائيل، ومن هذه الصفات العلو الذي قاده إلى الإستكبار واستعباد الآخرين، وقتيلهم وإذلالهم، قال تعالى: [إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدْبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ⁽¹⁾]، فهذا هو فرعون يستعبد الآخرين ويذلهم لخدمته، ويقتل المواليد الذكور دون رحمة ولا شفقة، ويستبقي الإناث للخدمة والتسخير، ونجد أن التوراة قد سطرت هذه الصفات الإجرامية في نصوصها، تقول التوراة: (فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلّوهم بأثقالهم فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس)⁽²⁾، وفي موضع آخر تبين التوراة إجرام فرعون في حق بني إسرائيل، بتقتيل أولادهم الذكور حيث تقول التوراة: (وكلم ملك مصر قابلي العبرانيين اللتين اسم

(1) القصص (4).

(2) الخروج: (11/1).

إحداهما شفّره والأخرى فوعه وقال: حيثما تولّدان العبرانيات وتنظرانهن على الكراسي، إن كان ابناً فاقتلاه وإن كان بنتاً فتحيا⁽¹⁾.

الإستخفاف بعقول قومه

أخبر القرآن عن فرعون أنه استخف بعقول قومه وتألّه عليهم فقال تعالى: [فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ]⁽²⁾، وقال أيضاً بعد أن جمع القوم: [أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى]⁽³⁾، فقد صادر عقول المصريين وأفهامهم واعتبر نفسه الوحيد الذي ينطق بالحقيقة والهداية والرشد، وما سواه سفهاً لا يؤبه لقوله، ولا يسمع لرأيه، وما ذلك إلا لأن الشعب كان خائفاً ذليلاً ليس من بينهم رجلٌ رشيد، وليس منهم رجل جريء ينطق بالحق، ويتفوه بالصدق⁽⁴⁾، (فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس)⁽⁵⁾، ومن هنا نلاحظ إطاعة المصريين لفرعون في تقتيل أبناء الإسرائيليين واستحياء بناتهم، ثم أمر فرعون جميع شعبه قاتلاً كل ابن يولد تطرحونه في النهر ولكن كل بنت تستحيونها⁽⁶⁾.

الإفساد في الأرض

وصف تبارك وتعالى فرعون في كتابه بقوله: [إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ]⁽⁷⁾، ومظاهر إفساد فرعون كثيرة ومتنوعة، فقد أفسد شعبه أخلاقياً، وذلك بتقتيل الذكور واستبقاء النساء، فزاد عدد النساء على عدد الذكور، فشاع الفساد الأخلاقي، وإذا شاع فساد الأخلاق في

(1) الخروج (1: 15-16).

2 الزخرف (54).

(3) النازعات (24).

(4) محمد أبو فارس، إن فرعون علا في الأرض، ص19، بتصرف، مرجع سابق.

(5) الخروج (11/1).

(6) الخروج (12/1).

(7) القصص (4).

أمّة إنحدرت وضعفت، وصنّفت في قاع الأمم والشعوب⁽¹⁾، كما يظهر إفساد فرعون في قوله [وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا]⁽²⁾، فقد قسم المجتمع على طبقات وهذا العمل جعل الفساد يعمُ في البلاد نتيجة الطبقيّة بين أفراد المجتمع، واستعباد بعضهم البعض، وهذه المظاهر التي تبين فساد فرعون، أشارت إليها التوراة في نصوصها، فبينت التوراة أن فرعون كان يقسم شعبه إلى مسخرين وهم طبقة مميزة مقرّبة، ولها ميزات عن بقية الشعب الذين سُخروا لخدمة فرعون وملئه المقربين (فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يُذلوهم بأثقالهم)⁽³⁾، وها هو فرعون لا يرضى أن يطلق بني إسرائيل من ذلهم وأن يدعهم وشأنهم ويصرُّ على استعبادهم، غير آبه بطلب موسى منه إطلاقهم، حتى بعد ما رأى الآيات والمعجزات عياناً أمام عينيه، (فقال فرعون من هو الرب حتى أسمع لقوله فأطلق إسرائيل؟ لا أعرف الرب وإسرائيل لا أطلقه)⁽⁴⁾.

الاستكبار

لقد أفرط فرعون لعنه الله في استكباره وجوده رسالة موسى، ومما يشهد عليه بذلك أنه قد رأى الكثير من الآيات، وهي لم تكن جملة واحدة، بل كانت متفرقة على فترات زمنية، وتوالي الآيات مرّة بعد مرّة أبلغ في الإعجاز من نزولها مرة واحدة، فقد رأى آيتي العصا واليد في أول مواجهة له مع موسى عندما بلغه رسالته، والتي كان من توابعها الإنتصار على السحرة، وبعدها كان الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، ولكن فرعون بقي على استكباره، وأصر أنه الإله الأوحد، لقد وصف الله حاله بقوله [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهَا فُكَّانًا وَبَنِيَّانَ وَمُؤَدَّبِينَ]⁽⁵⁾، أي أرينا فرعون وعرفناه آياتنا كلها، وأن موسى كان قد عرفه جميع معجزاته، فكذبه فرعون وأبى عليه أن يجيبه للإيمان، وهذا يدلُّ على أن كفر فرعون كفر عناد واستكبار⁽⁶⁾، والتوراة تدلُّ نصوصها على هذه الصفة في شخصية هذا الطاغية، فكلما رأى آية من الآيات الواضحات، يعد موسى

(1) محمد أبو فارس، إن فرعون علا في الأرض، ص13، بتصرف، مرجع سابق.

(2) القصص (4).

(3) الخروج (11/1).

(4) الخروج (2/5).

(5) طه (56).

(6) الشوكاني، فتح القدير، (370/3)، بتصرف، مرجع سابق.

وهارون أن يطلق بني إسرائيل، وبعد أن يكشف الله العذاب الذي سلطه عليه وعلى قومه، يعود فرعون إلى استكباره وجحوده ونكث العهود، تقول التوراة: (طرحوا كل واحد عصاه فصارت العصي ثعابين ولكن عصا هارون ابتلعت عصيهم فأشدت قلب فرعون فلم يسمع لهما كما تكلم الرب)⁽¹⁾، وعندما سلط الله على فرعون وقومه أصناف العذاب من الدم والقمل والضفادع والجراد وغيرها، طلب فرعون من موسى أن يسأل الله أن يرفع ذلك العذاب، وبعد رفع العذاب يعود فرعون تارة أخرى إلى عناده وجحوده، (فدعا فرعون موسى وهارون وقال صلوا إلي الرب ليرفع الضفادع عني وعن شعبي فأطلق الشعب ليذبحوا للرب)⁽²⁾، (فلما رأى فرعون أنه قد حصل الفرج، أغلظ قلبه، ولم يسمع لهما كما تكلم الرب)⁽³⁾.

أقول: واكتفي بذكر هذه الصفات التي اشترك الكتابان بذكرها عند الحديث عن شخصية الطاغية فرعون ليتضح للقارئ أن هذه الشخصية تشترك ملامحها وصفاتها إلى حد كبير بين نصوص القرآن والتوراة.

المطلب الثاني: نماذج لبعض الصفات المختلف عليها بين الكتابين

الحديث عن صفات فرعون التي لا يتوافق ذكر التوراة لها مع ما أثبتته القرآن قليلة بالنسبة للصفات التي اتفق عليها بين القرآن والتوراة، وقبل أن أذكر بعضاً من هذه الصفات غير المشتركة لا بد من الإشارة إلى أن القرآن عند الحديث عن فرعون يتحدث عن فرعون واحد، بينما يستوحى من نصوص التوراة أن موسى واجه أكثر من فرعون، فرعون الأول وهو الذي ولد في عصر موسى وتربى في قصره، ثم هرب منه بعد ما قتل المصري، وفرعون الثاني الذي أرسله الله إليه بعد خروجه من مدين، حيث تقول التوراة بعدما سردت قصة الهروب إلى مدين، وزواج موسى من ابنة كاهن مدين، (وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر قد مات وتنهى بنو إسرائيل من العبودية)⁽⁴⁾، وهذا ما يصطلح عليه في بعض كتب التاريخ بأن موسى

(1) الخروج (12/7).

(2) الخروج (8/8).

(3) الخروج (15/14).

(4) الخروج (23/2).

عاصر فرعونين، الأول هو سيّتي الأول ويسمى فرعون الإضطهاد، والثاني هو رمسيس الثاني، الذي استمر في اضطهاد بني إسرائيل، والذي واجهه موسى بالدعوة، وهو فرعون الخروج⁽¹⁾.

وهذه بعض صفات فرعون التي وقع الاختلاف فيها بين القرآن والتوراة

إدعاء فرعون الألوهية والربوبية

ذكر القرآن أن فرعون نصب نفسه إلهاً من دون الله، وتوعد موسى بالسجن إذا عبد من دونه إلهاً وذلك في قوله: [أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى]⁽²⁾ وقوله: [قَالَ لَيْنَ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ]⁽³⁾، ولا تذكر التوراة أن فرعون نصّب نفسه إلهاً لبني إسرائيل مع إشارتها لتسخيره إيّاهم في العمل لخدمته وتحقيق مصالحه، ولذلك لم يعترض فرعون على موسى عندما طلب منه أن يطلق الإسرائيليين ليذبحوا للرب بأنهم سيتخذون إلهاً معبوداً من دونه، وإنما كان اعتراضه على أنهم إذا خرجوا فستعطل الأعمال التي كانت تتاط بهم، ومن هنا يظهر الاختلاف بين الكتابين في بيان شخصية فرعون.

فرعون يسمح لموسى ومن معه بالخروج

تذكر التوراة أن فرعون طلب من موسى وهارون ومن معهما أن يخرجوا من بين شعبه، وأن يذهبوا إلى عبادة الرب، طالباً منهم أن يباركوه عند الله، وذلك عندما صبّ الله عليهم سوط عذابه وابتلاهم بما لا يطيقونه، تقول التوراة على لسان فرعون: (فدعا موسى وهارون لئلاً وقال قوموا اخرجوا من بين شعبي، أنتما وبنو إسرائيل جميعاً، واذهبوا واعبدوا الرب كما تكلمتم، خذوا غنمكم أيضاً وبقركم كما تكلمتم، واذهبوا وباركوني أيضاً)⁽⁴⁾، ومع أن القرآن ذكر أن الله أنزل العذاب على فرعون وقومه، فهو لم يذكر أن فرعون رضي أن يطلق بني إسرائيل مع موسى.

(1) البار، الله جل جلاله، ص186، وما بعدها، بتصرف، مرجع سابق.

(2) النازعات (24).

(3) الشعراء (29).

(4) الخروج (12/21-22).

أقول: ومن خلال دراسة هذه الصفات لشخصية فرعون، والتي اختلفت حقيقتها في التوراة عما أثبتته القرآن، يتضح أن القرآن والتوراة إتفقا في رسم شخصية فرعون وفي إثبات أكثر تلك الصفات، واختلفا في القليل منها، وما هذا الاختلاف إلا نتيجة للتضارب والاختلاف الكبير في نصوص التوراة مع بعضها البعض، فهي تارةً تعطي صفات ثم تعود لتثبت عكسها، وهذا لا يظهر في شخصية فرعون فحسب، بل يظهر واضحاً وجلياً بصورة أكثر عند الحديث عن صفات موسى عليه السلام والله تبارك وتعالى أعلم.

الفصل الثاني

موسى مع فرعون من الميلاد إلى البعثة

الفصل الثاني

موسى مع فرعون من الميلاد إلى البعثة

في هذا الفصل أُقدِّم عرضاً لأحداث حياة موسى مع الطاغية فرعون من ميلاده إلى تكليفه بالرسالة أثناء عودته من مدين إلى مصر، حيث أُبين أحداث هذه المرحلة كما جاءت في كتاب الله في المبحث الأول من هذا الفصل، ثم أُبين خلال المبحث الثاني أحداث هذه المرحلة كما رسمتها التوراة، ثم أُبين خلال المبحث الثالث الأحداث التي توافق ذكر التوراة لها مع ما أثبتته القرآن الكريم، وبعد ذلك أعرض الجوانب التي اختلفت التوراة في ذكرها مع ما أثبتته القرآن الكريم، موضحاً أنني لن أخوض في التفاصيل الدقيقة والأحداث المختلف عليها بين العلماء في هذه القصة، حيث إن الهدف من هذه الرسالة هو مقارنة قصة موسى مع فرعون بين القرآن والتوراة، وليس التفسير المفصل للقصة في كل من القرآن والتوراة.

المبحث الأول: مع موسى من الميلاد إلى البعثة في كتاب الله

نستطيع من خلال تدبر آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن مشاهد هذه المرحلة أن نقسّمها إلى قسمين أساسيين:

أولهما: ولادة موسى وطفولته وفيها نشأة موسى شاباً في قصر فرعون، **وثانيهما:** فرار موسى إلى مدين بعد قتله الرَّجُل القبطي، وما جرى معه من أحداث في مدين إلى أن عاد إلى مصر، حيث كُلف بالرسالة في طريق عودته عند جبل الطور.

المطلب الأول: ولادة موسى وطفولته في القرآن الكريم.

أولاً: شخوص هذه المرحلة ودور فرعون فيها.

برزت في هذه المرحلة في حياة موسى أربع شخصيات رئيسة، بالإضافة إلى شخصية موسى، وهذه الشخوص هي أم موسى، وأخته، وفرعون وزوجته، أمّا أم موسى فلم يقف القرآن على اسمها وأبقاه مبهماً، ويتلخص دورها بعد ولادة موسى، وتلقيها الوحي من الله بطريق

الإلهام الفطري⁽¹⁾، أن أَرْضَعْتَهُ ثُمَّ وَضَعْتَهُ فِي التَّابُوتِ، ثُمَّ أَلْقَيْتَهُ فِي الْيَمِّ، وَقَدْ أُنْشِرَ اللهُ إِلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: [وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ (فَإِذَا خِفتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ]⁽²⁾، ثم عادت بعد ذلك لتلعب دور المرضع المستأجرة من قبل قصر فرعون، وذلك بعد أن حَرَّمَ اللهُ على موسى أْتِداءَ النساءِ ليحقق لها ما وعد بها.

أمَّا الشخصية الثانية والتي شاء اللهُ لها أن تلعب دوراً في حماية موسى وردّه إلى أمّه هي أخته، والتي سكت القرآنُ عن اسمها، فقد راقبت التابوت بأمرٍ من أمها، دون أن تلفت لها أنظار الراصدين من آل فرعون وجنده، مما هبأ لها بعد ذلك أن تتدخل في اللحظة المناسبة، وذلك بعد امتناع موسى عن جميع المرضعات، وتعرض عليهم في تلك اللحظة خدماتها لإنقاذ حياة ابن فرعون - بالتبني - وأخبرتهم أنها تعرف مرضعاً سيقبل الصغير ثديها⁽³⁾، وقد سجل لها القرآن ذلك الموقف بقوله تعالى: [وَقَالَتْ لِأُخْتَيْهِ فَصِيهْ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ]⁽⁴⁾.

أمَّا الشخصية الثالثة فهي زوجة فرعون، وهي النموذج الطاهر للمرأة المؤمنة، جعلها اللهُ مثلاً للذين آمنوا في الحياة الدنيا، مع أنها كانت تحت أعدى أعداء الله فرعون، وقد لعبت زوجة فرعون الدور الأكبر في حماية موسى من القتل، بعد أن التقطه آل فرعون من اليم، وهموا بقتله تنفيذاً لأمر فرعون المسبق بقتل كل ذكور بني إسرائيل من المواليد الجدد، فيسّر اللهُ امرأة فرعون لتقول لزوجها: [لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ]⁽⁵⁾ وقولها "لا تقتلوه" كما يذكر المراغي مخاصمة عنه، وتحبيباً لفرعون به، إذ أنه مما تقر به

(1) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، مع قصص السابقين في القرآن، (69/5)، دار القلم، دمشق، ط2، 1996م.

(2) القصص (7).

(3) الخالدي، القصص القرآني، (290/2)، بتصرف، مرجع سابق.

(4) القصص (11-12).

(5) القصص (9).

العيون، وتفرح لرؤيته القلوب⁽¹⁾، فقد أُفحمت يدُ القدرة الإلهية على قلب فرعون قلبَ امرأته، فحمت موسى بالمحبة، ذلك الستار الرقيق الشفاف، لا بالسلاح والمال والجاه، حمته بالحب الحاني في قلب امرأة⁽²⁾، وقد سكت القرآن عن اسمها ولم يصرح به، وقد جاء في السنة أن اسمها آسية (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران)⁽³⁾.

أما الشخصية الرابعة فهو فرعون، الذي عاث في الأرض فساداً، فذبَّح أبناء بني إسرائيل واستحيا نساءهم، وينلخص دوره في هذه المرحلة، بخضوعه لرغبة امرأته بعدم قتل الوليد الصغير، والإبقاء على حياته، فاتخذ قراره بتبني موسى، و الاحتفاظ به، وإبقائه في القصر عند امرأته ليكون قرة عين لها⁽⁴⁾، وهكذا عاش موسى الوليد الصغير تحت رعاية أمّه ودفء حنانها، على نفقة القصر الفرعوني، والقرآن قد عدل عن اسم فرعون إلى لقبه، حيث إنه عمد إلى إبراز صفات هذه الشخصية بغض النظر عن يمثل هذه الشخصية.

ثانياً: مشاهد ولادة موسى وطفولته في كتاب الله

عرض القرآن أحداث هذه المرحلة كاملة في سورة القصص⁽⁵⁾، وعلى طريقتيه في عرض القصة، قسّمها إلى مشاهد، وجعل بينها فجوات فنية يملؤها الخيال، وقد جاءت أحداث هذه المرحلة في خمسة مشاهد، وقبل البدء في عرض المشاهد، رسم القرآن المسرح الذي تجري فيه الحوادث، والذي يتمثل باستعلاء فرعون في الأرض وتجبره على بني إسرائيل، حيث يصل أعلى درجات التجبر بتقتيل أبناء بني إسرائيل، واستحيا نساءهم⁽⁶⁾، ونقرأ ذلك في قوله

(1) المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، (39/2)، دار إحياء التراث، بيروت، ط3، 1974م.

(2) قطب، الظلال، (326/6)، بتصرف، مرجع سابق.

(3) البخاري، صحيح البخاري، م3 (252/6)، كتاب الأطعمة، باب الثريد، حديث رقم (5418)، مرجع سابق.

(4) هداية محمد أحمد، المرأة في القصص القرآني، ص36، رسالة جامعية، إشراف د.محسن سميح الخالدي، جامعة النجاح الوطنية، 2003م.

(5) القصص (7-20)، وأنظر فضل عباس، القصص القرآني، ص306، مرجع سابق.

(6) الجبالي، أبو محمد، قصص الأنبياء في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب، (1/ (186-187)، دار اليوسف، بيروت، ط1، 1998، بتصرف.

تعالى [طسّم * تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ

لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ

يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ] (1)، ثم بدأ القرآن بعرض أحداث

المشهد الأول وفيه تصويرٌ لحال أم موسى بعد ولادته، تلك الأم الملتاعة المروعة والتي ملأ

جوانحها الخوف على وليدها الصغير، وذلك بسبب القرار الفرعوني بقتل الذكور من المواليد

الجدد من بني إسرائيل، حيث ينتشر أتباعه يبحثون عن هؤلاء المواليد، لتنفيذ حكم فرعون فيهم،

ثم تتدخل القدرة الإلهية فنتصل بالأم الوجلة والمذعورة، فتلقي في روعها كيف تعمل وتوحي

إليها بالتصرف (2)، ونقرأ هذا المشهد في قوله تعالى: [وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ (فَإِذَا

خِفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تخَافِي وَلَا تحْزني (إِنَّا رآدُوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ

] (3)، فاستجابت أم موسى لهذا النداء، ووضعت صغيرها في التابوت (4)، وألقت به في اليم، لتبدأ

بعد ذلك أحداث المشهد الثاني، وذلك عندما انتشل بعض آل فرعون التابوت من الماء، ليجدوا

فيه وليداً صغيراً، وقد وقعت عليه عين زوجة فرعون، فألقى الله محبته في قلبها، وأدركت أن

زوجها سيقنتله كغيره من المواليد الذكور، فقالت لزوجها: [لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ

وَدَلًّا] (5)، وتلح عليه حتى ينصاع لأمرها، ويأمر جنده بعدم قتله وإبقائه في القصر، وتدبير

شؤون رعايته وإرضاعه، ثم تقودنا الآيات إلى المشهد الثالث، حيث تعود بنا لوصف حال أم

موسى بعد أن التقط آل فرعون موسى من اليم، حيث وصف حالها بقوله: [وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ

مُوسَىٰ فَرِيغًا (إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

] (6)، لقد صار فؤاد أم موسى فارغاً من كل شيء من أمور الدنيا، إلا من موسى، وتمر بها

اللحظات كأنها سنوات (7)، وما هذا إلا لأنها تملك عاطفة الأم، والتي لا تستطيع أن تتحكم بها،

(1) القصص (1-4).

(2) الجبالي، قصص الأنبياء، (2، 189)، مرجع سابق.

(3) القصص (7).

(4) في إشارة لقوله تعالى "أن اذفيه في التابوت فاذفيه في اليم"، طه (39).

(5) القصص (9).

(6) القصص (10).

(7) جابر الشال، قصص النساء في القرآن، ص29، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

فهي تريد أن تطمئن على ولدها، وكادت أن تخرج إلى الطرقات تصيح من شدة الأمر رُدُّوا إليّ ولدي، لولا أن طمأن الله قلبها وربطه برباط منه، فسكنت وسلّمت أمرها لله⁽¹⁾، ثم تنتقل الآيات إلى المشهد الرابع لتبيّن دور الأخت "أخت موسى" في هذه المرحلة من حياة أخيها، حيث نفذت أمر أمّها بأن تقتفي أثره، وأن تراقب التابوت، فنفذت الأخت هذا المطلب بحكمة وحذر⁽²⁾، وتظهر أهمية دورها بعد أن رفض موسى قبول الرضاعة من أيّ من مرضعات القصر، فأنزِع آل فرعون لذلك، واحتاروا في أمره، وهم يخشون عليه المرض أو الموت، وهو آخذ بالصراخ من شدة الجوع، فتدخلت أخته في الوقت المناسب، وعرضت خدماتها بأن تدلهم على من يقوم بخدمته وإرضاعه و الاهتمام بشؤونه، ونقرأ هذا المشهد في قوله تعالى [وَقَالَتْ

لأُخْتَيْهِ قُصِيهِ (فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ]⁽³⁾، ثم طوى القرآن بالمشهد الخامس وهو إرجاع موسى إلى أمّه لإرضاعه على نفقة القصر الفرعوني تحقيقاً لوعده الله لها برده إليها سالمًا [فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ] وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ]⁽⁴⁾.

ويستشف من خلال هذه المشاهد الخمسة التي تقدم الحديث عنها أن علاقة موسى بفرعون كانت علاقة التبني والرعاية في تلك المرحلة من حياة موسى، ونستطيع أن نحدد الهدف الذي من أجله ساق الله موسى إلى بيت فرعون، وما هذا إلا ليكون لهم عدواً وحرناً، وعلى يديه يُهدم ملك فرعون ويكون هلاكه، أمّا عن طفولة موسى بعد رجوعه إلى أمّه فقد سكت القرآن عنها، ولم ترد تفاصيل عنها من خلال آيات القرآن الكريم، فلا يعلم ماذا كان بعد رده إلى أمّه لترضعه، ولا يعلم إذا كان قد رجع إلى قصر فرعون، ولا كيف كانت صلته بأمه ولا كيف كانت طبيعة حياته.

(1) خطاب، عبد المعز، عشرون امرأة في ضوء القرآن، ص31-32، دار الاعتصام، القاهرة، بتصرف.

(2) الخالدي، مع قصص السابقين في القرآن، (75/5)، بتصرف، مرجع سابق.

(3) القصص (8-12).

(4) القصص (13).

المطلب الثاني: مع موسى في زهرة الشباب

بعد أن ذكر الله مولد موسى ونشأته صغيراً، أُسِدِلَ الستار عن حلقاتٍ كثيرة من عمره لم يذكرها القرآن الكريم، لأن الله لا يذكر من القصص إلا ما فيه الحكمة والعظة والعبرة، فنجد أنفسنا مع موسى شاباً قوياً قد بلغ أشده وآتاه الله القوة والحكمة، قال تعالى: [وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ]⁽¹⁾، وهكذا ينجز الحق تعالى وعده الذي بشر به أم موسى من قبل، وها هو موسى يسخر قوته في نصرته الحق تمهيداً لتكليفه بالرسالة، لكنه لم يباشر دوره التمهيدي من فراغ وإنما انطلق من قاعدة راسخة، فقد منح الله القوة الجسمية والقوة العقلية، ويذكر القرطبي أنه عند تدبر أحداث حياة موسى في شبابه، وعلاقته بفرعون من خلال القرآن، لا نجد تصريحاً واضحاً بطبيعة العلاقة القائمة بين موسى وفرعون، فهل كان موسى يعيش في قصر فرعون؟ أم غيب عن القصر؟؟ أم غير ذلك؟؟⁽²⁾، فقد سكنت القرآن عن ذلك كله، حتى بدأت علاقة جديدة بين موسى وفرعون، بعد ما قتل موسى الرجل القبطي الموالي لفرعون، وكانت هذه الحادثة قد أحدثت تغييراً جذرياً في حياة موسى وطبيعة علاقته بفرعون، فبعد أن كان موسى قد عاش صغيراً تحت رعاية فرعون وحمايته، يصبح الآن طريداً له، ومطلوباً للقصاص منه لقتله رجلاً من قومه، ونقرأ حادثة قتل القبطي ونتائج هذه الحادثة في سورة القصص⁽³⁾، ومختصر هذه الحادثة كما جاءت في كتاب الله، أن موسى دخل مدينة من مدن مصر فوجد فيها رجلين يختصمان، أحدهما ممن شايعه على ذمته من بني إسرائيل والثاني من مخالفيه من القبط، ممن هو على ما عليه فرعون وقومه⁽⁴⁾، فاستنصره الذي من شيعته لينصره على الذي هو من عدوه فوكزه موسى، أي دفعه في صدره بجمع أصابع كفه⁽⁵⁾، والواضح من السياق أن موسى لم يقصد قتل القبطي، ولم يتعمد القضاء

(1) القصص (14).

(2) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، (376/21)، مرجع سابق، وانظر عمارة، محمود محمد، فقه الدعوة من قصة موسى عليه السلام، مكتبة الإيمان، مصر، ط (1)، 1997م.

(3) أنظر القصص (14-21).

(4) حوى، سعيد، الأساس في التفسير، (4068/7)، دار السلام، ط (1)، 1989م.

(5) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، باب الفاء، مادة وكز، (430/5)، دار الفكر، بيروت، ط (3)، 1994.

عليه، فما كاد يراه جثة هامدة بين يديه حتى استرجع، وندم على فعلته [قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ]⁽¹⁾، وفي هذا إشارة إلى أن موسى عزا هذه الفعلة إلى الشيطان وغوايته، فقد كانت من الغضب، والغضب من الشيطان⁽²⁾، وأصبح بعد قتله القبطي خائفاً متوجساً من أن يكشف أمره [فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ]⁽³⁾، أي أصبح خائفاً يتسمع الأخبار، وقيل إنما خاف لأنه قد علم أنه لا يتجرأ أحدٌ على قتل رجل من رجال فرعون سوى موسى من بني إسرائيل لقربه من فرعون⁽⁴⁾، وهو في تلك الحال فإذا الإسرائيلي الذي كان سبباً في قتل موسى للقبطي يستغيثه مرةً أخرى، وعندما أراد موسى أن يبطش بالقبطي رد عليه: [قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ (إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ)]⁽⁵⁾، وقيل إن الذي خاطب موسى بهذا الكلام هو الإسرائيلي وليس القبطي وذلك لما رأى منه الغضب والشدة، وظن أنه قاتله⁽⁶⁾، فعلم القبطي أن موسى هو قاتل القبطي بالأمس، فانطلق وأخبر فرعون، فاجتمع الملاء وتشاوروا في أمره، فأمر فرعون بقتل موسى، وبعث في طلبه، فجاء رجلٌ كان قد علم بما دبره الملاء من قوم فرعون لموسى بالقتل والبطش، وهو رجلٌ يحب موسى ويريد له الخير، وقيل هو الرجل المؤمن الذي كان يخفي إيمانه والذي جاء ذكره في سورة غافر، جاءه مسرعاً مخبراً إياه بأن حاشية فرعون يريدون قتله، وقدم له النصيحة بالخروج من مصر، فاستجاب موسى لهذه النصيحة، وقد خرج موسى من مصر فراراً بنفسه من القوم الظالمين، وهو لا يملك من متاع الدنيا شيئاً، فليس معه زادٌ ولا راحلة، بل خرج،

(1) القصص (15-17).

(2) قطب، الظلال، (330/6)، مرجع سابق.

(3) القصص (18).

(4) أنظر السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (11/4)، مراجعة علاء السعيد، دار الفكر، 1995، وانظر الواحدي، أبي الحسن علي بن أحمد، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (815/2)، تحقيق صفوت عدنان داوودي، دار القلم، والدار الشامية، ط1، 1997.

(5) القصص (19).

(6) أنظر حجازي، محمد أحمد، التفسير الواضح، (27/6)، مطبعة الاستقلال الكبرى، ط5، 1972م، وانظر تفصيل ذلك، النيسابوري، غرائب القرآن، (333/5)، مرجع سابق.

وحيداً خائفاً يتلفت ذات اليمين وذات الشمال، ولم تكن مدين في سلطان فرعون، وقيل كان بينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام⁽¹⁾.

أقول: وعند هذه النقطة انقطعت علاقة موسى بالطاغية فرعون، بعدما تحولت العلاقة بينهما من علاقة التبني والرعاية إلى علاقة المطاردة والملاحقة والتربُّص، ودام هذا الانقطاع فترة عشر سنين، وهي فترة مكوث موسى في مدين⁽²⁾، وقد قصَّ القرآن علينا مختصراً حياة موسى في مدين، منذ لحظة وصوله إليها، ووروده ماءها انتهاء بعودته قافلاً مع أهله إلى مصر، بعد أن وفى موسى الوعد الذي أبرمه مع الرجل⁽³⁾ الذي استضافه في بيته وذلك بعد أن سقى الغنم لابنتيه عندما زاحمهما الرعاة على البئر، وكان موسى قد رأى على مقربة من الماء فتاتين تبعدان أغنامهما لئلا تقترب من الماء، رأى موسى هذا المشهد فعجب لأمرهما، فتقدم وسألها عن شأنهما، فعلم منهما أنهما لا تسقيان الغنم حتى ينصرف الرعاة عن البئر، فثارت في نفسه الشفقة عليهما وسقى لهما أغنامهما، وقد طلب الرجل من إحدى بناته إحضار موسى إلى بيته، لإكرامه بسبب مساعدته إياهن في السقاية، وقد استجاب موسى للدعوة وذهب إلى بيت الرجل ولقي راحة وأماناً، ثم قص عليه قصته وأفضى له مكنون سره، فطمأنه الشيخ وقال له: [لَا تَخَفْ نَجْوَتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ]⁽⁴⁾، وعندها تدخلت إحدى بناته لتطلب من والدها استئجار موسى للعمل لما رأت من قوته وأمانته، فاتفق موسى مع الرجل على العمل عنده فترة أقلها ثماني سنين مقابل زواجه ممن يختار من بناته، وتقص علينا سورة القصص هذه الأحداث [وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ (قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) فَسَقَى لَهُمَا

(1) البروسوي، إسماعيل حقي، تنوير الأزهار في تفسير روح البيان، (144/3)، إختصار وتحقيق الشيخ محمد علي الصابوني، دار الصابوني، ط1، 1988م، وانظر الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، تفسير الثعالبي، المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، (512/2)، تحقيق أبو محمد الغماري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996م، مع بعض التصرف.

(2) أنظر البخاري، صحيح البخاري، (217/3)، كتاب الشهادات، باب من أنجز الوعد وفعله الحسن، حديث رقم (2684)، مرجع سابق.

(3) أختلف في اسم الرجل فقيل: شعيب، وقيل: يثرون وقيل: يثرى وقيل غير ذلك، أنظر الطبري، تفسير الطبري، م11 (ج2/77)، مرجع سابق.

(4) القصص (26).

ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى
 أَسْتَحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ
 الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتُ مِنَ الْقَوَمِ الظَّالِمِينَ * قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيكِ آسْتَجِرُهُ (إِنَّ
 خَيْرَ مَنْ آسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ * قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي
 ثَمَنِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُلْشِقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ
 مِنَ الصَّالِحِينَ [1].

وقد سكت القرآن بعد ذلك عن طبيعة حياة موسى في مدين ولم يذكر تفاصيلها، وقد أشار
 القرآن إلى أن موسى قد أوفى بالوعد الذي أبرمه مع الرجل ثم قفل عائداً إلى مصر بعد ذلك،
 [فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا] [2].

المطلب الثالث: التكليف بالرسالة

أقف للحديث عن تكليف موسى بالرسالة، كونها النقطة التي عاد من خلالها موسى
 لمسرح المواجهة مع فرعون، بعدما كانت حادثة قتل القبطي الموالي لفرعون، النقطة التي
 انقطعت من خلالها علاقة موسى بفرعون مدة عشر سنين، وقد تحدث الله عن تكليف موسى
 بالرسالة في عددٍ من سور القرآن الكريم، وهذه السور تشمل سور طه والنمل والقصص و
 الشعراء والنازعات⁽³⁾، وعند النظر في هذه السور نجد أن سورة طه كانت أكثر السور تفصيلاً
 لهذا الجانب، مع اشتراك السور التي تحدثت عن تكليف موسى بالرسالة في إيراد عددٍ من
 الأحداث المشتركة، مثل المناداة لموسى عند جبل الطور، ومعجزة العصا واليد البيضاء
 وغيرها، مع الإشارة إلى اختلاف العبارات بين آيات السور لإفادة الأغراض المختلفة⁽⁴⁾،
 وسأعرض ما جرى مع نبي الله موسى أثناء عودته من مدين قافلاً إلى أرض مصر، كما جاء

(1) القصص (23-27).

(2) القصص (29).

(3) انظر سورة طه (9-48)، والشعراء (10-17)، والنمل (7-14)، والقصص (29-35)، والنازعات (15-19).

(4) الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود عمر الخوارزمي، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه
 التنزيل، (175/3)، دار الفكر، ط1، 1977م.

في كتاب الله، فقد سار موسى بأهله في طريق سيناء التي توصله إلى مصر، وسيناء أرضٌ صحراوية، والصحراء تعرف بحرّها نهاراً وبردّها القارص ليلاً، وأثناء المسير رأى موسى ناراً، فطلب من أهله أن يقيموا في مكانهم، وتوجه نحو النار مستبشراً فرحاً مستأنساً، لما للنار من حاجةٍ في هذا البرد القارص والليل البهيم، وكان المكان الذي شاهد موسى فيه النار هو جانب جبل الطور في سيناء، و يدل على ذلك قوله تعالى: [فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا]⁽¹⁾ وجانب الطور هو الجانب الأيمن كما ورد في قوله تعالى: [وَتَنذِيئَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ]⁽²⁾، ويرى أن الأيمن هو صفة لجانب الطور⁽³⁾، والجانب الأيمن من جبل الطور هو الجانب الغربي، كما في سورة القصص [وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْتَ إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ]⁽⁴⁾، أي ما كنت بالجانب الغربي الأيمن لجبل الطور، وهو الجانب الذي نادينا موسى منه⁽⁵⁾، وهذا الجانب هو المقصود من قوله: [فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ مِنَ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ]⁽⁶⁾، وشاطئ الواد هو جانب الواد كما ذكر البقاعي⁽⁷⁾، وقد ورد اسم الواد في قوله تعالى [إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْقُدْسِ طُوى]⁽⁸⁾، وشاطئ الواد أي جانبه، كان مشتملاً على هذه الشجرة، إذ كانت نابذة فيه⁽⁹⁾، والمعنى مختصراً لما أتى موسى المكان بعد أن رأى النار، ناداه الله من الشجرة، وهذه الشجرة، في شاطئ وادي طوى، وهذا الشاطئ هو جانب الوادي الأيمن، وهذا الوادي هو في جانب جبل الطور الأيمن، وهذه البقعة هي كلها البقعة المباركة⁽¹⁾، وقد نادى الله موسى مخبراً إياه أنه هو الله الذي يكلمه

(1) القصص (29).

(2) مريم (52).

(3) الأندلسي، البحر المحيط، (6/188)، مرجع سابق.

(4) القصص (44).

(5) الخالدي، القصص القرآني، (2/353)، مرجع سابق.

(6) القصص (30).

(7) البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (5/482)، تخريج عبد الرازق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م.

(8) النازعات (16).

(9) الألوسي، أبو الفصل شهاب الدين السيد محمود البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،

(73 / 10)، دار الفكر، 1987م.

(1) الخالدي، القصص القرآني، (2/354)، مرجع سابق.

ويخاطبه، وأمره أن يخلع نعليه تعظيماً وتكريماً وتوقيراً لتلك البقعة المباركة، ولا سيما في تلك الليلة المباركة⁽¹⁾، فهو يعلمه التواضع في الهيئة بخلع النعلين لقدسيتها المكان، ثم أخبره بالإصطفاء والإجتباء، ليكون نبياً رسولاً، ثم طالبه بأدب الإنصات⁽²⁾ قال تعالى: [فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ يَمُوسَىٰ

* إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا آخَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ

[⁽³⁾، ثم بيّن له سبحانه أن الدين الذي أوحى به إليه يقوم على أسس ثلاثة، وهي الوحدانية ويدل عليها قوله تعالى: [إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا]⁽⁴⁾، والأصل الثاني هو الإخلاص لله في العبادة، وذلك في قوله [فَأَعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي]⁽⁵⁾، ثم ذكر له الأصل الثالث وهو البعث وفيه تجزى كل نفس بما كسبت، وذلك في قوله [إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ]⁽⁶⁾، وقد جعل وقت الساعة مبهماً ليرتقب العباد مجيئها في كل وقت، ويخافوا منها، ويعملوا لها، ثم يستوفوا جزاء عملهم، ولا يظلموا شيئاً⁽⁷⁾، وفي هذا تنبيه وإشارة وتحذير من كل داعٍ إلى باطل يصدُّ عن الإيمان الواجب، أو عن كماله، أو يوقع الشبهة في القلب⁽⁸⁾.

وبعد بيان هذه الأصول الثلاثة، فقى على ذلك بذكر البراهين التي آتاها موسى، دلالة على نبوته، وتصديقاً له على رسالته، فبدأ بذكر العصا التي انقلبت إلى حية تسعى حينما ألقاها من يده، وكان ربُّه قد سأله عنها استجماعاً لقلبه، وتهذئةً لروعه في هذا المقام الرهيب، وإعلاماً بما سيكون لها بعدُ من عظيم الشأن، وجليل المنافع والمزايا التي لم تكن تدور في خلدته عليه السلام⁽¹⁾، وقد أمر الله موسى أن يلقي عصاه فإذا هي حية تسعى، وقد نمت وعظمت حتى غدت

(1) بيومي، محمد، القصص القرآني، دروس وعبر للدعوة والدعاة، ص249، مكتبة الإيمان، مصر، ط1، 1999م.

(2) حوى، الأساس، (3353/7)، مرجع سابق.

(3) طه (11-13).

(4) طه (14).

(5) طه (14).

(6) طه (15).

(7) الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (190/8)، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر دمشق، ط1، 1991م.

(8) السعدي، تفسير الكريم الرحمن، (194/3)، مرجع سابق.

(1) المراغي، تفسير المراغي، (102/8)، مرجع سابق.

في جلادة الثعبان، لمحها موسى فولّى هاربا حتى سمع نداء العلي العظيم، [يَمُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ (إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ) (1)]، فلما رجع أمره الله أن يمسكها [قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ (سُنْعِيْدَهَا سِرْتَهَا الْأَوَّلَى) (2)]، فاطمأنت نفسه لنداء الله الكريم، وقرت عينه بنور الله الحق الواضح (3)، ثم أمره الله أن يدخل يده إلى جناحه، وأصل الجناح للطائر، ثم أطلق على اليد والعضد والجنب (4)، فإذا هي تخرج بيضاء من غير برص ولا أذى (5)، وقيل كانت يد موسى سمراء لأنه أسمر (6)، ولما أدخل يده في جيبه وأخرجها سطع منها نور عظيم، وقد أرى الله موسى هاتين المعجزتين اللتين وصفهما بأنهما من المعجزات والآيات الكبرى [لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى] (7).

وكل هذا حدث قبل أن يأمره بالذهاب إلى فرعون، وما ذلك إلا لأنه يعلم أنه سيبعثه إلى أكثر أهل الأرض جبروتاً وطغياناً، فقدّم الله له ما يهون عليه ما كلفه به، ثم أخبره بالتكليف المحدد له قائلاً: [أَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى] (8)، أي جاوز الحد في طغيانه وجبروته (9)، وفي هذه اللحظة علم موسى أنه منتدب لهذه المهمة الضخمة، فهو يعرف من هو فرعون، فقد ربي في قصره، وشهد طغيانه وجبروته، وشاهد ما يصبه على قومه من عذاب ونكال (10)، وقد كان تأييد موسى بالمعجزات أمراً ضرورياً اقتضته حكمة المولى عز وجل، فهو مرسل إلى الطاغية فرعون، أعتى ملوك الارض في زمانه، وأقدمهم عرشاً، وأثبتهم ملكاً، وأعرقهم حضارة، وأشدّهم استعبادا للخلق، وهو مرسل لاستنقاذ قوم شربوا من كؤوس الذل حتى استمروا مذاقه فمردوا عليه واستكانوا دهرًا طويلاً، والذل يفسد الفطرة حتى تأسن وتتعفن ويذهب ما فيها من الخير،

(1) القصص (31).

(2) طه (21).

(3) جاد المولى، محمد أحمد، قصص القرآن، ص117، تحقيق محمد علي الشقيري، مكتبة دار الثقافة، عمان، 1997م.

(4) المراغي، تفسير المراغي، (104/8)، مرجع سابق.

(5) حوى، الأساس، (3356/7)، مرجع سابق.

(6) أنظر البخاري، صحيح البخاري، (170/2)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم، حديث رقم 3438،

مرجع سابق، وانظر العسقلاني، فتح الباري، (601/6)، مرجع سابق.

(4) طه (24).

(5) طه (25).

(9) حوى، الأساس، (3356/7)، مرجع سابق.

(10) قطب، الظلال، (469/5)، مرجع سابق.

فاستنقذ هؤلاء أمر شاق وعسير⁽¹⁾، فانطلق لسانه مناشداً ربه، سائلاً إياه بعض المسائل التي من شأنها تسهيل العمل، والتخفيف عن النفس، وإزالة لبعض المخاوف التي علقت في نفس موسى نتيجة لقتله القبطي، وفراره من بطش فرعون بعدما أراد قتله، وقد وردت هذه المسائل في سياق قصة موسى في سور طه والشعراء والقصص، وقد أوردت السور سאלفة الذكر هذه المسائل تارة على شكل دعاء وتارة أخرى على هيئة مخاوف محتملة عند البدء في الدعوة، وبالاستقراء نجد أن سورة طه هي أكثر السور ذكراً لهذا الجانب، فقد ذكرت في معرض السياق أربعة مسائل على هيئة دعاء وتخوف واحد ونقرأ هذه المسائل في قوله تعالى: [قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي * هَرُونَ أَخِي * أَشَدُّ بِمَآزِرِي * وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي]⁽²⁾، فقد طلب موسى من ربه أن يشرح له صدره، ويفتح قلبه، ويجعله عليمًا بشؤون الحق، وأحوال الخلق ويجعله حليماً، وأن يوسع صدره ليحتمل الوحي والمشاق وريء الأخلاق⁽³⁾، ثم طلب موسى من ربه أن يعينه بمعين من أهله، وأن يشركه في أمره، هارون أخاه، فهو يعلم فيه فصاحة اللسان وثبات الجنان وهدوء الأعصاب⁽⁴⁾، ومن المعروف أن الفصاحة والبلاغة من أهم خصائص الإنسان العادي، فكيف بالأنبياء والرسل الكرام؟ فهي لهم لازمٌ بيّن، فالباطل يواجه الحق في كوكبة إعلامية تزيّن القول وتزخرفه، وشياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا، فإذاً هي من أهم أسلحة الداعية التي يجلى بها الحق ويكشف بها عن عيوب الباطل ومثالبه في أسلوب يتشح بالحكمة ولا يمكن الخصم من الحق وأهله، وقد ذكر موسى لربه مخاوفه التي يتوقع أن تحلّ به بعد أن يبلغ فرعون دعوته، وهذا المخاوف تشمل الإتهام بالكذب، [قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَدِّبُونِ]⁽¹⁾، والتخوف الثاني في قوله: [قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى]⁽²⁾،

(1) الفتياني، تيسير المحجوب، الحوار القرآني في قصة موسى عليه السلام، ص53، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، ط1، 2004م.

(2) طه (25-32).

(3) أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، تفسير أبي السعود أو ما يسمّى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (276/4)، ترتيب عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999م.

(4) قطب، الظلال، (47/5)، مرجع سابق، وانظر عمارة، فقه الدعوة من قصة موسى، ص 70، مرجع سابق.

(1) الشعراء (12).

فقد تخوّف موسى وهارون من أن يعجّل لهما فرعون بالعقوبة، أو أن يجاوز الحد في الإساءة إليهما⁽²⁾، والتخوّف الثالث كان خوفه من القتل بسبب قتله الرجل القبطي الموالي لفرعون قبل فراره إلى مدين، وقد عبّر عن ذلك بقوله [وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ] ⁽³⁾.

فقد سأل موسى ربّه مسأله، وذكر له مخاوفه في ذلك الموقف العظيم، فأعطاه الله مسأله، وآتاه ما أراد، قال تعالى: [قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ] ⁽⁴⁾، وقبل أن يغادر موسى ذلك المكان، ذكره الله بنعمه عليه ورعايته له في حياته منذ ولادته، حتى هذه اللحظة، وذلك لينشط في الدعوة إلى الله، و القيام بواجبه، وهذه النعم كثيرة، ابتداءً من إنجائه من فرعون صغيراً وإرجاعه إلى أمه، وإنجائه مرة أخرى من بطش فرعون عندما أراد قتله، ثم اصطفاؤه برسالته وتأييده بالمعجزات [وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ * أَنْ أَدْفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ^٥] وَالْقِيَتُ عَلَيْكَ حَبَّةٌ مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي * إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ^٥] فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ^٥] وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا^٥] فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ * وَأَصْطَنَعْنَاكَ لِنَفْسِي] ⁽⁵⁾.

(1) طه (45).

(2) حوى، الأساس، (336/7)، مرجع سابق.

(3) الشعراء، (14).

(4) طه (36).

(5) طه (37-41).

المبحث الثاني: موسى مع فرعون من الميلاد إلى البعثة في التوراة

المطلب الأول: ولادة موسى وطفولته في التوراة

عند النظر في قصة موسى مع فرعون في التوراة، نجد أن جميع أحداث هذه القصة في جميع مراحلها وردت في سفر الخروج، والذي سمي بهذا الاسم لتناوله خروج بني إسرائيل من أرض مصر⁽¹⁾، وعند الحديث عن ولادة موسى وطفولته في التوراة، تذكر التوراة أن ملكاً جديداً قد حكم مصر، ولم تذكر التوراة اسم ذلك الملك، وكان هذا الملك يكنّ الحقد لبني إسرائيل، وخاصةً بعد ما رأى أن عددهم يكثر، وأن أملاكهم تتسع ونفوذهم يقوى⁽²⁾، ولكي يتجنب الفرعون الجديد هذا التزايد السكاني عند بني إسرائيل، فقد فرض عليهم أن يلقوا إلى النهر بكل طفلٍ ذكر، ولكي يضمن فرعون قتل الذكور من المواليد الجدد لبني إسرائيل، وكلّ ذلك الأمر لقابليتي العبرانيات، (وكلم ملك مصر قابليتي العبرانيات اللتين اسم أحدهما "شفره" والأخرى "فوعه" وقال حينما تولدان العبرانيات وتنظرانهنّ على الكراسي إن كان ابنا فاقتلاه، وإن كان بنتاً فتحيا)⁽³⁾، ولكن القابليتين كما تذكر التوراة لم تنجزا لفرعون ما أراد، لخوفهما من الله، وتعذرتا لفرعون بأن نساء بني إسرائيل أقوى من نساء القبط حيث يلدن قبل أن تصل القابلة إليهن⁽⁴⁾، فأمر فرعون عندئذ جميع شعبه بقتل كل مولود ذكر يولد من أبناء بني إسرائيل واستحياء كل بنت، وخاصةً بعدما قام الكاهن الأكبر في مصر بإبلاغه أن ولداً يولد للعبرانيين يقوم بإهلاك فرعون وقومه، فاستشاط فرعون غضباً وزاد من نقمته وعذابه على بني إسرائيل، وتذكر التوراة أن فرعون سخر بني إسرائيل لخدمته وبناء المدن الضخمة، (فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلّوهم بأنقالهم فبنوا لفرعون مدينتي فيثوم ورعمسيس)⁽⁵⁾، ولا تزال هذه

(1) السقا، نقد التوراة، ص30، مرجع سابق.

(2) الخروج (10-1/1).

(3) الخروج (16-15 /1).

(4) الخروج (20-18/1).

(5) الخروج، (11/1).

المدن شاهدةً على ظلم فرعون لبني إسرائيل، فهي موجودة في المنطقة الشرقية من دلتا النيل⁽¹⁾، وفي هذا الزمن المظلم من تاريخ بني إسرائيل ولد موسى، وتذكر التوراة أن والد موسى "عمرام" تزوج من عمته "يوكابد"⁽²⁾. وينتسب عمرام وزوجته إلى بيت لاوي بن يعقوب عليه السلام⁽³⁾، وحينما ولد موسى خبأته أمه "يوكابد"، ثلاثة أشهر بعيداً عن عيون فرعون وجنوده، وبعد ذلك لم تستطع أمه أن تخفيه فوضعت في سفطٍ من البردي، وهو قارب صغير مصنوع من عيدان البردي التي تنمو على ضفاف النيل، والذي تم طلاؤه بالقار لمنع نفاذ الماء إلى داخل الصندوق⁽⁴⁾، ثم وضعت في النهر، حيث وقفت أخته من بعيدٍ لتعرف ماذا يفعل به⁽⁵⁾، وتذكر التوراة أن ابنة فرعون⁽⁶⁾ كانت في ذلك الوقت تغتسل في النهر مع بعض جواريها، فلما رأت الصندوق أمرت بإحضاره، فأحضر لها، ولما فتحت وجدته فيه صبيّاً صغيراً يبكي، فرق له قلبها، حيث علمت أنه من أولاد العبرانيات⁽⁷⁾، ومع علمها بكره والدها للعبرانيين إلا أن غريزتها دفعتها لحبه والحنو عليه، وفي تلك اللحظة تقدمت أخته من ابنة فرعون وسألتها إن كانت ترغب في أن تحضر امرأة من العبرانيات لكي ترضع المولود، ولما رأت رغبتها في ذلك ذهبت وأحضرت أمها، فقالت لها ابنة فرعون: **(إذهبي بهذا المولود وأرضعيه لي وأنا أعطيك أجرتك)**⁽⁸⁾، فذهبت به وأرضعته حتى كبر، ثم أرجعته إلى ابنة فرعون، التي اتخذته ابناً لها وأسمته بموسى بسبب أنها انتشلتته من الماء⁽⁹⁾، ونقرأ في هذه الأحداث أن موسى قد عاد إلى بيت أمه، وعاش فيه فترة من الزمن لم تحددتها التوراة، ثم رجع إلى قصر فرعون ليعيش في

(1) بوكاي، موريس، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص193، ترجمة نخبة من السعاة، دار الكندي، بيروت، ط1، 1978م.

(2) الخروج (20/6).

(3) الخروج (16/6).

(4) ماستر فيديا، التفسير التطبيقي، ص132، بتصرف، مرجع سابق.

(5) أنظر الخروج (4-3/2).

(6) اختلف في اسم ابنة فرعون، فيرى البعض أنها حثبوت زوجة تحتمس الثاني وكانت عاقراً، ويرى آخرون أنها ابنة رمسيس الثاني الذي كان يشتهر بالقسوة واستعباد الآخرين، أنظر ماستر فيديا، التفسير التطبيقي، ص132، مرجع سابق.

(7) أنظر الخروج (6-5/2).

(8) أنظر الخروج (9-7/2).

(9) الخروج (10-9/6).

كنف ابنة فرعون وتحت رعايتها، وقد أصبح منذ ذلك الوقت ربيب ابنة فرعون، ونلاحظ كذلك عدم تحديد الزمن الذي ولد فيه موسى، ولا تحديداً لاسم فرعون مصر في ذلك الزمن، ثم تطوي التوراة مرحلةً من حياة موسى دون ذكر أي تفاصيل لتلك المرحلة، تلك المرحلة التي رجع فيها موسى إلى قصر فرعون حتى أصبح شاباً، ومن الملاحظ أن علاقة موسى بفرعون في هذه المرحلة كانت علاقة تبني دون ذكر لأي تفاصيل عن طبيعة التبني وحدوده.

المطلب الثاني: طبيعة العلاقة بين موسى وفرعون في مرحلة الشباب

بعد أن طوت التوراة دون تفاصيل تذكر حياة موسى في قصر فرعون، إنتقلت للحديث عن شباب موسى، وهي مرحلة شهدت تغيراً جذرياً في علاقة موسى بفرعون، وذلك بعد أن قتل موسى الرجل القبطي والذي يعد من أتباع فرعون، تقول التوراة في وصف عملية القتل: (وحدث في تلك الأيام لمّا كبر موسى أنه خرج إلى إخوته لينظر في أفعالهم فرأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من إخوته، فالتفت إلى هنا وهناك، ورأى أن ليس أحد فقتل المصري وطمره في الرمل)⁽¹⁾، وهنا تنسب التوراة إلى موسى تهمة القتل بشأن المصري الذي اعتدى على أخيه الإسرائيلي⁽²⁾، فعندما اطمان موسى أن ليس أحد يراه قتل المصري وأخفى جثته تحت الرمل، وفي اليوم التالي وجد موسى رجلين من العبرانيين يختصمان، فما كان منه إلا أن خاطب المذنب منهما، سائلاً إياه عن سبب ضربه لصاحبه، فرد عليه المذنب قائلاً: (من جعلك رئيساً وقاضياً علينا أمفكر بقتلي كما قتلت المصري؟؟)⁽³⁾، وكان هذا العبري يعلم بحادثة قتل المصري في اليوم السابق، وذلك إمّا عن طريق العبراني الذي نصره موسى بقتل المصري، أو بطريقة أخرى، فعلم موسى أن أمره قد فضح، وتذكر التوراة أن فرعون علم بالأمر، وطلب أن يقتل موسى، فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في أرض مدين، وجلس

(1) الخروج (11/2-12).

(2) الخولي، محمد علي، اليهود من كتابهم، ص24، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1998م، بتصريف، وانظر السقا، نقد التوراة، ص40، مرجع سابق، والخولي، محمد علي، التحريف في التوراة، ص31، دار الفلاح للنشر والتوزيع، ط1، 1999م.

(3) الخروج (14/3).

عند بئرها⁽¹⁾، وعند هذه النقطة تحوّل موسى من ربيب لابنة فرعون إلى شخص مطلوب من قبل والدها في عملية قتل لأحد أفراد شعبه، ونتيجةً لذلك انقطعت العلاقة بين موسى وفرعون مدةً زمنية، وهذه المدة غير محدّدة في نصوص التوراة، وقد سردت التوراة بعضاً من الأحداث التي عاشها موسى في مدين، ابتداءً من النقاء موسى بسبع فتياتٍ لكاهن مدين "يثرון"⁽²⁾، حيث قام موسى بسقاية الأغنام لهنّ بعد أن طردهنّ الرعاة⁽³⁾، وتزوج موسى من صفوره ابنة يثرון والتي أنجبت له ابناً أسماه "جرشوم"⁽⁴⁾، وذلك بعدما ارتضى موسى السكن عند ذلك الكاهن والزواج من إحدى بناته، مقابل عمله في رعي الأغنام عنده، دون تحديد المدة الزمنية لذلك الإتفاق، وتذكر التوراة أثناء تلك الفترة أن ملك مصر والذي كان يطارد موسى لقتله المصري قد مات، (وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر قد مات وتهدّد بنو إسرائيل من العبودية)⁽⁵⁾.

المطلب الثالث: التكليف بالرسالة في نصوص التوراة

تذكر التوراة أنّ موسى أثناء عمله في رعاية الأغنام لحماه يثرون، ساق الأغنام إلى جبل حوريب⁽⁶⁾، وهناك رأى موسى شجرة صغيرة مشتعلة ولكنها لا تحترق، فذهب ليستطلع الأمر فناداه الله من وسط تلك الشجرة، وطلب منه أن يخلع حذاءه لأنه في أرضٍ مقدّسة⁽⁷⁾، فغطّى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله كما تقول التوراة⁽⁸⁾، ثم كَلَّمَ الله موسى مبيناً له السبب

(1) الخروج (15/2).

(2) يثرون، حمو موسى كان يسكن في مدين في صحراء سيناء، وقد وصل لمعرفة الله، وكان يعمل راعياً وكاهناً، زوج موسى من ابنته صفوره، مقابل أن يعمل في خدمته ورعاية أغنامه، ومن المشكل أن التوراة ذكرت أسماء أخرى لحمو موسى مثل رعوثيل كاهن مدين، ورحوبات بن رعوثيل المديني، ورحوبات القيني، أنظر أحمد عبد الوهاب، تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، ص15، مكتبة هبة، مصر، ط1، 1989م، وانظر ماستر فيديا، التفسير التطبيقي، ص133، مرجع سابق، والبار، الله جل جلاله، ص 196، مرجع سابق.

(3) الخروج (16/2-17).

(4) الخروج (22/2).

(5) الخروج (23/2).

(6) الخروج (2/3). وهو جبل سيناء، أنظر ماستر فيديا، التفسير التطبيقي، ص183، مرجع سابق.

(7) الخروج (5/2/3).

(8) الخروج (6/3).

الذي ناداه من أجله، وهو إخراج بني إسرائيل من عبودية فرعون، وذلك بعد أن تذكّر الله بني إسرائيل، وتذكّر ميثاقه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وذلك بعد أن سمع الله أنين بني إسرائيل وصعد صراخهم إليه⁽¹⁾، (فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون، وتخرج شعبي بني إسرائيل من مصر⁽²⁾)، وعندها ظهر تردّد موسى في قبول التكليف، وعدم الرغبة في حمل الرسالة، وعدم الثقة بالنفس حيث يقول: (ومن أنا حتى أذهب إلى فرعون؟، وحتى أخرج بني إسرائيل من مصر؟)⁽³⁾، وفي موضع آخر قال له: (هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم أرسلني إليكم)⁽⁴⁾، وبعد ذلك طلب الله من موسى أن يذهب ويجمع شيوخ وزعماء بني إسرائيل، وأن يخبرهم أن إله آبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب قد ظهر له، وطلب منه أن يقود بني إسرائيل ليخرجهم من المذلة التي يعيشون تحتها في مصر⁽⁵⁾، وبحسب ما جاء في التوراة، فقد أمر الله موسى أن يذهب إلى فرعون "ملك مصر"، إذا أطاعه شيوخ وزعماء بني إسرائيل، وأن يذهبوا جميعاً إلى فرعون ويخبروه أن إله العبرانيين قد إنقاهم، وطلب منهم أن يخرجوا لعبادته⁽⁶⁾، وأخبر الله موسى مسبقاً بالنتيجة، وهي أن فرعون لن يسمح لهم أن يخرجوا من أرض مصر، (ولكني أعلم أن ملك مصر لا يدعكم تمضون)⁽⁷⁾، ونتيجة لذلك فإن الله سينزل بفرعون وقومه أشدّ الويلات والمصائب، وبعدها يطلق فرعون الإسرائيليين⁽⁸⁾، وحسب التوراة فقد طمأن الله موسى لما رآه متردداً في قبول الرسالة، وذلك بأنه سيجعل بني إسرائيل يحظون برضى المصريين وثقتهم، وطلب منه أن لا يخرج بني إسرائيل من أرض مصر فارغي الأيدي، بل عليه أن يطلب منهم أن يحتالوا على المصريين، ويستغلوا رضاهم ليلة الرحيل عن مصر، ويأخذوا متاعهم وحليهم، وبعد هذا كلّه ورغم هذا الأمان الذي أعطاه الله لموسى، نرى موسى مرة أخرى متردداً في قبول الرسالة، وهذه المرة كانت حجته بحسب زعم التوراة، خشيته أن لا

(1) الخروج (2) / (24-25).

(2) الخروج (3) / (10-12).

(3) الخروج (3) / (11).

(4) الخروج (3) / (15).

(5) الخروج (3) / (16-17).

(6) الخروج (3) / (18).

(7) الخروج (3) / (19).

(8) الخروج (3) / (20).

يصدّقه القوم بما يخبرهم به من تكليم الرب له وتكليفه بالنبوة⁽¹⁾، وفي تلك اللحظة سأله الله عمّا يحمل في يده، فأجابته بأنها عصاه، فأمره الله أن يلقبها على الأرض، فإذا هي حيّة عظيمة تتلوى، فهرب منها موسى خائفاً وجلّلاً، فقال الرب لموسى: (مُدّ يدك وامسك بذنبها فمد يده وأمسك به فصارت عصاً في يده)⁽²⁾، وأخبره الله أن هذه العصا معجزة له، ودليل صدق على دعواه، ثم أمره الله أن يدخل يده في عبه، فلما أدخلها وأخرجها فإذا هي برصاء مثل الثلج⁽³⁾، ثم أمره الله بأن يعيدها، فأخرجها فإذا هي تعود كباقي جسمه، ثم أخبره الله أنهم إذا لم يصدقوا هاتين المعجزتين، ولم يصغوا لكلامه فعليه أن يغرف من ماء النهر، وأن يسكبه على الأرض الجافّة، وعندها يتحول الماء الذي غُرف من النهر إلى دم فوق الأرض⁽⁴⁾، وبعد أن أرى الله موسى المعجزات الثلاث، عاد موسى للمجادلة مرةً أخرى وظهر تردده في قبول الرسالة، وتوسل إلى الله أن يعفيه من هذه المأمورية⁽⁵⁾، ولكن هذه المرّة بحجةٍ مختلفة، وهي أنه لا يحسن النطق، ولا يحسن الكلام الفصيح، وهذا ما يسبب له الحرج، وعدم معرفة الناس لما يقوله لهم⁽⁶⁾، فقال موسى للرب: (استمع أيها السيد لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أوّل من أمس، ولا من حين كلمت عبدك، بل أنا ثقيل الفم واللسان)⁽⁷⁾، فطمأن الله موسى أنه سيكون معه، ويلقنه ما يقول أمام فرعون وقومه، ومع ذلك استمر موسى بالجدال ومحاولة التتصل من المهمة فيقول للرب: (استمع أيها السيد أرسل بيد من ترسل)⁽⁸⁾، فعندها حمي غضب الرب على موسى لكثرة جداله وتهربه من حمل المسؤولية، ومن ثم أخبر الرب موسى أنه سيرسل معه هارون لأنه يحسن الكلام أكثر منه، فيكون ناطقاً باسمه، ويكون موسى إلهاً لهارون⁽⁹⁾، وأخبره كذلك أن هارون سيخرج لاستقباله عند عودته، وأنه سيفرح بلقائه، وأن عليه أن يلقن

(1) الخروج (4-2).

(2) الخروج (4-2/4).

(3) الخروج (6/4).

(4) الخروج (9-4).

(5) ماستر فيديا، التفسير التطبيقي، ص138، مرجع سابق.

(6) البار، الله جل جلاله، ص197، بتصرف، مرجع سابق.

(7) الخروج (10/4).

(8) الخروج (12/4).

(9) الخروج (13/4).

هارون كلام الرب ليتكلم به أمام فرعون وأمام الشعب⁽¹⁾، وبعد هذا يقتنع موسى بأن عليه حمل الرسالة، وأن يخرج بني إسرائيل من الذل والهوان الذي يعيشونه تحت حكم الفراعنة الظالمين، ثم عاد موسى إلى مدين وأخبر حماه يثرون بما حدث معه من لقاء الرب في أرض سيناء، وقال له أنه سيرجع إلى أرض مصر ليخرج قومه من ظلم فرعون، وأثناء وجود موسى في مدين أخبره الله أن جميع الأشخاص الذين كانوا يريدون قتله بسبب قتله القبطي قد ماتوا، فأخذ موسى زوجته وأولاده، وأركبهم على الدواب، ورجع إلى مصر آخذاً معه عصاه⁽²⁾، وتوردُ التوراة قصةً عجيبةً حدثت مع موسى أثناء عودته مع أهله إلى أرض مصر، وهذه القصة أشبه بالخرافات، أو قل إنَّ الخرافات أشبه بها، حيث تذكر التوراة أن الرب قرَّرَ قتل موسى أثناء عودته إلى أرض مصر، فنزل بنفسه ليقوم بهذه المهمة، وعندها أخذت صفوره "زوجةً موسى" صوانه "أي حجراً حاداً" وقطعت غرلة إينها⁽³⁾، ومست رجلي الرب بدماء ابنها وقالت له مسترحمةً: (إتك عريس دم لي فأقلع الرب عن قتل موسى)⁽⁴⁾، وقبل ذلك طلب الله من موسى أن يكمل الطريق إلى مصر، ويبلغ دعوته لفرعون وقومه، وأن يطلق تحذيراً لفرعون مفاده أنه إذا لم يؤمن بالله، ولم يرتض أن يخرج بني إسرائيل من مصر، فإن الله سيقول ابن فرعون البكر، من باب المجازاة بالمثل، كون إسرائيل الذي ينتمي إليه بنو إسرائيل ابن الله البكر⁽⁵⁾، وبعدها أمر الله هارون أن يذهب إلى الصحراء لينتقي بموسى، فذهب والنتقاء، وأخبر موسى هارون بجميع ما جرى معه من لقاء الرب وما أمره به، والآيات التي منحها إياه، ثم مضى موسى وهارون وجمعا شيوخ بني إسرائيل، وهناك تكلم هارون أمام الشعب، مخبراً إياهم بما حدث مع موسى، وأراهم هارون المعجزات التي أيد الله بها موسى، وعندما رأى بنو إسرائيل

(1) الخروج (17-14/4).

(2) الخروج (20-19/4).

(3) في إشارة لعملية الختان، والختان اسم للمحل وهي الجلدة التي تبقى بعد القطع، والتي تجري للذكور عادةً، وهي مقدمة الفرج عند الذكور، انظر ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، ص103، تقديم محمد سويد، المكتب العالمي للطباعة والنشر، بيروت، 1995، وانظر علوان، عبد الله، تربية الأولاد في الإسلام، (107/1)، دار السلام، ط2، 1978م.

(4) البار، المدخل، ص60، مرجع سابق، وانظر زنون كوسيد وفسكي، الأسطورة والحقيقة في التوراة، ص97، ترجمة د. محمد مخلوف، دار الأهالي للطباعة والنشر، ط1، 1996م، بتصرف.

(5) الخروج (23-21/4).

هذه المعجزات علموا أن الرب قد افتقدهم وأنه أراد أن يخرجهم من العبودية والذل، فخرؤا له ساجدين⁽¹⁾، وعند هذه النقطة إبتدأت مرحلة جديدة، هي المرحلة العملية في الدعوة إلى الله أمام فرعون، والمواجهة مع الباطل.

(1) الخروج (31-27/4).

المبحث الثالث: مقارنه لأحداث هذه المرحلة بين القرآن والتوراة

عند دراسة قصة موسى مع فرعون من ميلاده إلى بعثته في كل من القرآن والتوراة، نجد أن بعضاً من أحداث هذه المرحلة يتوافق ذكر التوراة لها مع ما أثبتته القرآن الكريم، والبعض الآخر يختلف اختلافاً جزئياً أو كلياً بين الكتابين، وسأعرض من خلال هذا المبحث أوجه الاتفاق والاختلاف لأحداث هذه المرحلة بين نصوص الكتابين مستهلاً بالتوافق ثم بالاختلاف.

المطلب الأول: المتفق عليه بين الكتابين من أحداث هذه المرحلة

التصريح باسم موسى والسكوت عن اسم فرعون

ورد اسم موسى في كتاب الله صراحةً مائة وستاً وثلاثين مرة⁽¹⁾، وورد اسم موسى كذلك في نصوص التوراة الكثير الكثير، ولم يُعدّل في أي من الكتابين عن تسمية موسى بغير اسمه، بينما نجد أن اسم فرعون لم يرد في كل من القرآن والتوراة صراحةً، بل عُدل عن ذلك إلى لقبه، وهذا ما يتناسب مع الفائدة المرجوة من إيراد القصة، وهو أخذ العبرة والعظة وليس السرد التاريخي فحسب.

الإبهام في زمن ولادة موسى وفرعون ووفاتهما

لا يستطيع أحد أن يجزم بمعرفة تاريخ ولادة كل من موسى وفرعون ووفاتهما من خلال دراسة قصة موسى مع فرعون في كل من القرآن والتوراة، حيث لا يوجد في كلا الكتابين أي تحديد للزمن الذي وُلد فيه موسى وفرعون أو الزمن الذي توفيا فيه⁽²⁾.

(1) الخالدي، القصص القرآني، (270/2)، مرجع سابق.

(2) البار، الله جل جلاله، ص186، بتصريف، مرجع سابق.

طبيعة الأجواء التي ولد فيها موسى عليه السلام

مَهَّدَ الْقُرْآنُ عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنَ وِلَادَةِ مُوسَى بِالظَّرُوفِ الصَّعْبَةِ الَّتِي كَانَ يَعْيشُهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، فَقَدْ أَسْتَعْلَى فِرْعَوْنُ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْعَاءً، يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ، يَذْبَحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْخَرُ نِسَاءَهُمْ لِلْخِدْمَةِ وَالْعَمَلِ تَحْتَ إِمْرَتِهِ، وَتَحَدَّثَتِ التَّوْرَةُ كَذَلِكَ عَنَ هَذِهِ الْأَجْوَاءِ، فَقَدْ ذَكَرَتْ أَنَّ مَلِكًا جَدِيدًا قَدْ حَكَمَ مِصْرَ، وَكَانَ هَذَا الْمَلِكُ يُكْنَى الْحَقْدَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَمَرَ بِتَقْتِيلِ ذَكَورِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْمَوْلِيدِ الْجَدِيدِ، وَتَسْخِيرِ رِجَالِهِمْ وَنِسَائِهِمْ لِلْعَمَلِ فِي خِدْمَتِهِ وَبِنَاءِ الْمَدِينِ الضَّخْمَةِ⁽¹⁾.

إلقاء موسى في اليم

عِنْدَمَا تَحَدَّثُ الْقُرْآنُ عَنَ وِلَادَةِ مُوسَى ذَكَرَ خَوْفَ أُمِّهِ عَلَيْهِ، وَمَا آلَ إِلَيْهِ هَذَا الْخَوْفُ فِيمَا بَعْدَ بَأْنِ وَضَعَتِ مُوسَى فِي التَّابُوتِ، وَأَلْقَتْ بِهِ فِي الْيَمِ، قَالَ تَعَالَى: [إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ * أَنْ أَلْقِيهِ فِي الْتَّابُوتِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِ⁽²⁾]، وَتَوَرَّدَتِ التَّوْرَةُ هَذَا الْحَدِيثَ، (فَقَدْ خَبَّأَتْ أُمُّ مُوسَى وَوَلِيدَهَا بَعْدَ خَوْفِهَا عَلَيْهِ مِنَ الْقَتْلِ دَاخِلَ صَنْدُوقٍ وَأَلْقَتْ بِهِ فِي الْيَمِ)⁽³⁾، فَكَلَا الْكِتَابَيْنِ يَذْكَرُ حَادِثَةَ وَضَعِ مُوسَى فِي التَّابُوتِ ثُمَّ الْقَذْفِ بِهِ دَاخِلَ الْيَمِ مِنْ قَبْلِ أُمِّهِ بَعْدَ خَوْفِهَا عَلَيْهِ.

الأخت المراقبة

ذَكَرَ الْقُرْآنُ أُخْتَ مُوسَى وَدَوْرَهَا فِي مِرَاقِبَةِ تَابُوتِ مُوسَى فِي الْيَمِ بِإِيْعَازِ مَنْ أُمَمَهَا، [وَقَالَتْ لِأُخْتَيْهِ قُصِّيه فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ]⁽⁴⁾، وَاسْتَمَرَّتْ أُخْتُهُ فِي الْمِرَاقِبَةِ الْحَذْرَةَ، حَتَّى وَقَعَ مُوسَى فِي يَدِ آلِ فِرْعَوْنَ، ثُمَّ تَدَخَّلَتْ فِي اللَّحْظَةِ الْمُنَاسِبَةِ لِنَقْتَرِحَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَرشُدَهُمْ إِلَى مَنْ تَكُونُ لَهُ مِرْضَعَةٌ وَمَرْبِيَةٌ، [فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ

(1) المرجع السابق، ص 185، بتصرف.

(2) طه (39).

(3) الخروج (2/2).

(4) القصص (11).

يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ⁽¹⁾، وتذكر التوراة هذه الحادثة فنقول: (ووقفت أخته من بعيد لتعرفَ ماذا يفعل به)⁽²⁾، كما وتذكر التوراة تدخل الأخت عند القصر الفرعوني لكي ترشدهم إلى من يتولَّى إرضاع ورعاية موسى، (فقالَت أخته لابنة فرعون هل أذهب وأدعو لك امرأة مَرَضِعَةً من العبرانيات لترضع لك الولد)⁽³⁾.

إرضاع موسى على نفقة فرعون

بعد أن احتار القوم في شأن الوليد الصغير، وأرشد الله أخته لكي تتدخل في اللحظة المناسبة، وأحضرت أم موسى لكي ترضعه، وبعد قبوله ثديها استقر الرأي على أن تكون له مرضعاً، وكان هذا على نفقة فرعون، ويقراً هذا في قوله تعالى على لسان فرعون عندما أخذ يميناً على موسى بعد أن رفض دعوته، [قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ⁽⁴⁾، أي أنسيت أنك الذي ربيناك صغيراً في بيتنا، وعلى فراشنا، فعشت بيننا في نعمة ورخاء؟⁽⁵⁾، وتذكر التوراة أن ابنة فرعون أعطت أمه الأجرة على إرضاعه، فقالت ابنة فرعون: (إذهبي بهذا الولد فأرضعيه لي وأنا أعطيك أجرتك)⁽⁶⁾، وما هذا المال إلا مال فرعون، صاحب المال والسلطان في القصر.

رجوع موسى إلى حضن أمه

ذكر القرآن رجوع موسى إلى حضن أمه، لكي يعيش في كنفها وتحت رعايتها، تحقيقاً لوعده الله لها برده لها [فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ⁽⁷⁾، وأشارت التوراة لهذا

(1) القصص (12).

(2) الخروج (4/2).

(3) الخروج (7/2).

(4) الشعراء (18).

(5) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لإحكام القرآن، م7 (ج13/65)، دار الكتب العلمية، 1993م.

(6) الخروج (9/2).

(7) القصص (13).

الأمر أيضاً (فأخذت المرأة الولد وأرضعته)⁽¹⁾، وذلك بعد ما طلبت ابنة فرعون من أخت موسى أن تحضر من يرضع لها الوليد الصغير.

لا تفاصيل عن طفولة موسى

سكتَ القرآن عن تفاصيل حياة موسى بعد رجوعه إلى أمّه كي ترضعه، ولم يُبيّن القرآن كيف كانت حياته بعد ذلك، وانتقل مباشرةً للحديث عن شباب موسى⁽²⁾، وعند قراءة نصوص التوراة لا نجد تفصيلاً لحياة موسى في طفولته مع الإشارة إلى أننا نستطيع أن نقول: أن موسى قد رجع إلى قصر فرعون ليعيش فيه بعد أن أخذته أمه لإرضاعه بالأجرة، ويظهر هذا من خلال دراسة حياة موسى من خلال آيات القرآن ونصوص التوراة، فقد تمنن فرعون على موسى بتربيته موسى صغيراً في بيته سنيماً من عمره، [قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ]⁽³⁾، وما هذه السنين إلا سنين طفولته، كون موسى رجع إلى أمه مباشرة بعدما امتنع عن قبول المراضع التي أحضرت لكي ترضعه، وقطعاً لا تكون الفترة الزمنية التي مكثها في قصر فرعون منذ أن التقطه آل فرعون حتى إرجاعه إلى أمه فترة طويلة حتى تقدر بالسنين، كون الوليد الصغير لا يستطيع احتمال هذه الفترة دون الحصول على حليب أمّه أو ما يسد مكانه، فقد رجع إلى أمّه وأرضع هناك حتى كبر، ثم عاد إلى قصر فرعون ليعيش فيه، وهذه الفترة المقصودة في قوله [وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ]⁽⁴⁾، وتصريح التوراة كذلك برجوع موسى إلى قصر فرعون ليعيش كربيب لابنة فرعون⁽⁵⁾، وكل ذلك دون الحديث عن تفاصيل تذكر عن طبيعة حياة موسى في طفولته، فلا نعلم كيف كانت علاقته بأمّه ولا بفرعون، ولا بمن حوله، فقد سكت الكتابان عن ذلك.

(1) الخروج (9/2).

(2) الخالدي، مع قصص السابقين، ص83، مرجع سابق.

(3) الشعراء (18).

(4) الشعراء (18).

(5) انظر سفر الخروج (10/2).

فرار موسى إلى مدين بعد قتل القبطي

وردت حادثة قتل موسى الرجل القبطي في كل من القرآن والتوراة، ونتيجةً لهذه الحادثة، فرَّ موسى من وجه فرعون إلى مدين هارباً خائفاً، ممتلاً قلبه بالرجاء، لكي ينجيه الله من بطش فرعون وجبروته، وقد أُشير في الكتابين إلى أن موسى وردَ ماء مدين، قال تعالى: [خَرَجَ مِنْهَا خَائِيفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ * وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ⁽¹⁾]، وتشير التوراة كذلك إلى وقوع هذا الأمر، (فسمع فرعون بقتل موسى القبطي، فطلب أن يقتل موسى، فهرب من وجه فرعون وسكن في أرض مدين وجلس عند البئر)⁽²⁾.

موسى يرعى الغنم في مدين

كان موسى فتياً نبيلاً، أثار في نفس الشيخ وابنتيه اللتين سقى لهما أغنامهما عند البئر عوامل الإعجاب، ولهذا قالت إحداهما: [يَتَأَبَّتْ أَسْتَجِرُّهُ إِنِّ خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجَرَّتْ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ⁽³⁾]، وقد طلب الشيخ من موسى أن يعمل عنده في رعاية الأغنام مقابل أن يزوجه من إحدى بناته، فوافق موسى على ذلك، وتتفق التوراة مع القرآن بأن موسى كان يرعى الأغنام في أرض مدين، بعدما ارتضى أن يسكن مع الرجل الذي سقى لبناته الأغنام عند بئر مدين، تقول التوراة: (وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مدين)⁽⁴⁾.

موسى يكلف بالرسالة في طور سيناء

تتفق التوراة مع القرآن بأن موسى كلف بالرسالة عند جبل الطور، أو ما يسمى في نصوص التوراة بجبل "حوريب"، وذلك أثناء وجوده في صحراء سيناء، وبعد أن رأى ناراً تنشق من شجرة تقدم كي يستطلع الأمر، فناداه الله من تلك الشجرة، وأمره أن يخلع نعليه تعظيماً لهذه

(1) القصص (21-23).

(2) الخروج (15/2).

(3) القصص (26).

(4) الخروج (1/3).

البقعة المباركة⁽¹⁾، مبيناً له أنه اختاره لحمل رسالته، وتبليغ دعوته، وفي ذلك الموقف يذكر الكتابان أن الله خص موسى بالتكليم مباشرةً دون وساطة⁽²⁾، وأن الله سأل موسى عما يحمل في يده، [وَمَا تَلَكَّ بِيَمِينِكَ يَمُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأُشُّهُ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَغَارِبٌ أُخْرَىٰ]⁽³⁾، وفي التوراة: (فقال له الرب ما هذه في يدك فقال عصا)⁽⁴⁾، وبعدها أمره الله أن يلقي عصاه، فتحولت إلى ثعبان يسعى، مما أخافه ودفعه للهرب من وجه ذلك الثعبان، فأمره الله بالعودة وأخذ العصا لتعود إلى أصلها وكانت تلك هي المعجزة الأولى لموسى حسب ما جاء في الكتابين، ويتفق الكتابان كذلك على أن الله أمد موسى بالمعجزة الثانية، وهي معجزة اليد البيضاء، قال تعالى: [وَأَضْمَمُ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ]⁽⁵⁾، وفي التوراة: (ثم قال الرب أيضاً أدخل يدك في عبك فأدخل يده في عبه، ثم أخرجها فإذا هي برصاء مثل الثلج)⁽⁶⁾. وعبُّ الرجل هو كفه⁽⁷⁾، والكم هو مدخل اليد ومخرجها من الثوب⁽⁸⁾.

الأمر بالذهاب إلى فرعون وإخراج بني إسرائيل من عبوديته

بعدما كُلف موسى بالرسالة، وأُيد بالمعجزات، أمره الله أن ينطلق إلى فرعون، ويعرض عليه الإيمان بالله، وأن يطلب منه أن يطلق بني إسرائيل من عبوديته، وأن يعطيهم حرية العبادة، قال تعالى: [فَأَتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ]⁽¹⁾، وتقول التوراة: (الآن هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبي بني إسرائيل من مصر)⁽²⁾.

(1) بيومي، قصص القرآن، ص249، مرجع سابق، والبار، الله جل جلاله، ص197، مرجع سابق، والخروج، (5/3).

(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي، (2845/5) مرجع سابق، والخروج (5-4/3).

(3) طه (17-18).

(4) الخروج (2/4).

(5) طه (22).

(6) الخروج (4-3/4).

(7) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، باب العين، ص608، مرجع سابق.

(8) المرجع السابق، باب الكاف، ص834.

(1) طه (47).

(2) الخروج (10/3).

الإشارة إلى عقدة اللسان

يتضح لنا من قراءة قصة موسى في كل من القرآن والتوراة، أنه كان يعاني من عقدة في لسانه، ولم يرد في كلا الكتابين بيانٌ لسبب هذه العقدة، وقد أكتفى الكتابان بالإشارة إلى هذه العقدة، التي كانت تسبب الحرج لموسى، كما بين الله على لسان موسى قائلًا: [وَأَحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي]⁽¹⁾، وجاء في التوراة أيضاً (فقال موسى للرب استمع أيها السيد أنا لست صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس ولا من حين كلمت عبدك بل أنا ثقيل الفم واللسان)⁽²⁾.

المطلب الثاني: أوجه الاختلاف بين الكتابين في هذه المرحلة

عند دراسة أحداث هذه المرحلة في نصوص القرآن والتوراة، نجد تناقضاً وتبايناً واضحاً في الكثير من أحداث هذه المرحلة بين الكتابين سواء كانت هذه الأحداث أحداثاً أساسية ورئيسية أو كانت تفاصيلاً دقيقة ثانوية، وبعض هذه التناقضات يظهر في مجال العقيدة وما يتعلق بالله، ومنها ما يتعلق بشخصية موسى وشخص هذه المرحلة، ومنها ما يتعلق ببعض الأحداث الواردة في الكتابين، وسأقدم عرضاً أبين من خلاله أوجه الاختلاف بين الكتابين كما جاءت في نصوص القرآن والتوراة.

أولاً: الاختلاف في حقيقة الله وصفاته

تختلف الفكرة عن الله سبحانه وتعالى في القرآن عن تلك الفكرة التي تجسدها التوراة، فالله في القرآن هو رب العالمين الذي لا شريك له في ملكه ولا مدبر معه لشؤون خلقه، رب للجميع، وخالق كل شيء، متصفٌ بصفات الكمال والجلال والجمال، متنزّه عن كل صفات النقص والتشبه بالمخلوقات [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ]⁽¹⁾، أمّا الفكرة عن الله في التوراة فهي تعني أن الله إلهٌ خاصٌ ببني إسرائيل، وهم شعبه المختار دون سائر الخلق، وهو

(1) طه (27-28).

(2) الخروج (10/4).

(1) الشورى (11).

إله الحرية، إله الإنتقام من أعداء بني إسرائيل، سريع الغضب، المتقلب المتغير المتجسد⁽¹⁾، وهذه صفات الله التي ذكرت في التوراة عند الحديث عن قصة موسى مع فرعون من ميلاده إلى بعثته، والتي تتناقض تناقضاً واضحاً مع ما أثبتته الله لنفسه في كتابه العزيز.

الإله ينسى ويتذكر

جاء في سفر الخروج (فسمع الله أنينهم أي "بني إسرائيل" فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب)⁽²⁾، وهذا النص ينسب التذكر إلى الله، والتذكر يستوجب النسيان، فهل ينسى الله؟؟ هكذا تقول التوراة، صفةً من صفات البشر، وهي صفةً من صفات النقص تنسب إلى الله، والقرآن نفى النسيان عن الله تعالى بقوله [وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا]⁽³⁾، أي أنه تعالى لا ينسى شيئاً من ملكه حتى يخنل بإهماله، وما كان ربك ناسياً ثوابه لعباده المؤمنين وعقابه للمسيئين ولا ينسى أحداً فيهمله⁽⁴⁾.

الله يأمر بالسرقة والاحتتيال!!

جاء في سفر الخروج أن الله أمر موسى أن يخبر قومه بأن عليهم أن يأخذوا الملابس والذهب من المصريين ليلة رحيلهم من مصر، ويخبروهم أنهم سيعيدوها لهم بعد حين، ثم يقوم بنو إسرائيل بعد ذلك بأخذ كل هذا المتاع من الحلبي والملابس ويهربوا به دون أن يعيدوه إلى أصحابه، وهذا أمرٌ صريحٌ بالاحتتيال من أجل السرقة⁽¹⁾، والقرآن المنزّل من عند الله فيه الأمر بالخير كلّهُ، والنهي عن الشر كله، ومن هذا الشر السرقة بكل أشكالها وألوانها، وقد جعل الله لمن يرتكب السرقة جزاءً شنيعاً تشمئز منه النفوس الكريمة، وتنفّر منه الطباع السليمة، وهو

(1) السيد سعد الدين الصالح، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، ص309، مكتبة الصحابة، جده، ومكتبة التابعين، القاهرة، ط2، 1416هـ.

(2) الخروج (24/2).

(3) مريم (64).

(4) أبو السعود، تفسير أبي السعود، (250/4)، مرجع سابق.

(1) الخولي، اليهود من كتابهم، ص14، مرجع سابق.

قطع اليد، قال تعالى: [وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا تَكَلَّافًا مِنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ]⁽¹⁾.

إسرائيل ابن الرب البكر

تزعّم التوراة أن إسرائيل هو الإبن الأكبر للرب، وجاء ذلك بإقرار الرب كما تقول التوراة: (فتقول فرعون هكذا يقول الرب: إسرائيل إبني البكر، فقلت لك أطلق إبني "أي إسرائيل" ليعبدي، فأبيت أن تطلقه ها أنا أقتل ابنك البكر)⁽²⁾، ويقصد هنا بإسرائيل الذي طلب الله إطلاقه هم بنو إسرائيل الذين كان يستعبدهم فرعون هم ومن جاء من نسلهم فيما بعد، وإسرائيل كلمة عبرية تتكون من مقطعين الأول "إسر" بمعنى "عبد" والثاني "إيل" بمعنى "الله"، فيكون معنى "إسرائيل" عبد الله، وإسرائيل هو يعقوب عليه السلام⁽³⁾، فهذا هي التوراة تدّعي أن الله ابناً هو إسرائيل، والفرق بين ما جاء في التوراة في هذا الشأن من الخرافات، وبين ما أثبتته الله لنفسه من الكمال والنتزه عن النقائص، أكثر وضوحاً من القمر ليلة البدر في السماء الصافية، فقد نزه الله نفسه عن اتخاذ الولد [وَمَا يُبْغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا]⁽⁴⁾، أي لا يليق بالله اتخاذ الولد لأن الولد بضعة من الوالد، فهو يشبهه والله تعالى لا شبيه له ولا مثيل ولا سميّ، واتخاذ الولد يدل على نقصه واحتياجه وهو الغني الحميد⁽¹⁾، تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

التوراة وخداع الرب

تدّعي التوراة أن صفوره زوجة موسى استطاعت أن تخدع الرب، وتزعّم التوراة أن الرب قد غضب على موسى غضباً شديداً لأن موسى كان جباناً مثل بقية بني إسرائيل ورفض بدايةً أمر الرب بأن يذهب إلى فرعون خوفاً وفاقاً منه، وأعلن الرب أنه سينزل ليقتل موسى

(1) المائدة (38).

(2) الخروج (24/4-26).

(3) السفاف، أباكار، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ص99، مكتبة مدبولي، مصر، ط2، 1997م.

(4) مريم (92).

(1) انظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (187/3)، مرجع سابق، والبروسوي، تنوير الأزهار، (423/2)، مرجع سابق.

لأنه رفض أن ينقذ إسرائيل "ابن الله البكر" من يد فرعون⁽¹⁾، تقول التوراة: (وحدث في الطريق أن الرب ألتقاه وطلب أن يقتله)⁽²⁾، وفي التو تدرك صفوره أن الرب يريد قتله، فتأخذ بيدها قطعة من حجر الصوان وتجري لابنها عملية الختان، وتلمس بعد ذلك أرجل موسى بالدم الناتج عن عملية الختان لأبنها⁽³⁾، وقالت حينئذ: (إنك عريس دم لي)⁽⁴⁾، وقامت صفوره بعملية الختان لابنها لإنقاذ زوجها من القتل على يد الرب الذي ثارت ثائرتة لأن موسى لم يكن قد إختتن بالإضافة إلى أنه رفض أن ينقذ بني إسرائيل من يد فرعون، ومست قدمي موسى بالدم لتظهر للرب أن موسى قد أختن⁽⁵⁾، واقتنع الرب بذلك، وانفك عن قتله، واستطاعت بذلك زوجة موسى أن تخدع الرب، وهل يعقل هذا؟؟ الله مدبر السماوات والأرض، الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، تخدعه امرأة من مخلوقاته!! ومن؟؟ زوجة نبيه وكليمه الذي شرفه الله بحمل رسالته وإعلاء كلمته، وهو الذي يعلم السر وما يخفى، تنزه الله عما تقول ألسنتهم بهتاناً وزوراً.

ثانياً: المختلف عليه من أحداث هذه المرحلة بين الكتابين

بعد الحديث عن التناقض الواضح في حقيقة الإله بين القرآن والتوراة، من خلال دراسة هذه المرحلة من قصة موسى مع فرعون من ميلاده إلى بعثته، أتعرض للحديث عن الاختلاف بين الكتابين في أحداث هذه المرحلة، سواء كان هذا الاختلاف جزئياً أو كلياً.

في التوراة تفاصيل أكثر عن أحوال بني إسرائيل قبل ولادة موسى

عند الحديث في التوراة عن الأجواء التي تزامنت مع ولادة موسى، نجد سرداً لتفاصيل لم ترد في القرآن الكريم، حيث اكتفى القرآن بالإشارة إلى الأجواء العامة التي ترافق معها مولد موسى، وهذه الأجواء هي فساد فرعون في الأرض، واستعباد بني إسرائيل، وتقتيل مواليدهم

(1) البار، الله جل جلاله، ص36، مرجع سابق.

(2) الخروج (24/4).

(3) الزيايدي، محمد منير، الرسالة وبنو إسرائيل، (اليهودية)، ص44، 1991م.

(4) الخروج (24/4).

(5) أحمد عبد الوهاب، تعدد نساء الأنبياء، ص16، مع بعض التصرف، مرجع سابق.

الذكور واستحياء الإناث منهم، أمّا التّوراة فتورد تفاصيلاً أخرى لم ترد في القرآن، وتتحدث هذه التفاصيل عن طبيعة الاستعباد، فتذكر أن فرعون سخرّ الإسرائيليّين لبناء المدن الضخمة مثل فيثوم ورعمسيس⁽¹⁾، وكذلك توكيل فرعون لقابليّتي العبرانيّات مراقبة ولادة نساء العبرانيّين، وقتل مواليدهم الذكور، وموقف القابلتين من هذا الأمر والاحتيايل على قرار فرعون، ولا نجد في القرآن ذكراً لقابليّتي العبرانيّات، ولا إشارةً لاستخدام الإسرائيليّين في بناء المدن الضخمة.

في القرآن... لا تفاصيل عن أفراد عائلة موسى

إكتفى القرآن في حديثه عن عائلة موسى عندما قصّ علينا قصته، بالإشارة إلى هارون، أخ موسى وشريكه في حمل الرسالة، وكذلك الإشارة إلى أمّه دون تفاصيل عن إسمها وطبيعة حياتها، وكذلك الإشارة إلى أخت موسى ودورها بعد ولادة موسى وإلقائه في اليم، دون تفاصيل عنها، ولا يذكر القرآن شيئاً عن أفراد العائلة الآخرين، مثل والده وزوجته وأبنائه، بينما نجد شيئاً من التفصيل في التوراة عن عائلة موسى، فوالد موسى الذي تسميه التوراة "عمرام" تزوج من عمته "يوكابد"⁽²⁾، وهما ينتسبان إلى بيت لاوي بن يعقوب عليه السلام، بالإضافة إلى أخت موسى، ونجد في التوراة ذكراً لزوجة موسى "صفوره" ابنة كاهن مدين، ويأتي هذا تمشياً مع أسلوب القرآن في إيراد القصة، حيث يهتم بالعبرة والعظة، ويبتعد عن السرد التاريخي الخالي من الفائدة.

وصف حال أم موسى عند الولادة

عندما تحدث القرآن عن ولادة موسى وصف حالة الخوف التي عاشتها أمه وصفاً دقيقاً، تلك الأم التي ملأ الرعب والخوف فؤادها، فأصبحت لا تفكر بشيء من الدنيا سوى موسى، وقد ذكر القرآن الإيحاء إلى أم موسى بإرضاعه ووضعها في التابوت وإلقائه في اليم، ولم يكن ذلك بمبادرة شخصية منها، ثم ذكر تظمين الله لها على وليدها الصغير، والوعد برده لها سالماً، وبعد ذلك أنه سيكون من المرسلين، [وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ

(1) الخروج (11/1).

(2) الخروج (20/6).

فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ⁽¹⁾، بينما لا تذكر التوراة شيئاً عن حال أم موسى عند ولادته سوى خوفها، وإخفائها موسى ثلاثة أشهر من وجه فرعون وأتباعه، ثم وضعته في تابوت وألقته في اليم، وهذا الأمر يظهر من خلال التوراة أنه صدر من تلقاء نفس أم موسى ولم يكن بإيحاء من الله لها، وكيف يعقل أن ترمي الأم الخائفة الملتاعة مولودها في النهر؟؟ ولم تذكر التوراة البشرية لأم موسى برده لها ولا أنه سيكون في كبره من المرسلين.

لا ذكر لزوج فرعون في التوراة

عندما تحدثت التوراة عن النقاط موسى من النهر، ذكرت أن ابنة فرعون هي التي رأت الصندوق الذي وضع فيه موسى، وذلك أثناء نزولها للاستحمام في النهر⁽²⁾، ولا تذكر التوراة شيئاً عن زوجة فرعون، بل تذكر أن ابنة فرعون هي من كان لها الدور في حضانة موسى، وتربيته في القصر، وذلك بعدما رق له قلبها، بينما يذكر القرآن أن زوجة فرعون هي من قامت بحماية موسى من بطش فرعون، والمدافعة عنه ورعايته، ويذكر القرآن مجادلتها لزوجها حتى وافق على عدم قتله [وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا]⁽¹⁾، بالإضافة إلى أن التوراة لم تذكر حادثة تحريم المراضع على موسى والتي ذكرها القرآن في معرض الحديث عن تحقيق الوعد لأم موسى برده إليها سالمًا من عدو الإسرائيليين الأول فرعون.

منشأ تسمية موسى بهذا الاسم

لم يذكر القرآن شيئاً عن سبب تسمية موسى بهذا الاسم، وذلك لاهتمام القرآن بإبراز العبرة والعظة من أحداث القصة، وعدم تركيزه على التفاصيل التي لا تتعلق بهذه الفائدة، بينما تذكر التوراة أن منشأ تسمية موسى بهذا الاسم هو ابنة فرعون، والتي قامت بانتشال موسى من

(1) القصص (7).

(2) الخروج (5/2).

(1) القصص (9).

النهر، وقد أَسَمته بهذا الاسم عندما أعادته أمه إليها بعد انقضاء الفترة التي عاشها في كنفها ورعايتها، وقد علّلت ابنة فرعون سبب التسمية بهذا الاسم بأنها انتشلتها من بين الماء (1)، كون كلمه "موسى" مكونة من مقطعين، الأول "مو" والتي تعني الماء في اللغة المصرية القديمة، والثاني: "شا" والتي تأتي بمعنى "الشجر" حيث وجد في النهر (2).

موسى والقَتيل

المتتبع لسير الأنبياء قبل نبوتهم، يجدها شاهدة بأنهم أبعد الناس عن المعاصي، كبائرهما وصغائرهما، لعلو فطرة كل رسول، وصفاء نفسه، وسمو روحه، ليكون أنموذجاً بين قومه، في أخلاقه ومعاملاته وأمانته، وفي بعده عن ارتكاب القبائح التي تنفّر منها العقول السليمة والطباع المستقيمة، وذلك حتى لا يكون هناك مطاعن في رسالته ودعوته (3)، ومن هؤلاء الرسل نبي الله موسى، الذي اختاره الله من صفوة البشر، ورعاه منذ الصغر على عينه، كما قال تعالى: [وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي] (1)، وجعله من المصطفين الأخيار المعصومين من الكبائر قبل النبوة وبعدها (2)، لكن التوراة المحرّفة تأبى إلا أن تلصق بموسى أبشع الأفعال وأقبحها، وعلى رأسها تهمة القتل العمد، وذلك حين أشارت التوراة إلى أن موسى قتل الرجل القبطي عمداً، بعدما نظر حوله فتأكد من خلّو المكان من الشهود، فقرر قتل الرجل ودفنه (3) تقول التوراة: (نظر إلى هنا وهناك ورأى أن ليس أحد فقتل المصري وطمره في الرمل) (4)، ولا تذكر التوراة شيئاً يدل على أن موسى ندم على هذا العمل، مما يلصق تهمة القتل العمد بموسى، بينما نجد أن القرآن بعيداً كل البعد عن إلصاق تهمة القتل العمد بموسى، إذ عبر بلفظ الوكز وهو الضرب بجمع الكف في

(1) الخروج (10/2).

(2) طيارة، مع الأنبياء في القرآن، ص219، مرجع سابق.

(3) الميداني، حبكة عبد الرحمن، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص338، دار القلم، دمشق، ط7، 1994.

(1) طه (39).

(2) انظر أقوال العلماء في عصمة الأنبياء، الصابوني، محمد علي، النبوة والأنبياء، ص53، ط1980، مع بعض التصرف.

(3) الخولي، التحريف في التوراة، ص31، مرجع سابق.

(4) الخروج (12/2).

الصدر⁽¹⁾، فلم يضربه بآلةٍ من شأنها القتل عادة، كالأدوات الحادة أو الحجارة وغيرها، وقد أورد القرآن ندم موسى على هذه الفعلة واستغفاره والإقرار بأنها من عمل الشيطان، وطلب الرحمة والمغفرة من الله تعالى: [قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ]⁽²⁾، وشتان بين القصتين.

موسى وصاحب النصيحة

قصّ علينا رب العزة في سورة القصص حادثة قتل موسى الرجل القبطي، وبعدهما فضح أمر موسى، إجتمع المملأ من قوم فرعون ياتّمرون به ليقتلوه، ويشير القرآن إلى رجل حريص على حياة موسى جاءه مسرعاً من أقصى المدينة ليخبر موسى بخبر القوم الذين اجتمعوا لقتله، ويسدي له النصيحة بالخروج من مصر ليحول ذلك دون قتله، قال تعالى: [وَجَاءَ رَجُلٌ

مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ]⁽¹⁾، وقد استجاب موسى لتلك النصيحة، وخرج من مصر متجهاً نحو مدين، فاراً من بطش فرعون وقومه، راجياً رحمة الله وفضله، ويرجح الشهيد سيد قطب أنّ هذا الرجل هو مؤمن آل فرعون الذي كان يكتنم إيمانه، والذي جاء ذكره في سورة غافر⁽²⁾، وقد سكت القرآن عن اسم هذا الرجل، ويذكر البعض من أهل التأويل أن اسمه "حزقييل"، وقيل: اسمه "شمعون"، وقيل: اسمه "سمعان"⁽³⁾، ولا تذكر التوراة شيئاً عن هذا الرجل، ولا عن نصيحته التي أسداها لموسى، وتكتفي التوراة بالإشارة إلى أن موسى فرّ هارباً إلى مدين من تلقاء نفسه دون أن يوجهه أحد أو يقدم له أي نصيحة⁽⁴⁾.

(1) ابن منظور، لسان العرب، باب الكاف، مادة وكز، (430/5)، مرجع سابق.

(2) القصص (15-16)

(1) القصص (20).

(2) قطب، الظلال، (6،335)، مرجع سابق.

(3) البغوي، معالم التنزيل، (378/3)، مرجع سابق.

(4) الخروج (15-14/2).

في أرض مدين

بعد أن ذكر هروب موسى إلى أرض مدين من وجه فرعون في كل من القرآن والتوراة، تطل علينا اختلافاتٌ طفيفة في تفاصيل هذه القصة بين الكتابين، فالقرآن يذكر أن موسى وجد فتاتين تمنعان أغنامهما من ورود الماء لئلا تختلط بأغنام الرجال عند البئر، بينما تذكر التوراة أن موسى وجد سبع فتيات ليثرون كاهن مدين⁽¹⁾، والقرآن يذكر أن موسى اتفق مع والد الفتاتين على أن يقوم بالعمل عنده في رعاية أغنامه وخدمته ثماني سنين أو عشرًا على التخيير، مقابل أن يزوجه إحدى بناته، وذلك بعدما أشارت عليه إحدى بناته باستئجار موسى لمَّا رأت من أمانته وقوته ما رأت، ولا نجد شيئاً عن هذا الإتفاق بين موسى والرجل في التوراة، ولا تحديداً لعدد السنوات التي مكثها موسى في مدين، وتذكر التوراة زواج موسى من صفوره إينة يثرون كاهن مدين والتي أنجبت له جرشوم⁽²⁾، بينما سكت القرآن عن اسم زوجته واسم والدها، ولم يشر إلى جرشوم، فكل ذلك من مبهمات القرآن الكريم.

موت فرعون أثناء وجود موسى في مدين

تذكر التوراة أن فرعون الذي كان يطلب موسى لقتله قد مات أثناء وجود موسى في أرض مدين، تقول التوراة: (وحدث في تلك الأيام أي زمن وجود موسى في مدين أن ملك مصر قد مات)⁽³⁾، ثم جاء فرعون آخر ليحل محله، وهو الذي بُعث إليه موسى حسب رأي التوراة، بينما لا نجد شيئاً في القرآن يؤيد هذا الكلام، والظاهر أن موسى واجه فرعوناً واحداً، ولم يتحدث القرآن عن أكثر من فرعون، ولا يوجد دليل بين أيدينا يثبت أن موسى قد واجه أكثر من فرعون⁽⁴⁾.

(1) البار، الله جل جلاله، ص196، مرجع سابق.

(2) الخروج (22/2).

(3) الخروج (23/2)، والخروج (19/4).

(4) قاسم خضر، شخصية فرعون في القرآن، ص90، بتصرف، مرجع سابق.

حال موسى عند التكليف بالرسالة

يذكر القرآن أن موسى بعدما أتمَّ العهد الذي بينه وبين الرجل الذي استضافه في بيته، قد سارَ بأهله قافلاً إلى أرض مصر، وفي صحراء سيناء وبالتحديد عند جبل الطور، ناداه الله بعدما دخل موسى الوادي المقدس ليستطلع أمر الشجرة التي تنقد ناراً، [فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوَسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ]⁽¹⁾، بينما لا تذكر التوراة أن موسى قد كُفِّ بالرسالة أثناء عودته إلى مصر، حيث تذكر أن موسى كان يرعى الغنم لحميه "يثرون" عند جبل حوريب، وعندها رأى ناراً تنقد من شجرة فذهب لينظر إليها، فناداه الله من تلك الشجرة⁽²⁾، وعند تتبع ما جاء في التوراة بشأن تكليف موسى بالرسالة، نجد اختلافاً واضحاً في كثير من التفاصيل بين الكتابين، ففي حين أننا نجد تفصيلاً دقيقاً للمكان الذي نودي منه موسى في صحراء سيناء في آيات القرآن الكريم، التي ذكرت أن موسى نودي من الشجرة، وهذه الشجرة في شاطئ وادي طوى، وهذا الشاطئ هو جانب الوادي الأيمن، وهذا الوادي هو جانب الطور الأيمن، وهذه البقعة كلها البقعة المباركة⁽³⁾، فإننا نجد أن التوراة قد اكتفت عند الحديث عن المكان الذي نادى الله فيه موسى بالإشارة إلى جبل حوريب⁽⁴⁾ "جبل سيناء"، والشجرة التي نودي منها موسى عندما أراد أن يستطلع أمر الشجرة المشتعلة بالنار، وكذلك نجد أن التوراة ذكرت أن موسى خاف أن ينظر إلى الله بسبب خوفه من الموت عند رؤية الله⁽⁵⁾، وكأنَّ المجال كان مفتوحاً أمام موسى لكي ينظر إلى الله، والقرآن يذكر عكس ذلك، فقد استشرفت نفس موسى إلى أن تجمع بين التكليم والرؤية، قال تعالى على لسان موسى:

(1) القصص (29-30).

(2) الخروج (2-1/3).

(3) الخالدي، القصص القرآني، (354/2)، مرجع سابق.

(4) الخروج (3-1/2).

(5) الخروج (6/31).

[قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ]⁽¹⁾ ونرى أيضاً أن الله أيّد موسى في ذلك الموقف بمعجزتين وهما العصا واليد البيضاء، وتذكر التوراة واحدةً أخرى، وهي معجزة تحول الماء المُخْرَج من النهر إلى دم، وذلك بعد سكبهِ فوق اليابسة⁽²⁾.

الرسالة بين القبول والرفض

ذكرَ القرآنُ أنَّ الله أمرَ موسى بالذهاب إلى فرعون ليبلغه دعوته، وقد استجاب موسى لأمر ربّه، سائلاً إياه أن يشرح له صدره، وأن يبسرّ له أمره، وأن يحلّل له عُقدَه كانت في لسانه، وأن يشدّ عضده بأخيه هارون، فهو يعلم منه فصاحة اللسان وثبات الجنان، بينما تذكر التوراة تَلَكُّوْ موسى في قبول الرسالة، والتهرب منها أكثر من مرّة، وفي سبيل ذلك تذكر التوراة أن موسى احتقر نفسه وقدرته على الذهاب إلى فرعون، فيقول مخاطباً ربه: (من أنا حتى أذهب إلى فرعون وحتى أخرج بني إسرائيل من مصر؟)⁽³⁾، وفي موضع آخر يقول: (إستمع أيها السيد: لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أوّل من أمس حين كلمت عبدك بل أنا ثقيلُ الفم واللسان)⁽⁴⁾، ونرى من خلال هذه النصوص أن التوراة تجعل موسى رسولاً متهرباً من المسؤولية، رافضاً أمرَ ربّه، حتى يستحق بذلك غضب الله وسخطه⁽⁵⁾، ولا نجد في نصوص التوراة ذكراً للمسائل التي سألتها موسى ربّه كما جاء في القرآن الكريم، بل تنص التوراة على أن موسى استخدم عقدة اللسان التي كان يعاني منها كحجة في رفض قبول الرسالة، وتنص التوراة كذلك على أن الله أيّد موسى بأخيه هارون دون طلب من موسى كما جاء في القرآن، وتذكر التوراة كذلك أن موسى بعد ما قبل الرسالة عاد إلى مدين ليستأذن حماه يثرون بالرجوع إلى مصر⁽¹⁾، بينما لا نجد إشارةً إلى رجوع موسى إلى مدين بعد تكليفه بالرسالة، أو استئذانه من يثرون ليعود إلى أرض مصر.

(1) الأعراف(143).

(2) الخروج (9/4).

(3) الخروج (11/3).

(4) الخروج (10/4).

(5) البار، الله جل جلاله، ص197، مرجع سابق.

(1) الخروج (18/4).

تمنن الله على موسى

بعدما صدر الأمرُ الإلهي لموسى بالبدء بالدعوة، وأيده الله بالمعجزات البيِّنات لتكون دليل صدق على رسالته، وأعطاه مسائله التي سألها إياه، ذكَّر الله موسى بنعمه عليه وفضله منذ منشئه وحتى تكليفه بالرسالة، ونقرأ هذا التمنن في سورة طه عند قوله تعالى: [وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ * أَنْ اقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ^١] وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي * إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ^٢ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ^٣ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَتَجَوَّعْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا^٤ فَلَبِثْتَ سِتِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْؤُوسٍ * وَأَصْطَبَعْتُمْ لِنَفْسِي]⁽¹⁾، وفي هذه الآيات ذكَّر الله موسى بنعمه الكثيرة، من شرح الصدر، وتيسير الأمر، وحل عقدة لسانه، وتأبيده بأخيه هارون، وقبل ذلك تخليصه من بطش فرعون عندما ألقى محبة موسى في قلب زوجة فرعون، وبعد ذلك انجائه مَرَّةً أُخْرَى من بطش فرعون عندما أراد قتله لقتل القبطي وغيرها، وفي التوراة لا نجدُ ذكراً لهذا التمنن الذي ذكره الله في كتابه العزيز، وبدل ذلك نجدُ جدالاً طويلاً صَوَّرته التوراة بين الله ونبيه موسى انتهى بقبول موسى حمل الرسالة⁽²⁾.

مخاوف موسى عند التكليف بالرسالة

يذكر القرآن وكذلك التوراة مخاوف موسى عند تكليفه بالرسالة، فكلُّ منهما ذكر خوف موسى من التكذيب، والذي يتوقعه موسى من فرعون وقومه، قال تعالى على لسان موسى: [قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ]⁽¹⁾، وفي التوراة قال: (هاهم لا يصدقونني ولا يسمعون لقولي بل يقولون لم يظهر لك الرب)⁽²⁾، ويذكر الكتابان خوف موسى وخشيته من عقدة لسانه،

(1) طه (36-41).

(2) الخروج (الإصحاح الثالث والرابع).

(1) الشعراء (12).

(2) الخروج (1/4).

[وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي]⁽¹⁾، وفي التوراة: (بل أنا ثقيل الفم واللسان)⁽²⁾، ويذكر القرآن تخوفاً لم تذكره التوراة، وقد أشار موسى إلى هذا التخوف قائلاً: [وَهُمْ عَلَيَّ ذُنُوبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ]⁽³⁾، وهذا التخوف من العقوبة التي قد تصل إلى القتل، لم تذكره التوراة، فقد طمأن الله موسى أن جميع القوم الذين كانوا يطلبونه لقتله قد ماتوا جميعاً وكان ذلك وهو في أرض مدين⁽⁴⁾، وهكذا نلاحظ الاختلاف الواضح بين قصة موسى مع فرعون من لحظة ولادته حتى لحظة تكليفه بالرسالة بين القرآن والتوراة، وهذه الاختلافات بعضها جوهرية يتعلق بالعبادة وحقيقة الإله وصفات رسول الله موسى، ومنها ما هو ثانوي يتعلق بتفاصيل القصة ومجرياتها.

(1) الشعراء (13).

(2) الخروج (10/4).

(3) الشعراء (14).

(4) الخروج (19/4).

الفصل الثالث

مرحلة الدعوة ومواجهة فرعون

الفصل الثالث

مرحلة الدعوة ومواجهة فرعون

في هذا الفصل أُقَدِّم عرضاً للمرحلة الدعوية العملية في قصة موسى مع فرعون، حيث أُقَدِّم في المبحث الأول عرضاً لأحداث هذه المرحلة في القرآن الكريم مبيناً أهم المشاهد التي ذكرها القرآن الكريم، ثم أبين في المبحث الثاني مشاهد هذه المرحلة كما بينتها نصوص التوراة، ثم أُقَدِّم في المبحث الثالث عرضاً لأوجه الاتفاق والاختلاف بين القرآن والتوراة عند الحديث عن مرحلة الدعوة في قصة موسى مع فرعون، مشيراً إلى أنني سأتناول في هذا الفصل قصة موسى مع فرعون من بداية عودته من أرض مدين إلى مصر مروراً بالأحداث التي جرت مع موسى أثناء دعوة فرعون وقومه، وسأقف عند نقطة خروج بني إسرائيل من أرض مصر لأتحدث عنها في الفصل الرابع من هذه الرسالة إن شاء الله.

المبحث الأول: موسى ودعوة فرعون في كتاب الله

لا يخفى على أحد أن مهمة موسى في هذه المرحلة كانت من أشق المهام في تاريخ البشرية، فهو يقف أمام طاغية متجبر ادّعى الألوهية والربوبية من دون الله، بالإضافة إلى أن فرعون ما زال يطلبه لقتله رجلاً من رجاله، فهو يقف أمام عدو مباشر له، وفي نفس الوقت استعبد فرعون قوم موسى حتى مردوا على الذل وألّفوا الاستعباد⁽¹⁾، فقد كانت مهمة مضاعفةً، شقّها الأول يتعلق بفرعون نفسه، وما علق في نفسه من أفكارٍ ومعتقداتٍ وتسلط على الآخرين، وشقّها الثاني يتعلق بمن استعبدهم فرعون، ويشار إلى أن أحداث المواجهة مع فرعون ذكرت في السور التالية: الأعراف وطه والشعراء والقصص ويونس وغافر والزخرف والدخان والنازعات⁽²⁾، وسأقَدِّم عرضاً لأحداث هذه المرحلة كما جاءت في كتاب الله عز وجل.

(1) العدوي، محمد أحمد، دعوة الرسل إلى الله تعالى، ص176، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1979.

(2) عباس، القصص القرآني، ص227، مرجع سابق.

المطلب الأول: اللقاء الأول وعرض الرسالة

إنطلق موسى بعد أن كُلف بالرسالة قاصداً فرعون في محطته الأولى، فوقف أمامه ليعرفه بدعوته، ويذكر مطالبه، فأخبر فرعون أنه رسولٌ من رب العالمين إليه وإلى قومه، وبين له الغاية التي جاء من أجلها، وهي إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وتحريرهم من عبودية غير الله، ورفع الظلم والحرَج عن بني إسرائيل، وإخراجهم مما هم فيه من الذل والاستعباد، ونقرأ ذلك في قوله تعالى [وَقَالَ مُوسَىٰ يٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ]⁽¹⁾، ونلاحظ أن أول شيء قاله موسى لفرعون (إني رسول من رب العالمين)، وبذلك طعنه فيما كان يدعيه ويحرص عليه، وبين له شعاره الجامع لكل ما تطمح إليه نفسه ونفوس المضطهدين المستعبدين من التحرر والخلص، والشعور بالأمن والكرامة⁽²⁾، ومن هنا نرى الشجاعة ورباطة الجأش في شخصية موسى، فقد طعن في دعوى فرعون أنه الإله المستحق للعبادة، وطلب منه أن يطلق بني إسرائيل من عبوديته، وهو ما لم يجرؤ على قوله أحدٌ لفرعون من قبل رغم أنه استعبد الآلاف من الإسرائيليين، وقد استطاع موسى بتوفيق الله استخدام عنصر الترهيب والترغيب بعد أن وضَّح معالم دعوته، فالترغيب يشير إليه قوله تعالى [وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ أَهْدِي]⁽³⁾، والترهيب في قوله: [إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَيَّ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى]⁽⁴⁾، وفي ذلك لفظة قرآنيةٌ حكيمةٌ تعلمُ الدعاة كيف يخاطبون من المدعو أقطار نفسه كلها، يحاولون الدخول إليه من بوابة البشارة وبوابة النذارة معاً، وإذا كان لا بدَّ من البشارة والنذارة، فلستكن البشارة براعة الاستهلال تغليياً لمعنى التفاؤل، مهما كان المدعو عالياً من المسرفين⁽⁵⁾.

(1) الأعراف (104 - 105).

(2) فوده، عبد الرحيم، قصة بني إسرائيل من معاني القرآن، ص40، الدار القومية للطباعة والنشر.

(3) طه (47).

(4) طه (48).

(5) عماره، فقه الدعوة من قصة موسى عليه السلام، ص163، مرجع سابق.

المطلب الثاني: رد فرعون على موسى

استغرب فرعون كلام موسى ربيبه السابق، ولكنه في بادئ الأمر لم يتجه إلى مجادلة موسى في أمر الألوهية والربوبية، وإنما شرع يمنُّ عليه ويبين له فضله عليه في صباه، وذلك بأنه تربي في بيته، وما ذلك إلا ليقطع على موسى كلامه الذي أصاب منه ما أصاب، [قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكَ فِيمَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِيمَنَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ]⁽¹⁾، وهذا يقتضي أن يكون موسى وفيًّا له، بعيداً عن كل ما يغيظه، ثم ذكره بما اقترفه من قتل الرجل الفرعوني، وأن من ارتكب جريمة قتلٍ كان أتماً بعيداً عن رحمة ربه وليس جديراً به أن يدعي حمل رسالته⁽²⁾، حيث قال له: [وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْبِئْسَ الْفِعْلُ وَأَنْتِ مِنَ الْكَافِرِينَ]⁽³⁾، فشرع موسى يرد التُّهم عن نفسه قائلاً: [وَتَلَّكَ نِعْمَةً تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ]⁽⁴⁾، أي أتمنُّ عليّ بتربيته وليداً في قصرِك محتسبها عليّ نعمة؟ أليس منشؤها ظلمك واستعبادك لبني إسرائيل؟ فإن كنت أسديت إليّ نعمةً فقد لاقى قومي منك الذل والهوان، فإني أتألم لآلامهم، وأشفق لحالهم⁽⁵⁾، وبعد هذا الجواب الملجم لفرعون، أخذ موسى يدحض التهمة الثانية التي وجهت إليه بقتله القبطي [قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ]⁽⁶⁾، فأفهمه أنه عندما قتل القبطي لم يكن كافراً كما زعم، وإنما كان ضالاً لم يوح إليه شيء، وإنما كان ذلك قبل النبوة⁽⁷⁾، وكان ذلك بغير قصدٍ ودون إصرار وبعد ذلك فررت منكم لما خفتكم فأكرمني ربي حينما وهبني علماً، ومنَّ عليّ بالرسالة⁽⁸⁾ [فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ]⁽⁹⁾، ومن هنا نستوحي طعنةً أخرى لفرعون، وحجةً داحضةً عليه، وهذه الطعنة مفادها كيف تنكر يا فرعونُ عليّ قتل رجل بغير قصدٍ وبغير

(1) الشعراء (18).

(2) طيارة، مع الأنبياء في القرآن الكريم، ص227، مرجع سابق، وانظر حمدي بن محمد نور الدين آل نوفل، قصص القرآن، ص251، مكتبة الصفا، ط1، 2002م.

(3) الشعراء (19).

(4) الشعراء (22).

(5) جاد المولي، قصص القرآن، ص120، مرجع سابق.

(6) الشعراء (20).

(7) أحمد بهجت، أنبياء الله، ص202، دار الشروق، ط4، 1977م.

(8) عباس، القصص القرآني، ص244، مرجع سابق.

(9) الشعراء (21).

إصرار، وأنت الذي أمرت بتقتيل أبناء الإسرائيليين من غير ذنب ولا جرمٍ اقترفوه وأنت قاصدٌ إلى ذلك الفعل؟ فأَيُّ الفريقين أحقُّ بالإصاق تهمة القتل العمد والتسريل بصفة الإجرام والمجرمين؟ أنا أم أنت؟؟؟ وانظر كيف كان أدب موسى في دفاعه عن نفسه، فهو لم ينكر وقوع فعلته والتهمة، وإنما أنكر دوافعها، فهو لم يقتل المصري إلا عن جهلٍ وغفلة كانت منه⁽¹⁾.

المطلب الثالث: محاورة في أمر الربوبية

بعد ما ردَّ موسى على فرعون بقوةٍ وبيانٍ، وأخبره أنه رسول رب العالمين، شعر فرعون بأنه طعن في صميم كبريائه، فقلبه (رب العالمين) يعني لفرعون أنه مثل غيره ممن يحكمهم ويظلمهم، وأنه يخضع كما يخضعون لقوةٍ أعلى من قوته وقوتهم، وإرادة أمضى من إرادته وإرادتهم، وأنه لذلك يجب عليه أن يشعر بأنه مُسَوَّدٌ لا معبود⁽²⁾، فحينئذٍ استغلَّق باب النقاش أمام فرعون عن طريق التمنُّن والإصاق التهم بموسى، فعمد إلى طريق آخر واهماً أن به نصفته، وفيه سلامته، وهو مجادلة موسى في أمر الربوبية⁽³⁾، فشرع يجادل موسى في ربوبية الله ويسأله مستهزئاً منكبراً وما رب العالمين؟؟ فأجابه موسى قائلاً: ربي رب السموات والأرض، ربك وربُّ آبائك الأوليين، فتميّز فرعون غيظاً، وراح يثير الحقد والضغينة في نفوس من حوله على موسى، ويبعث دهشتهم وعجبهم واستنكارهم قائلاً: أيها القوم ألا تسمعون؟ موسى يدعي أن ربه، رب السموات والأرض، ربنا ورب آبائنا الأقدمين، وها أنا أسأله عن حقيقة ربه فيذكرني بأفعاله⁽⁴⁾، فانطلق لسان موسى قائلاً: [قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى]⁽⁵⁾، فاستمر فرعون في مجادلته قائلاً من هذا الرب الذي أرسلك إليّ لتدعوني إليه؟ فأجابه موسى بالصفة المنشئة المبدعة المدبرة من صفات الله، فهو الذي أبدع كل شيءٍ، وأعطاه ما يليقُ به من الخواص والمزايا وهده لمنافعها ومصالحها⁽¹⁾، وعندما توقف فرعون ليسأله عن

(1) الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منظوقه ومفهومه، ص133، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1975م.

(2) فوده، قصة بني إسرائيل، ص42، مرجع سابق.

(3) جاد المولى، قصص القرآن، ص120، بتصرف، مرجع سابق.

(4) جاد المولى، قصص القرآن، ص121، بتصرف، مرجع سابق.

(5) الشعراء (28).

(1) الفتياي، الحوار القرآني، ص76، مرجع سابق.

حال الأمم الماضية، أحال موسى ذلك إلى علم الله تعالى، الذي استأثر به وحده، فعلمها مكتوباً عند الله في اللوح المحفوظ، فهو لا يخطئ في حكمه ولا ينسى أحداً من عباده في كل زمان ومكان⁽¹⁾ [قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى]⁽²⁾، ثم مضى موسى يلفت نظر فرعون إلى آيات الله في الكون، فدار به مع حركة الرياح والمطر والنبات وأوصله مرةً ثانيةً إلى الأرض، وهناك أفهمه أن الله خلق الإنسان من الأرض، وسيعيده إليها بالموت، ويخرجه منها بالبعث والنشور⁽³⁾ [الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى * كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * مِنهَا خَلَقْنَاهُمْ وَفِيهَا نُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا نَخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى]⁽⁴⁾، وفي قوله: [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ] تعريضاً من موسى بفرعون وقومه، وذمّ لهم، وإخبارهم بأنهم ليسوا من أولي النهى والعقول المتفكرة، لأنهم لم يلفتوا إلى هذه الآيات الكونية الدالة على الوحدانية ولم يتدبروها⁽⁵⁾.

فرعون يلجأ إلى السخرية والتهديد

كان موسى قوي الظهر، مسدد الخطأ، يستمد العون من الله العلي الكبير، وكانت إجاباته على أسئلة فرعون، شديدة الوقع على فرعون وقومه، مما جعل فرعون يتميّر غيظاً، فثارت نفسه، وعجزت حجته، فلجأ إلى حيلة القوة والاحتتيال، فترك فرعون نقض أدلة موسى لأنه لا يملك حجةً يخاطب بها قومه، ولجأ إلى اتهام موسى بالجنون⁽⁶⁾ [قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ]⁽⁷⁾، أي أن رسولكم الذي يزعم أنه أرسل إليكم لمغلوباً على عقله، لأنه يقول قولاً لا نعرفه ولا نفهمه، ففي ذلك الزمان لا يعرف الناس رباً سوى فرعون، فكلام موسى

(1) طباره، مع الأنبياء في القرآن الكريم، ص229، مرجع سابق.

(2) طه (52).

(3) أحمد بهجت، أنبياء الله، ص 204، مرجع سابق.

(4) طه (53-55).

(5) الخالدي، القصص القرآني، (411/2)، مرجع سابق.

(6) جاد المولى، قصص القرآن، ص121، بتصرف، مرجع سابق.

(7) الشعراء (27).

عندهم غير مألوف ولا معروف⁽¹⁾، ونرى أن فرعون في هذا الموقف نقل القضية من ميدانها الفكري الواسع، إلى ميدان شخصي ضيق، فقد ترك نقض الأدلة، وتحوّل إلى الكلام عن شخصية موسى وعقليته، وأخذ يسدد إليه الشتائم ليقوم بتشويه شخصيته أمام القوم⁽²⁾، فتجاهل موسى اتهام فرعون له بالجنون ولم يحفل بسخريته وقال: [رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ^ط إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ]⁽³⁾، ومن هنا نلمح الأدب الرفيع الذي تحلّى به موسى في دعوته عند أشدّ خصومه، فقد تعرض للسب والشتّم، ولكنه رفع نفسه الكريمة عن قول السوء والرد على الشتائم، وقد مضى صادقاً بالحق، مما أثار نفس فرعون، فتمرد واستعلى وهدد بالبطش والعنف، وهذه عادة الجبابرة، فإنهم إذا عورضوا بشيء وعجزوا عن الحجة اشتغلوا بالعقوبة⁽⁴⁾، فخاطب موسى قائلاً: [لِيَنْ آتَّخَذَتْ إِلَهاً غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ]⁽⁵⁾، وما هذا التهديد إلا لأن فرعون يخشى يقظة الشعب وتأثير موسى عليهم، ولأن فرعون يكره الدعاة إلى الحق لأن في ذلك تهديد لملكه وجبروته، وفيه بيان زيف دعواه بأنه هو الرب المستحق للعبادة⁽⁶⁾، وقد عدل فرعون إلى أمر آخر بعد التهديد، فأمر ببناء صرح ليصعد به إلى السماء وهو الوسيلة لتصفية الحساب بينه وبين رب موسى، وأوهم القوم أن الصعود إلى السماء أمرٌ تتاله قدرته، فأصدر أمره إلى وزيره هامان أن يطبخ له الأجر، ويبني له صرحاً يأخذ في السماء سعداً حتى ينالها، ويطلّع إلى إله موسى، ثم أتبع ذلك بأنه يظنّ كذب موسى فيما يدعيه⁽⁷⁾، ولمّا رأى موسى أن نفس فرعون قد تارت واشتد غضبه، أعمل عقله واستخدم حنكته حتى يمتص غضب فرعون وغيطه، وفي نفس الوقت حتى يخرجه بين القوم، فقال له على جهة التلطّف [أُولَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ]⁽¹⁾، أي هل تستمر في عزمك أن تسجنني إن جئتك بشيء عظيم يدل على

(1) الطبري، تفسير الطبري، م 11، (ج 8، 19)، مرجع سابق.

(2) الخالدي، القصص القرآني، (2/417)، مرجع سابق.

(3) الشعراء (28).

(4) الفتياي، الحوار القرآني، ص 81، مرجع سابق.

(5) الشعراء (29).

(6) قطب، الظلال، (6/203)، بتصرف، مرجع سابق.

(7) النجار، عيد الوهاب، قصص الأنبياء، ص 186، مؤسسة الحلبي للطباعة والنشر.

(1) الشعراء (30).

أني مرسلٌ من رب العالمين ويدل على قدرة الرب الذي بعثني إليك؟⁽¹⁾، وفي كلام موسى هذا إخراجٌ لفرعون من جهتين اثنتين، أولاهما: إمّا أن يرفض فرعون السماح لموسى بعرض البرهان الذي معه ويضعه في السجن، وبهذا يفتضحُ أمام قومه، وثانيتها: أن يسمح له بعرض برهانه فيطّلع القوم على البرهان ويعرفون الحق، فكانت هذه الخطوة خطوةً ذكيّةً من موسى في مواجهة فرعون⁽²⁾، فأضطر فرعون للموافقة لما ظنَّ أن ذلك يخرجُه من الإجابة على أسئلة موسى المحرجة له، وكانت تلك هي حكمةُ الله وإرادته، فأجرى معجزةً على يد نبيه موسى تحاكي ذلك النوع الذي برع فيه القوم، حتى يفرغوا كل علومهم، ويستنفذوا كل جهودهم، وعندما لا يستطيعون مجاراة تلك المعجزات يكون ذلك أدعى لعجزهم وإقامة الحجة عليهم⁽³⁾، ومما يدلُّ على أن القوم كانوا بارعين في مجال السحر ما قاله الملائكة لفرعون بعد أن ألقى موسى عصاه وشاورهم فرعون في الأمر، [قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُواكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ]⁽⁴⁾ وكلمة "سَحَابٍ" صيغة مبالغة من "ساحر" تدل دلالة واضحة أن في ذلك الزمان والمكان كان هناك من لديه الخبرة الواسعة والعلم الدقيق في هذا الفن، وهو ما يشير إلى تقدم صناعة السحر في ذلك الوقت بين القوم، فقدّم موسى الآيتين اللتين أوتيتهما في تلك الليلة المباركة في وادي طوى في سيناء، العصا واليد البيضاء، [فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ]⁽⁵⁾، ففوجئ فرعون بما رأى، كما فوجئ الملائكة من حوله بما يرونه، عصا خشبية تتحول إلى ثعبان حي مبيّن، ويذُّ موسى السمراء عندما يخرجها من جيبه تخرج بيضاء ناصعة البياض⁽⁶⁾، ومع هذا كله أراد فرعون تعمية الأنظار، فبادر بشقاوته إلى التكذيب والعناد، فما كان منه إلا أن اتهم موسى بالسحر أولاً [قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ]⁽¹⁾، أي قال لحاشيته من القادة وأشراف قومه الذين تجمّعوا حوله إنَّ هذا الرجل

(1) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، التفسير الكبير، م12، ج4، ص113، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م.

(2) الخالدي، القصص القرآني، (2 / 421)، مرجع سابق.

(3) جاد المولى، قصص القرآن، ص121، مرجع سابق.

(4) الشعراء (36-37).

(5) الشعراء (32-33).

(6) الخالدي، القصص القرآني، (2/421)، مرجع سابق.

(1) الشعراء (35).

لبارع في السحر⁽¹⁾، ثم أخذ ينفّر القوم من موسى لئلا يصدقوا قوله وذلك باتهامه أنه يريد أن يخرجهم من أرضهم بما يلقيه بينهم من العداوات، فيفرق جمعهم عن طريق سحره وما يدّعيه من النبوة⁽²⁾، [يُرِيدُ أَنْ تُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ] ⁽³⁾، ونرى هنا أن فرعون لما هاله أمرُ موسى وما جاء به، وشعر بضعفه وهوانه، لجأ إلى ملاطفة قومه واستمالة قلوبهم وعواطفهم، ممّا دل على أنه قد خارت قواه، فحط عن منكيه كبرياء الربوبية، وارتعدت فرائصه حتى جعل نفسه مأموراً بعد أن كان يدعي كونه أمراً، بل إلهاً قادراً، وليس هذا فحسب بل أراد فرعون شيئاً أبعد من ذلك، أراد بخبثه أن يضمن انحياز الملأ المتتفّذين له، وعدم تفكيرهم بالسير مع موسى، ولو ثبت لهم أن الحق معه، فهم مهتدون بالخطر من قبل دعوة موسى، ومراكزهم ومناصبهم في خطر مباشر، فإن سكتوا عن موسى وتركوه يتصل بالناس ويدعوهم إلى دينه فسوف يقضي عليهم، ويفوت عليهم مصالحهم ومكاسبهم⁽⁴⁾، وهذه الملاطفة المصطنعة تظهر تنازل فرعون مرغماً وتحت ضغط الحق الزاحف، فهو من اليوم رهن إشارتهم وتابع لرأيهم⁽⁵⁾، وذلك بعد أن كان يردّد على مسامعهم فيقول لهم: [مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ] ⁽⁶⁾. أقول: وقد لجأ فرعون إلى هذه الملاطفة استمالة لعقول كبراء القوم بعد أن سدّت أمامه أبواب الحيل والمكائد تجاه موسى ودعوته، فشاور قومه لا حياءً في رأيهم، وإنما بحثاً عن مخرج له من أزمته، وقد وجد عندهم ضالته، فقد صدّقوه بما يقول لا حياءً فيه، وإنما طمعاً في الجاه والمال والسلطان، وخوفاً من البطش والتتكيل، وقد صدّق القوم فرعون ونزلوا على رغبته، ويدلّ على ذلك قولهم لموسى وهارون [قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا خُنُّ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ] ⁽¹⁾.

(1) الزحيلي، التفسير المنير، م 11 (ج 19، 144)، مرجع سابق.

(2) الرازي، التفسير الكبير، م 12 (ج 23، 114)، مرجع سابق.

(3) الشعراء (35).

(4) الخالدي، القصص القرآني، (423/3)، بتصرف، مرجع سابق.

(5) عمارة، فقه الدعوة من قصة موسى، ص 50، مرجع سابق.

(6) غافر (29).

(1) يونس (78).

وزيادة على ذلك أشاروا على فرعون إرجاء موسى وهارون حتى يتم إحضار كبار السحرة في مملكة فرعون حتى يبارزوا موسى ويغلبوه [قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَا تَوَكُّبِكُ كُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ]⁽¹⁾، وكان اتهام موسى بالسحر من شقاوة فرعون وكثرة جهله وقلة عقله، وقد طلب فرعون من موسى أن يواعده إلى وقت معلوم ومكان معلوم، وكان هذا من مقاصد موسى، وهو أن يظهر آيات الله وحججه وبراهينه جهرةً بحضرة الناس جميعاً⁽²⁾، وهذا ما لم يكن متوافراً لديه من قبل، فاتفق الطرفان على ذلك، [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى * قَالَ أَجَعَلْنَا لِنُخْرِجَنَّا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكِ يَمُوسَى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَأَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى * قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ تُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى]⁽³⁾، فحدّد لهم موسى موعداً هو يوم الزينة، وقد ذكر البعض أنه أحد أعيادهم التي يجتمعون فيها، وقيل هو يوم عاشوراء أو يوم النيروز أو يوم شم النسيم أو يوم وفاء النيل⁽⁴⁾، وقد اختار موسى موعداً دقيقاً وهو وقت الضحى من يوم الزينة، أي أوّل النهار في وقت اشتداد الشمس ليكون الحق أظهر وأجلى، ولم يطلب ذلك ليلاً، لئلا يختلط الأمر على الناس، وحتى يكون ذلك أدعى لكثرة الحضور والإقبال⁽⁵⁾.

المطلب الرابع: إجتماع فرعون بالسحرة

أرسل فرعون إلى جميع السحرة المهرة في مملكته فجاءوا، فاجتمع وخطب بهم، ووعدهم ومناهم إن هم تغلبوا على موسى بمكافأة جزلة وأن يقربهم منه، وكان السحرة قد استغلوا حاجة فرعون إليهم في ذلك الوقت فقالوا له: [إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ *

(1) الشعراء (36-37).

(2) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص308، مرجع سابق.

(3) طه (56-59).

(4) انظر البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، 2م (ج4/ص25)، مؤسسة شعبان، بيروت، وابن الملتن، سراج الدين أبو جعفر عمر بن الحسن علي بن أحمد النجوى الأنصاري الشافعي، تفسير غريب القرآن، ص246، تحقيق سمير طه، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1987، وأحمد بهجت، أنبياء الله، ص209، مرجع سابق.

(5) بيومي، قصص القرآن، ص257، مرجع سابق.

قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ⁽¹⁾، ومن هنا نستشعر أن فرعون كان يسخّر الناس لخدمته وتثبيت أركان حكمه دون أجر ودون مكافأة، ولهذا تجرأ السحرة هنا فطلبوا الأجر والثواب مستغلين حاجته إليهم، بعدما ألفوا سُخْرَتَهُ، فأجابهم بأنه سيعطيهم الأجر الجزيل ويزيدهم فوق الأجر بتعيينهم في مناصب الدولة الحساسة والمراتب العالية، ويغدق عليهم المال والغذاء والكساء الفرعوني⁽²⁾.

موسى يحذر السحرة

جاء السحرة جادّين لغلبة موسى وقهره، فوقف عليه السلام محذراً لهم قائلاً: لا تختلقوا على الله الكذب، ولا تقولوا لما جنّت به السحر، فيهلككم الله بعذاب من عنده، فتشاور السحرة فيما بينهم، وتجادبوا أطراف الكلام ليروا رأيهم في موسى وأخيه، فقالوا: تعلمون أنّ هذين الرجلين خبيران بصناعة السحر، وهما إنما يريدان بسحرهما أن يغلباكم ليستوليا على خيرات البلاد، ويخرجاكم من أرض مصر، وأن يذهبا بمهنتكم العظيمة "صنعة السحر"، فقد كانت سبباً لجمعهم المال والعطايا⁽³⁾ [فَتَنْزَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى * قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى⁽⁴⁾] وموقف السحرة هذا يدل على أنهم جاءوا لاهئين خلف الأموال وحباً في المنح والعطايا لا حباً في الدفاع عن فرعون وأفكاره، ولم ينتهم كلام موسى وتحذيره لهم، وكان ذلك لجهلهم بما جاء به موسى، فهم لم يشاهدوه بعيونهم وإنما حكموا عليه بحكم فرعون.

المطلب الخامس: اللقاء الموعود وإيمان السحرة

جاء اليوم الموعود لالتقاء السحرة بموسى، وتدفقت جماهير غفيرة على ساحة العرض، وجاء السحرة مجتمعين على قلب رجل واحد، وفاوضوا موسى على أن يكون البادئ

(1) الأعراف (113-114).

(2) محمد أبو فارس، إن فرعون علا في الأرض، ص53، مرجع سابق.

(3) انظر الطبري، تفسير الطبري، م9 (ج16/6225) بتصرف، مرجع سابق.

(4) طه (62-63).

في الإلقاء⁽¹⁾] قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ [⁽²⁾، وجاء تخبير السحرة لموسى بابتداء الإلقاء أو تأخيره في إشارة منهم إلى موسى والحاضرين أنهم لا يباليون بما جاء به موسى، وأنهم على يقين من النصر سواء أكان موسى أول من يلقي أو المتأخر في ذلك، [قَالَ بَلْ أَلْقُوا] ⁽³⁾، فطلب منهم موسى الإبتداء في الإلقاء فألقى السحرة حبالهم وعصيهم فخيَّل لموسى والحاضرين أنها حياتٌ تسعى، ويقال أنهم عمدوا إلى حبالٍ وعصى، فأودعوها الزئبق وغيره من الآيات التي تضطرب بسببها تلك الحبال والعصي اضطراباً يخيَّل للرائي أنها تسعى باختيارها، وإنما هي تتحرك بسبب تلك الآلات والمواد⁽⁴⁾، فعند ذلك سحروا أعينهم وأخافوهم وهم يقولون: [بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ] ⁽⁵⁾، [فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى] ⁽⁶⁾، أي أضر في نفسه خوفاً ظناً منه أنها تقصده⁽⁷⁾، والوجس حالةٌ تحصلُ من النفس بعد الهاجس، لأن الهاجس مبتدأ التفكير ثم يكون الواجهس، وهذا الواجهس إنما مجبولةٌ عليّة النفس البشرية، وقيل إنما أضر خوفاً لخاطرٍ في نفسه عندما خيَّل إليه أن عصي السحرة تحولت إلى حيّاتٍ من أن يخالجه الناس شك فلا يتبعوه⁽⁸⁾، فأوحى الله إلى موسى أن لا تخف، إنك على الحق، والحق منتصرٌ على الباطل فألقى موسى عصاه، فجعلت تلقفها، تبتلعها حية حية، ثم أخذها موسى فإذا هي عصاه في يده كما كانت، فأدرك السحرة أن هذا ليس بسحر، فهم أدري الناس بعلوم السحر وفنونه⁽¹⁾، وأيقنوا أنه لو كان ساحراً لما غلبهم، فوقعوا لله ساجدين [وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ *]

(1) طبارة، الأنبياء في القرآن الكريم، ص 231، بتصريف، مرجع سابق.

(2) طه (65).

(3) طه (66).

(4) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 309، مرجع سابق.

(5) الشعراء (44).

(6) طه (67).

(7) النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، (201/3)، المكتبة الأموية، دمشق، وانظر تعيلب، عبد المنعم أحمد، فتح الرحمن في تفسير القرآن، (2135/4)، دار السلام، ط1، 1995م، والنيساوي، محمود بن أبي الحسن، إيجاز البيان عن معاني القرآن، (35/2)، تحقيق علي العبيد، مكتبة التوبة، ط1، 1997م.

(8) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، مفردات ألفاظ القرآن، ص 513، تحقيق محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت.

(1) الطبري، محمد بن جرير، قصص الأنبياء، ص 262، تحقيق جمال بدران، الدار المصرية اللبنانية، ط2، 2000م.

قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ⁽¹⁾، وعندها غلت مراحل الحقد والضغينة في قلب فرعون، واحتدم غيظه لتلك المفاجأة التي فجأتها، مستطيرة الشرر، شديدة الضرر، على حين كان يرجو من ورائها تقوية لسلطانه، وتدعيماً لبهتانه، فإذا هي عاصفة هوجاء، تقوِّض ذلك العرش الذي أسس على الزور والبهتان ⁽²⁾، وهنا أخذ فرعون يتهم السحرة بالتآمر مع موسى على ملته وشعبه، وألقى باللائمة عليهم، ووصف موسى بأنه أستاذهم الذي علمهم السحر، واستهجن عليهم بكبريائه إيمانهم بموسى قبل استنذانه، [قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ^ط إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ] ⁽³⁾ وفي موضع آخر [إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ^ط فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ] ⁽⁴⁾، وتوعدهم فرعون بانتقام شديد وهو تقطيع الأيدي والأرجل من جانبيين متخالفين زيادة في التعذيب والتصليب في جذوع النخل فهي من أقوى الأخشاب وأحسنها ⁽⁵⁾، [فَلَا تُقَطِّعْ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَا صَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَتَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى] ⁽⁶⁾، ويدلُّ على شدة وعيده لهم قوله: [وَلَا صَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ] فقد أثر استخدام "في" للدلالة على إبقائهم عليها زماناً مديداً فكأنهم مستقرون فيها أي النخل ⁽⁷⁾، وفي هذا إشارة إلى تمكينهم من المصلوبة فيه أجسادهم تمكين المظروف في ظرفه، وأراد بذلك إدخالها في أجسامهم، ودوامهم على ذلك زماناً طويلاً ⁽⁸⁾، وهنا جاء رد السحرة الذين آمنوا بموسى ليقطع على فرعون تجبُّره ووعيده، فقد أشرق نور الحق في قلوب هؤلاء المؤمنين، فلم يزدهم التهديد إلا إيماناً على إيمانهم، فقالوا له: [قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْيَتْنِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ^ط إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا] ⁽¹⁾ فوقف فرعون عاجزاً أمام من اطمأنت قلوبهم لربها وسلِّمت أمرها إليه، فهو صاحب الأمر في الأولى

(1) الأعراف (120 - 122).

(2) جاد المولى، قصص القرآن، ص132، مرجع سابق.

(3) طه (70 - 71).

(4) الأعراف (123).

(5) القاسمي، محمد جمال الدين، تفسير القاسمي المسمّى محاسن التأويل، (م7، ج11، 177)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، ط2، 1978م.

(6) طه (71).

(7) أبو السعود، تفسير أبي السعود، (4/ 295)، مرجع سابق.

(8) البقاعي، نظم الدرر، (31/5)، بتصرف، مرجع سابق.

(1) طه (72).

والآخرة، وهذا فرعون لا يملك إلا الجزء الفاني من الحياة الدنيا، وأمّا ربهم فيملك كلاً من دنياهم وأخرهم، ويردّون على فرعون مقولته أن عذابه الأدموم والأفطع بأن الله أعدّ للمجرمين الذين جحدوا آياته عذاباً لا يميت الإنسان فيستريح منه ولا ينتهي إلى حياة⁽¹⁾ [إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ] ⁽²⁾، ويشار إلى أن القرآن سكت عن تفصيل مصير السحرة بعد ذلك، ولم يذكر كيف تصرف معهم فرعون بعدما اعتصموا بإيمانهم مستقبليين التهديد والوعيد بقلب المؤمن المتعلق بربه، المستهين بحياة الأرض كلها وما فيها ومن فيها⁽³⁾.

المطلب السادس: المؤامرة على موسى وقومه

بعد ما كان من إيمان السحرة وخذلان فرعون وقومه، وانتصار الحق واندحار الباطل، لم يزد فرعون وقومه إلا كفراً وعناداً وبعداً عن الحق، فأخذ الأمراء والكبراء بتحريض فرعون على أذية موسى وقومه⁽⁴⁾، [وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ] ⁽⁵⁾، فتعالى فرعون في بطشه وعنفوانه، واستطار شرره وبهتانه، فقرّر قراره، وأصدر أوامره إلى جنده وعمّاله [قَالَ سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ] ⁽⁶⁾، والظاهر من السياق أن الأمر بقتل بني إسرائيل واستحياء نساءهم كان بعد بعثة موسى وهو خلاف التقتيل والاستحياء اللذين تزامنا مع ولادة موسى، ثم أخذ فرعون ينزل بهم صنوف العذاب وألوان الأذى فضجوا لاجئين إلى موسى ليحميهم من أذى الكافر الجبار⁽¹⁾، [قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا] ⁽²⁾، فسكن موسى من ثورتهم، وهدأ روعهم ومناهم الخير والنجاة، قائلاً لهم: [عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ]

(1) الحمصي، أحمد فايز، قصص الرحمن في ظلال القرآن، (130/1) وما بعدها، مؤسسة الرسالة، ط1، 1995، بتصرف.

(2) طه (74).

(3) الخالدي، القصص القرآني، (2/479)، بتصرف، مرجع سابق.

(4) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص290، مرجع سابق.

(5) الأعراف (127).

(6) الأعراف (127).

(1) جاد المولي، قصص القرآن، ص133، مرجع سابق.

(2) الأعراف (129).

فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ [(1)، واستمر موسى في دعوته يمهد لقومه سبيل النجاة، ويتجه إلى ربه بقلب ثابت، وإيمان موثوق، واطمئنان موفور، أما فرعون فقد خلص إلى ملاء من قومه يأترون بموسى ليقتلوه، فذلك أقرب طريق أمامهم، وأدنى السبل لبقاء ملكهم، وذلك بعد أن أعيتهم الحيل، وسدّت أمامهم منافذ الخلاص (2)، [وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۗ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ] (3)، ومن خلال كلام فرعون هذا تبرز صفة أخرى من صفات ذلك الطاغية، وهي صفة الخوف، فكان عرض فرعون من خلال كلامه (ذروني أقتل موسى) إخفاء خوفه لأن أحداً ما لم يمنع فرعون أصلاً من قتل موسى، فهو صاحب السلطة المطلقة والكلمة الأولى، وكان فرعون قد أستيقن أن موسى نبي وما جاء به ليس بسحر، ولكنه خاف إن همّ بقتله أن يُعجّل له بالعقوبة، أو أن لا يُسلّط عليه فيفتضح أمره (4)،

وما منعه من الإيمان سوى الكفر والعناد، وأراد فرعون كذلك أن يستميل قلوب من معه من الملاء والحاشية بتلك المشورة الخطيرة وهي قتل موسى، وأراد أن يشركهم فيها دون الأفراد بالرأي حتى لا يعاب عليه رأيه في حالة وقوع نتائج سلبية نتيجةً لعملية القتل، ومن الممكن أيضاً أنه قال هذا لأنه كان في خاصّة فرعون من لا يؤيد قتل موسى، لأن قتله لا ينهي الإشكال، فقد يوحى هذا للشعب بتقديسه واعتباره شهيداً، والحماسة الشعورية له وللذين الذي جاء به، وخاصةً بعد إيمان السحرة في مشهد شعبي جامع وإعلانهم سبب إسلامهم (1)، وقد علل فرعون إرادته قتل موسى بحبه لمصلحة قومه وشعبه، وخوفاً من أن يبدّل موسى دين قومه بعد أن يغلبهم فيدينون له ويتركون دين الآباء والأجداد، أو أن يظهر في الأرض الفساد بالقتل

(1) الأعراف (129).

(2) جاد المولي، قصص القرآن، ص134، مرجع سابق.

(3) غافر (26).

(4) الحاوي، محمد بن عمر نووي، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، (346/2)، ضبط محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، ط1، 1997م.

(1) ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، (76/7)، تخريج أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، 1997، والحمصي، قصص القرآن في ظلال القرآن، ص139، مرجع سابق.

والفتن⁽¹⁾، وكأنه أراد أن يوحى إلى شعبه أن موسى بدينه الجديد سيقسم الشعب إلى قسمين بين مؤيد ومعارض، ونتيجة لهذا الإنقسام سيقع القتل وتنزل الفتن بالشعب فضلاً عن صدهم عن دين آبائهم، وهو يريد أن يريحهم من هذا الشر كله بقتله، أمّا موسى فإنه لا يزيد بعد أن سمع ما سمع من تهديد فرعون له بقتله على أن يقول مستجيراً بربه [إني عذتُ بربي وربكم من كلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ]⁽²⁾، وهذه استجارة من موسى والتجاء لله تعالى، من أن يسطو فرعون وغيره عليه بسوء، وفي هذا إشعارٌ إلى الثقة العالية التي نجدها في نفس موسى تجاه ربه ودينه⁽³⁾.

المطلب السابع: مؤمن آل فرعون

بعدما كان من اجتماع الملام والتآمر على قتل موسى، وبعد أن برّر لهم فرعون ما سيقدم عليه من قتل موسى، ذكر القرآن لنا خبر رجل مؤمن من آل فرعون يكتُم إيمانه، هذا الرجل دافع عن موسى دفاعاً مجيداً، مبيناً لهم أنه يجب عليهم التريث في الحكم على موسى بالقتل، وبالأخص أنه جاءهم بالمعجزات الدالة على صدقه⁽⁴⁾، وقد سكت القرآن عن اسم هذا الرجل فهو من مبهمات، ولم تذكر السنة كذلك ما يُبين لنا اسمه، وقد بيّن القرآن أن هذا الرجل من آل فرعون وليس من الإسرائيليين، وذلك في قوله تعالى: [وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ]⁽¹⁾، فقد نصّ القرآن على أنه من قوم فرعون، ويذكر البعض أن اسمه "حزقيل" وقيل: اسمه "شمعون" وقيل: "سمعان" وقيل: "خير" وقيل: "حبيب"⁽²⁾، وقد اختصت سورة غافر

(1) الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، تفسير الخازن، المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، م4 (ج6/

78)، دار الفكر، بيروت، والجزائري، أبو بكر جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (4/ 527)، دار الخير، ط 2،

1419هـ.

(2) غافر (27).

(3) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص291، مرجع سابق.

(4) كشك، عبد الحميد، المستكبرون والمستضعفون في القرآن الكريم، ص64، دار المختار الإسلامي، مصر.

(1) غافر (28).

(2) البغوي، معالم التنزيل، (3/ 378)، مرجع سابق، وابن كثير، البداية والنهاية، م1 (ج1/ 32)، مرجع سابق.

بذكر قصته، ولعلها سُميت بسورة "المؤمن" تكريماً له، وإشادةً بموقفه، ودعوة المؤمنين لاتباعه والإقتداء به في دعوته⁽¹⁾.

دفاع الرجل المؤمن عن موسى

لمّا كان الحق لا يعدم نصيراً، قام هذا الرجل يدافع عن موسى، مبيّناً لهم دوافعه العقلانية لرفض فكرة قتل موسى، وقد عرضها المؤمن بطريقة تبعد عنه الشبهة، وفي نفس الوقت تقنع الحاضرين بعدم جدوى هذه الفكرة، وأوّل هذه الدوافع التي كانت على هيئة استفهام إنكاري لماذا يتم قتل رجل يقول ربي الله؟ وما الفائدة من ذلك؟؟ خصوصاً أنه قد جاءهم بالآيات الدالة على صدقه، وعلى فرض أنه كاذبٌ فيما يقول ما نالهم منه ضرر، ولا يحملون شيئاً من إثمه، وإذا كان صادقاً أصابهم بعض الوعيد الذي توعدهم به⁽²⁾، [وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ]⁽³⁾، وحتى يبعد الرجلُ الشبهة عن نفسه قدّم احتمال الكذب ثم أتبعه على سبيل الافتراض احتمال كون موسى صادقاً، محذراً إياهم ومخوفاً من ارتكاب جريمة قتل بحقه لئلا يقع بهم العذاب ولو على سبيل الاحتمال، ويشير المؤمن من خلال حديثه إلى المعجزات الواضحات التي جاء بها موسى مذكراً إياهم بها، وذلك حتى لا تتغافل نفوسهم عنها، ويرجع إلى أذهانهم الهزيمة التي لحقت بهم يوم الزينة عليهم يراجعون نفوسهم فيما يخططون له، محذراً إياهم من هزيمة أخرى قد تلحق بهم إذا أرادوا إيذاء موسى، وقد خاطب الرجل المؤمن القوم بصيغة الجمع في قوله [أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا] مع أن حقيقة من أراد القتل هو فرعون، وإنما شاورهم في الأمر إشاركاً لهم معه في الجريمة وتحمل المسؤولية، وأراد المؤمن من خلال المخاطبة بصيغة الجمع أن يشعرهم أنهم إذا وافقوا على الجريمة فهم شركاء فيها، وهم قتلة مثل فرعون،

(1) الخالدي، مع قصص السابقين، (99/5)، مرجع سابق.

(2) علي فكري، أحسن القصص، (85/2)، دار الكتب العلمية، بيروت ط7، 1979م.

(3) غافر (28).

وهذا من باب تخويفهم مما هم مقدمون عليه، علّهم يتحركون لرفض فكرة قتل موسى⁽¹⁾، وقد فوجئ فرعون بموقف الرجل المؤمن، وعجب كيف يجرؤ أحد آله على مخالفته، ورد دعوته، وكيف يشيرُ عليه بغير ما يريد، وكيف يخرج على اللعبة الإستشارية الفرعونية⁽²⁾، فردَّ فرعون قاطعاً عليه اقتراحه [مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ]⁽³⁾. أقول: ومن هنا تتضح لنا فكرتان من خلال المشهد الأوّل الذي دافع فيه الرجل المؤمن عن موسى، الأوّل: أن بيت فرعون كان مخترقاً من الداخل فقد استطاع موسى أن يوصل رسالته إلى صميم بيت فرعون، وبين المقربين إليه، فهذا الرجل من آله يكتم إيمانه بدعوة موسى، هذا بالإضافة إلى زوجة فرعون المؤمنة الصابرة المحتسبة والتي كانت أقرب المقربين إليه والتي أعلنت إيمانها بموسى ودعوته، والفكرة الثانية: هي حقيقة تلك الإستشارة التي أوهم فرعون بها من حضر مجلسه من الكبراء والزعماء، فقد كانت إستشارة زائفة كشفت حقيقتها عندما قاطع فرعون الرجل المؤمن في عرض أفكاره قائلاً له: [مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ]⁽⁴⁾، فهذه هي حقيقة فرعون المستبد بآرائه، والذي يصادر عقول الناس وأفهامهم، ويريدُ أن تذوب جميع العقول في عقله، وأن تتلاشى الآراء عندما يقول برأي ما، بل يجب على تلك العقول أن تلغي تفكيرها وتهجر أي رأي آخر لها، وتتصاع لأمره فكل ما يصدر منه في زعمه هو الحق، فهو مجردٌ من كل نقص، فلا ينطقُ إلاّ حقاً ولا يقول إلاّ صدقاً⁽⁵⁾، ثم عاد الرجل المؤمن إلى ساحة المناظرة والمدافعة عن موسى من جديد محذراً الملاءم بالجملة من أن يصيبهم العذاب مثل ما أصاب الذين من قبلهم من الأمم السابقة، وذكرهم بنعمة الله عليهم من العلوّ في الأرض والتملُّك والرياسة، وما عليهم إلاّ أن يراعوا هذه النعمة ويحفظوها من الزوال بشكر الله وتصديق رسوله، وعليهم أن يحذروا نقمة الله إن هم كذبوا رسوله، فلا يستطيع أحدٌ أن يغني

(1) الخالدي، مع قصص السابقين، (5/ 112)، مرجع سابق.

(2) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص231، دار النفائس، الأردن، ط1، 1997.

(3) غافر (29).

(4) غافر (24).

(5) محمد أبو فارس، إن فرعون علا في الأرض، ص72، مرجع سابق.

عنهم من الله شيئاً⁽¹⁾، [يَنْقَوْمِر لَكُمْ أَلْمَلِكُ أَلْيَوْمَ ظَهَرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا]⁽²⁾، قال لهم محذراً: [إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ^ع وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ]⁽³⁾، ونجد هنا أن الرجل المؤمن صعد في لهجته وحدته مع الملاء، فبعد أن كان في الموقف الأول مخاطباً إياهم بالعقلانية والنصح التام مع إبعاد الشبهة عن نفسه نجد أن لهجته قد مالت إلى التحذير من العذاب، والنقمة إن هم كذبوا رسول الله، ولكنه بقي محافظاً على لهجة تحببية إلى قومه تقربه منهم، واعتبار نفسه واحداً منهم، يهمة أمرهم، ويحرص على مصلحتهم، ويبدو هذا من قوله (يا قوم) ومن جعله نفسه معهم في قوله (من ينصرونا)⁽⁴⁾، ونلاحظ كذلك أنه استخدم المؤثر التاريخي في خطابه لهم، وذلك عندما ذكّرهم بالتاريخ السابق للأمم الماضية، ثم أخذ يذكرهم برسالة يوسف عليه السلام السابقة، وهي لفنة تاريخية عقديّة، فذكرهم بموقفهم من يوسف ومن شكّهم في رسالته، وفرحهم بموته، وظنّهم انقطاع الرسالة بعده، وهم يعلمون هذه الحقائق، ولكنه يذكرهم بها، فهو يستخدم المؤثر الإيماني لئلا يكرّروا مع موسى ما فعلوه مع يوسف سابقاً: [وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زُلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ^ط حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا^ع كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ]⁽⁵⁾،

ومن خلال هذا الموقف نلاحظ أن الرجل المؤمن قد استطاع أن يصل إلى قلوب الحاضرين وأن يقصي فرعون عن تصدّر الكلام، وأجبره أن يخفف من عجرفته وسطوته في كلامه، ثم عاد فرعون ليقطع كلام الرجل مرّة أخرى، وخاصة بعد أن رأى أن الأمر قد يفلت من بين يديه، وأن كلام الرجل المدافع عن موسى قد وقع في قلوب الناس موقع التصديق والإقناع، فأصدر أوامره إلى وزيره هامان بأن يبني له صرحاً عالياً، وبناءً عظيماً يصعد به إلى السماء، وهو الوسيلة ليرى من خلاله صدق موسى أو كذبه كما زعم، وأوهم القوم بأن الصعود إلى

(1) حوى، الأساس، (4957/9)، مرجع سابق.

(2) غافر (29).

(3) غافر (30-31).

(4) الخالدي، مع قصص السابقين، (114/5)، مرجع سابق.

(5) غافر (34).

السماء أمرٌ تتاله قدرته، فأصدر هامان أمره أن يطبخ الآجر بعد أن يوقد عليه، ويبنى صرحا يأخذ في السماء صعوداً⁽¹⁾، ثم أتبع ذلك بأنه يظن كذب موسى فيما يدّعيه.

[وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى

إِلَيْهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا]⁽²⁾، ونرى هنا أن فرعون لم يكن من الجهل لدرجة أنه يأمل أن ينال السماء ببناء عال، ولكنه أراد أن يتغفل القوم الذين معه، حتى لا يخامرهم شك في قدرته⁽³⁾، وهو بخبثه وحنكته أراد أن يشغل القوم بعمل مطوّل وهو عمل هذا الصرح المصنوع من هذا الطين المحروق وهو "اللبن" أو "الطوب" من أجل أن ينسى القوم الدعوة والتفكير بها عن طريق عامل الزمن، فتحويلُ التراب إلى طين ثم الإيقاد على الطين بإشعال النار تحته، ثم حرق الطين ليكون آجرًا، ثم استخدام هذا الآجر المحروق في بناء الصرح الضخم، كل ذلك فيه تسويق وتأخيرٌ وتطويلٌ وإشغال⁽⁴⁾، وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أن هامان وصرحه الذي بناه لفرعون لم يرد عنهما تفصيلٌ في الكتاب والسنة، فهما من المبهمات في القرآن فلا نعلم نسب هامان وما جرى معه وكيف أصبح وزيراً مقرباً من فرعون، ولا ما كان من بناء الصرح بعد ذلك.

وبعد هذا الموقف الهزلي من فرعون عاد المؤمنُ ليصدق بإيمانه جهرَةً لأول مرةٍ، داعياً قومه للإيمان بموسى واتباعه، [وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَنْقُومِ رَبُّنَا كُفْرَهُمْ أَنَّهُمْ لَمَّا نَدَّبُوا إِلَيْهِ كَوُفًّا أَسْمَكُوا بِلِئَامِ الْتَأْتِيهِمْ سِيبٌ مِّنَ الْمُزْبَاتِ يُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ اللَّجِيمُ]⁽⁵⁾، وفي هذا الحديث تحد صريح وواضح بكلمة الحق الذي لا يخشى منها سلطان فرعون الجبار، ولا ملأه المتآمريين معه من أمثال هامان وقارون⁽⁶⁾، ففرعون قبل قليل كان يردّد في قومه قوله (وما أهداكم إلا سبيل الرشاد)، والمؤمن في هذه اللحظة يقول لهم: (إتبعوني أهدكم سبيل الرشاد)، وهو يشير إلى أن سبيل فرعون وآله وما هم عليه هو سبيل الغي والفساد، ومن هذه النقطة ابتدأت المواجهة العلنية بين الرجل المؤمن الذي يمثّل دين موسى والطاغية فرعون أمام

(1) النجار، قصص الأنبياء، ص186، مرجع سابق.

(2) غافر (26-27).

(3) طبارة، مع الأنبياء في القرآن، ص229، مرجع سابق.

(4) الخالدي، مع قصص السابقين، (118/5)، مرجع سابق.

(5) غافر (38).

(6) قطب، الظلال، (184 /7)، مرجع سابق.

الملاً، فأخذ الرجل ببيان حقيقة هذه الدار الفانية المنقضية، وأن عليهم أن يزهّدوا فيها لأجل الآخرة الباقية، ثم شرع في إبطال ما هم عليه وتخويفهم ممّا يصرون عليه⁽¹⁾. فقال لهم: [وَيَقُولُ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفِيرِ * لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ] ⁽²⁾، وفي قوله [لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ] تجريدٌ للطاغية فرعون من كل قوة وعزة وفاعلية، وتبين أنه لا يملك من مقومات النفع والضرر شيئاً في الدنيا والآخرة⁽³⁾، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلُّ على شجاعة الرجل المؤمن وجرأته في الحق، هذا الرجل الذي واجه فرعون سراً بالنصيحة في بداية الأمر ثم ما لبث إلا أن أعلن إيمانه، وتحدّى فرعون، ولم يرهب طغيانه ولا سلطانه ولا بطشه⁽⁴⁾، ولقد صرح الله في كتابه أنه أنجاه من مكرهم [فَوَقَّهٖ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا^ط وَحَاقَ بِقَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ]⁽⁵⁾، وفي هذا دليلٌ على أنهم أرادوا الإيقاع به، لكن الله خلّصه مما همّوا به من إحاق العذاب به كونه خالفهم واتبع طريق موسى⁽⁶⁾.

المطلب الثامن: نشاط موسى الدعوي في تلك المرحلة

برغم ما صبّه الطاغية فرعون على بني إسرائيل من العذاب وألوان الإهانة، وذلك بسبب إيمان جزء منهم بموسى ودعوته، وشروعه بقتل أبناء المؤمنين منهم واستحياء نسائهم مرّة ثانية، بعد أن كان مثل ذلك قبل ولادة موسى ليحول بين بني إسرائيل وبين الإيمان، وليبقيهم مستعبدين له⁽¹⁾، رغم ذلك كله استمرّ كليم الله موسى في تبليغ دعوة ربه موصياً قومه

(1) حجازي، التفسير الواضح، م3 (37/24)، مرجع سابق، وابن كثير، البداية والنهاية، م1 (ج1/236)، مرجع سابق.

(2) غافر (41-43).

(3) النيسابوري، غرائب القرآن، (6/37)، بتصرف، مرجع سابق.

(4) الخالدي، مع قصص السابقين، (5/128)، مرجع سابق.

(5) غافر (45).

(6) حوى، الأساس، (9/4964)، بتصرف، مرجع سابق.

(1) الخالدي، القصص القرآني، (3/8)، مرجع سابق.

بالبثبات على طريق الحق والصبر على الشدائد، وهذا يعني أن مرحلة الظلم والاستعباد اقتربت
نهايتها وحانت ساعة النصر والفرج⁽¹⁾، [قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ
لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ] ^ط(2)، والظاهر أن بني إسرائيل انقسموا
بشأن دعوة موسى إلى قسمين:

القسم الأول: وهم قلة آمنوا بموسى ودعوته، ويظهر ذلك من قوله تعالى [فَمَا آءَمَّنْ
لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ
لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ] ⁽³⁾، وقوله (فما آمن) يعني تقليل المؤمنين به لأنه نفى
الإيمان ثم أوجبه لبعضهم، ولو كان الأكثر مؤمناً لأوجب الإيمان أولاً ثم نفاه عن الأقل⁽⁴⁾، وقيل
إن الذين آمنوا بموسى كانوا صغار السن من قومه وهم الأقلية⁽⁵⁾.

أما القسم الثاني فقد كانوا الأغلبية من قوم موسى فلم يؤمنوا بدعوته خوفاً من الفتنة والقتل من
فرعون، أو هم الذين كان إيمانهم ركيكاً يتقلب مع الأحوال والأزمان، وهؤلاء أشار الله إلى
تبرئهم من دعوة موسى ودينه الذي سبب لهم الإيذاء من قبل فرعون وقومه في قوله: [قَالُوا
أُودِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا] ⁽⁶⁾ أي خاطبوا موسى قائلين ما الذي جنيناه من
دعوتك وقدمك؟، فلم تزدنا دعوتك إلا تقتيلاً في أبنائنا واستحياء لنسائنا⁽⁷⁾، وهذا التبرم يوضح
لنا صفة ملازمة لبني إسرائيل تكشف عن ضعف نفوسهم، فهم لا يريدون أن يتحملوا المسؤولية،
ولا أن يدفعوا ثمن النصر والتمكين، وإنما يريدون نصراً سهلاً، وتمكيناً ميسوراً بدون جهد ولا
مواجهة ولا ثبات ولا تضحية⁽⁸⁾، وفي ظل هذا الوضع الصعب الذي سبب انقسام الإسرائيليين
بشأن دعوة موسى، وازدياد الأذى من فرعون وقومه، طلب موسى من فرعون إطلاق سراح

(1) الشوكاني، فتح القدير، (294/2)، بتصرف، مرجع سابق.

(2) الأعراف (128).

(3) يونس (83).

(4) الأندلسي، البحر المحيط، (5/182)، مرجع سابق.

(5) أنظر البقاعي، نظم الدرر، (3/473)، مرجع سابق، وأبي السعود، تفسير أبي السعود، (3/368)، مرجع سابق.

(6) الأعراف (129).

(7) البقاعي، نظم الدرر، (3/88)، مرجع سابق.

(8) قطب، الظلال، (3/1355)، بتصرف، مرجع سابق، والخالدي، القصص القرآني، (3/13)، مرجع سابق.

الإسرائيليين وأن يرسلهم معه ويسلمهم إليه لتخفَّ حدة المواجهة، ويتمكن من تربية وتقوية أتباعه [وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ * أَنْ أَدُوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكَرُمٌ رَسُولٌ أَمِينٌ]⁽¹⁾، أي سلّموا إليّ بني إسرائيل وأرسلوهم معي، ولا تتعرضوا لي، ودعوا الأمر بيني وبينكم مسالمةً إلى أن يقضي الله بيننا، ولكن فرعون رفض هذه الدعوة ولم يقبل هذه المواعدة، ولم يتركه مع قومه، وإنما استمر في تعذيبهم واضطهادهم⁽²⁾، فرفع موسى صوته إلى الله قائلاً: [أَنْ هَتُّوْا قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ]⁽³⁾، أي مشركون قد امتنعوا عن إطلاق بني إسرائيل ومن الإيمان بدعوتي⁽⁴⁾.

موسى يُرَبِّي أَتْبَاعَهُ سِرّاً

عندما اشتدَّ الأذى ببني إسرائيل بسبب عبادتهم وإيمانهم بموسى، أخذ كلِّيم الله موسى يهّج نهجاً آخر في تربية الجماعة المؤمنة معه، فأخذ يقوم بالتعبئة الروحية النظامية، وهما ضروريتان للأفراد والجماعات وبخاصة قبيل المعارك والمشقات⁽⁵⁾، وتتمثل هذه الطريقة بتربية الأتباع في صورة سرية بعيدة عن أنظار فرعون وأتباعه، حتى لا يلحق بهم الأذى، وبالتالي تتم المحافظة قدر الإمكان على الجماعة من القتل والبطش والتعرض لألوان العذاب وصنوف الأذى⁽⁶⁾، قال تعالى: [وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَذَيِّرِ الْمُؤْمِنِينَ]⁽⁷⁾، وقد أذن الله للمؤمنين في هذه المرحلة الحرجة أن يؤدّوا عباداتهم في بيوتهم سرّاً. أقول: وقد خصَّ الله ذكر الصلاة في الآية السابقة كون الصلاة هي العبادة الأبرز في الدين وهي عمدة أساسه وبنيناه، وغيرها من العبادات قد يستطيع الإنسان أن يخفيها عن الآخرين إلى حد كبير، أمّا الصلاة وبخاصة صلاة الجماعة منها، لا بُدَّ فيها من التجمّع والتجمهر وهذا ما قد يلحظه الأعداء والراصدون بشكل أسرع من غيره،

(1) الدخان (17-18).

(2) إبن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/141)، مرجع سابق، وحوى، الأساس، (9/5191)، مرجع سابق.

(3) الدخان (22).

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م8 (ج16/91)، مرجع سابق.

(5) قطب، الظلال، (4/469)، مرجع سابق.

(6) إبن كثير، قصص الأنبياء، ص332، بتصريف، مرجع سابق.

(7) يونس (87).

وتحمل الآية إرشاداً للجماعة المؤمنة للإستعانة بكثرة الصلاة لدفع ما هم فيه من البلاء والشدة استدلالاً بقوله تعالى [وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ]⁽¹⁾، (وبما رواه ابو داوود في سننه عن رسول الله أنه كان إذا حزبه أمرٌ أي أشدت عليه صلّى)⁽²⁾، وقد لجأ موسى إلى هذه الطريقة ليعزل الجماعة المسلمة عن الجو العام المملوء بالفساد والفتنة، وحتى يستطيع أن يطهرها ويزكّيها وينظّمها حتى يأتي وعد الله بالنصر والتمكين.

المطلب التاسع: تسليط العذاب على فرعون وقومه

لقد جرت سنة الله في خلقه أن الذنوب والمعاصي تجلب العقوبة والعذاب لمرتكبيها، ولا عقوبة إلا بذنوب [فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ]⁽³⁾، والعقوبة تنتوع بتنوع الذنوب، تلك سنة لا تبدل لها ولا تحويل، ولقد جاء موسى بالمعجزات من ربه دليل صدق على دعواه، ورآها فرعون وقومه عياناً، ولكنهم جحدوها مع أنهم استيقنوا صدق رسول الله موسى، [وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ]⁽⁴⁾، فأرسل الله لهم آياتٍ أخرى تحمل في طياتها العذاب والهوان، وذلك في إشاراتٍ جديدةٍ إلى فرعون وقومه علّمهم يعودون إلى صوابهم، ويقنعون عمّا هم فيه من الاستكبار والعناد، ولقد أشير في القرآن إلى هذه الآيات بصورة مجملة في قوله [فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ]⁽⁵⁾، وقوله [وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ]⁽⁶⁾، وفصلت في موضعين من سورة الأعراف في قوله]

(1) البقرة (45).

(2) أبو داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داوود، م 1 (ج 2/35)، كتاب الصلاة، باب قيام النبي ﷺ من الليل، حديث رقم (1319)، تعليق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى.

(3) العنكبوت (40).

(4) النمل (14).

(5) النمل (12).

(6) الإسراء (101).

وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ⁽¹⁾، أي لقد اختبرناهم وابتليناهم بالسنين وهي سني الجوع بسبب قلة الزروع ونقص من الثمرات⁽²⁾.

وحدوث القحط ونقص الثمرات في أرض مصر المخصبة المثمرة كي تلفت النظر وتهز القلب وتثير الفلق، وتدعو إلى اليقظة والتفكير⁽³⁾، وفي موضع آخر قال تعالى [فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ⁽⁴⁾]،

فتصبح الآيات تسعة وهي "العصا واليد البيضاء والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان ونقص السنين والثمرات"، أما قوله تعالى [وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ⁽⁵⁾]، فقد أشكل على البعض حتى عدوا الرجز آية أخرى فأصبحت الآيات أكثر من المنصوص عليه في القرآن الكريم، فهو ليس آية مستقلة بذاتها، فالرجز يأتي بمعنى العذاب، والعذاب كلمة عامة تشمل كل ما ذكره الله من ألوان العذاب التي سلطها على بني إسرائيل، والرجز يأتي بمعنى الاضطراب كذلك⁽⁶⁾، ومنه قيل رجز البعير رجزاً وناقة رجزاء، إذا تقارب خطوها واضطرب لضعف فيها⁽⁷⁾، وقد سميت تلك الآيات رجزاً لأنها ابتلاءً وعذابٌ متتابعٌ صبه الله عليهم، وأدت هذه الآيات إلى اضطراب أحوالهم وفسادها⁽⁸⁾.

ويشار هنا إلى أن أصناف العذاب التي ذكرت في الآيات السابقة قد أبتلي بها قوم فرعون دون الإسرائيليين الذين عافاهم الله من تلك الإبتلاءات، ونقرأ ذلك في قوله [وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ⁽⁹⁾]، وموضع الشاهد

(1) الأعراف (130).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (239/2)، مرجع سابق.

(3) قطب، الظلال، (3/615)، مرجع سابق.

(4) الأعراف (133).

(5) الأعراف (134).

(6) الدامغاني، الحسين بن محمد، قاموس القرآن، ص191، تحقيق عبد العزيز سيّد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1997م.

(7) الراغب، المفردات، ص187، مادة رجز، مرجع سابق.

(8) الخالدي، قصص القرآني (3/32)، مرجع سابق.

(9) الأعراف (130).

في الآية على أن العذاب أُختص به قوم فرعون دون الإسرائيليين هو قوله (آل فرعون) وكلمة آل في القرآن تأتي على ثلاثة وجوه، الأول: بمعنى القوم والتبع كما في قول [وَلَقَدْ جَاءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ الْتَدْرُجُ]⁽¹⁾، والثاني بمعنى أهل البيت والحاضرين من أهل القوت والنفقة مثل قوله [إِيَّا ءَالَ لُوطٍ]⁽²⁾.

والثالث بمعنى القرابة والذرية مثل قوله [وَءَالَ إِيرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ]⁽³⁾، أما آل فرعون فإنهم أهل دينه وقومه وأشياعه⁽⁴⁾، ومعروف أن الإسرائيليين ليسوا من قوم فرعون ولا من أهله ولا ممن كانوا على دينه فخرجوا من آله، كما ونلاحظ رحمة الله بعباده من خلال إرسال هذه الابتلاءات وذلك من عدّة وجوه، الوجه الأول: أن الله لم يجعل تلك الضربات الموجهة إلى قوم فرعون ضربات قاضية مهلكة، وإنما كانت على شكل إنذارات تفسد حياتهم، وتدق ناقوس الخطر في أذهانهم، وتدبُّ الرعب في نفوسهم علّهم يرجعون إلى صوابهم، ومن المعلوم أنّ الابتلاءات قد تجعل الإنسان يفكر في ذنوبه ويؤوب إلى خالقه، على عكس العذاب المهلك الذي لا ينفع معه الندم، ويختم للإنسان على ما مات عليه من المعاصي والآثام، والجانب الثاني: أن هذه الابتلاءات لم تكن في الظاهر دفعة واحدة، بل كانت على مراحل متتابعة للرغبة في أن يذكرّوا ويتوبوا⁽⁵⁾، وذلك أخف على النفس من أن تكون الابتلاءات دفعة واحدة كما جاء في قوله تعالى [ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ]⁽⁶⁾، كما ويلاحظ أن الآيات السبع المذكورة في سورة الأعراف لم تكن من المعجزات التي يراد بها التحدي كالعصا واليد البيضاء وإنما هي "إبتلاءات" من الله لفرعون وقومه، وعذابٌ أوقعه بهم وَصَّبَهُ عَلَيْهِمْ، بسبب بطشهم ببني إسرائيل وتعذيبهم، وهذه الآيات ليس بها تحدٍ كالعصا واليد البيضاء، الآيتان اللتان قدمهما موسى واعتبرهما دليلاً على نبوته لأنهما خارقتان للعادة، بالإضافة إلى أنه تحدّى بهما فرعون وقومه في يوم الزينة⁽⁷⁾، ولا نجد

(1) القمر (41).

(2) القمر (34).

(3) آل عمران (33).

(4) أنظر عميره عبد الرحمن، دقائق لغة القرآن في تفسير ابن جرير الطبري، (98/1)، عالم الكتب، ط1، 1992م.

(5) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص4320، بتصرف، مرجع سابق، وحوى، الأساس، (1983/4)، مرجع سابق.

(6) الأعراف (133).

(7) الخالدي، القصص القرآني، (3/ 24-25)، بتصرف، مرجع سابق.

في القرآن الكريم تفصيلاً للكيفية التي وقعت بها هذه الابتلاءات، ولذلك نسلم بوقوعها ولا نخوض في تفاصيلها كون هذه التفاصيل مستمدة من الروايات الإسرائيلية، ويذكر القرآن أن فرعون وقومه كانوا في حال وقوع نقم الله عليهم يتوجهون إلى موسى راجين منه الدعاء لهم عند الله لكي يرفع عنهم هذه الابتلاءات حتى إذا رفعت نكثوا عهودهم، وعادوا إلى أسلوب الخداع والمرَاغة والعناد⁽¹⁾، فعندما أنزل الله عليهم القحط والجذب توجهوا إلى موسى يسألونه أن يدعو الله لهم لمنزلته الرفيعة عنده أن يرفع عنهم هذا البلاء، واستعدوا أن يؤمنوا به لقاء ذلك، وأن يستجيبوا لأمره في تحرير الشعب المستضعف⁽²⁾ [وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ^ط لِيُنزِلَ عَلَيْنَا مَاءً غَاطِقًا يَمْحُو عَنْنَا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَ لَكَ وَنَتَّبِعَ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ⁽³⁾]، وهكذا كانت حالهم في كل مرّة يقع بها عليهم عذاب الله وسخطه، ولقد أبت طبيعة فرعون وقومه الموقعة في السوء، الإذعان لله بعد أن توالى عليهم الآيات الواضحات، فاستمروا في إجرامهم وظلمهم لبني إسرائيل، وكلما جاءتهم آية كانت أكبر من أختها، ومع ذلك كانوا يقابلونها بالضحك والسخرية والاستهزاء تارة، وتارة تضيق بهم السبل فيسارعون إل موسى طالبين منه أن يدعو لهم ربه لكي يكشف العذاب عنهم واعدية بالإيمان والتسليم ثم ما يلبثوا أن ينكثوا عهدهم، حتى نالوا غضب الله واستحقوا عقابه وهم على تلك الحالة⁽⁴⁾، وقد سجّل الله عليهم هذا الموقف بقوله [فَأَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ * وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا^ط وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ⁽⁵⁾]، ويشير القرآن كذلك إلى أن فرعون وقومه كانوا على علم بأن موسى عبد الله ورسوله إليهم، فقد كانوا يخاطبونه قائلين (يا موسى ادع لنا ربك) فهم يثبتون رباً لموسى بعدما كان فرعون يقول له ولكل من حوله (أنا ربكم الأعلى)، ولكن القوم عندما كانوا يسارعون إلى موسى طالبين منه الدعاء، لم يكن اتجاههم إلى موسى اتجاهاً إلى الإيمان، بل كان من أجل رفع العذاب والابتلاء عنهم، ويظهر ذلك من خطابهم لموسى (ادع لنا

(1) قطب، ظلال القرآن، (3 / 618)، مرجع سابق.

(2) محمد أبو فارس، إن فرعون علا في الأرض، ص88، مرجع سابق.

(3) الأعراف (134-135).

(4) طباره، مع الأنبياء في القرآن، ص238، بتصرف، مرجع سابق.

(5) الزخرف (47-48).

ربك) فقدم الجار والمجرور كونه يخصهم برفع العذاب، فقد كان طلبهم لرفع العذاب أولاً، وتحقيقاً للمصلحة الذاتية (ادع لنا) وبعد ذلك سوف ينظرون في أمر الاسرائيليين⁽¹⁾، وقد كان فرعون وقومه يتهمون موسى ومن معه بأنهم سبب ما يحلُّ بهم من عذاب ونقمة، وهذا ما يُسمى بالتشاؤم أو التطير، وإن أصابتهم سراء اعتبروا ذلك من جهدهم وسعيهم وكدهم ونتاج عقولهم، وقد ردت عليهم الآية الكريمة وبيّنت أن ما أصابهم كان جزاء وفاقاً بسبب ما ارتكبه من ظلم وإفساد [فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرْتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ⁽²⁾].

تبجح فرعون واستهزاؤه بموسى

لم تجد الموعدة الحسنة والكلمة الطيبة والقول اللين نفعاً مع فرعون وقومه، فلم يزددهم ذلك إلا تجبراً وعناداً، ثم وقعت عليهم البلايا والمصائب، فهزت نفوسهم وأوقعتهم في ضنك شديد، فلجأوا إلى موسى ليدعو الله لهم برفع العذاب قاطعين على نفوسهم العهود والمواثيق بالإحسان والإيمان، ثم ما لبثوا أن نكثوا عهدهم وطعنوا في دين موسى، ولم يكتف فرعون بذلك بل وقف بين الناس مستهزئاً بموسى، داعياً قومه للمقارنة بينه وبين موسى، ونقرأ ذلك في قوله تعالى على لسان فرعون [وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۗ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِبِينَ * فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ⁽³⁾]، فما هو المغرور بماله وما أوتي في هذه الحياة الفانية من زخرف ومتاع يجمع قومه وينادي فيهم بعد أن كشف العذاب عنهم خوفاً من أن يؤمن بعضهم بموسى مفتخراً مغروراً بما ملك من ملك مصر وتصرفه فيها قائلاً: "أليس لي ملك مصر لا ينازعني فيها أحدٌ ولا يخالفني فيها مخالف؟ وهذه الأنهار، أنهار النيل وفروعه تجري من تحت قصري؟ أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملك؟" مقارناً نفسه بموسى الذي لم تصل يده إلى ملك

(1) باجودة، تأملات في سورة الأعراف، ص 320.

(2) الأعراف (131).

(3) الزخرف (51-54).

فرعون وحكمه، ناسباً المهانة لموسى⁽¹⁾، ويتمادى فرعون في غروره حين عدّ نفسه خيراً من موسى [أَمْرًا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ]⁽²⁾ أي "ضعيفٌ حقير"⁽³⁾، وأخذ ينتقص من حق رسول الله موسى ويزدريه لكونه لا يستطيع أن يعبرَ عمّا يجول في خاطرة وهي "حبسة التي كانت في لسانه"⁽⁴⁾، وذلك إن دلّ على شيء فإنه يدل على أن احتقار الآخرين وازدراؤهم من إفراوات النزعة الفوقية التي تملكت نفس فرعون، فهو يرى كل ما عداه حقيراً تافهاً لا قيمة له⁽⁵⁾، وبعد أن أورد فرعون على مسامع قومه مطاعنه على موسى، وبهرهم بما لديه من مال وملك وسلطان، أخذ يوهم قومه أن رسل الله يجب أن يكونوا كرسل الملوك من طبقة الأغنياء والمترفين [فَلَوْلَا أُلْفِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ]⁽⁶⁾، والمعنى: فهلاً أُلقي على موسى إن كان صادقاً أسورة من ذهب؟ "وهو جمع سوار"، وهو ما يلبس في اليد عادةً باعتبار أن هذا من علامات الزعامة والسيادة عندهم"⁽⁷⁾، ونرى هنا أن فرعون أراد بهذه المقارنة أن يعطي مكانته أمام قومه، ويضع من مكانة موسى، وذلك عن طريق إيهام الجموع أنّ القوة إنما تكون بالمال والجاه والسلطان والتمكّن، وهو ما يعبر عنه بالقوة الاقتصادية والعسكرية، وكل ذلك يملكه فرعون ولا يملكه موسى، وعن طريق استغلاله لما كان معروفاً عن موسى من حبسة اللسان وعدم قدرته على التعبير، وهذا ما يعرف بالفروقات الفردية بين الأشخاص، ولأن قوم فرعون كانوا مفتونين بزخرف الحياة الدنيا الفانية، محبين للمال والجاه والسلطان، إستطاع فرعون أن يلغي عقولهم ويجمّد تفكيرهم عند هذه النقطة مما ساقهم لاتباعه والإعراض عن موسى ودعوته، وقد أشار الله إلى ذلك بقوله [فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ]⁽¹⁾، أي استخف فرعون بعقول قومه ودرّجهم من حال إلى حال إلى أن صدّقوه في

(1) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (130/4)، مرجع سابق، والطبري، تفسير الطبري، م13 (25/104) وما بعدها، مرجع سابق.

(2) الزخرف (52).

(3) السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن الكمال، وجمال الدين محمد بن أحمد، تفسير الجلالين، ص652، تقديم محمد كريم راجح، دار القلم.

(4) كشك، المستكبرون والمستضعفون، ص68، مرجع سابق.

(5) قاسم توفيق، شخصية فرعون في القرآن، ص73، مرجع سابق.

(6) الزخرف (53).

(7) انظر الطبري، تفسير الطبري، م13 (ج25/105)، مرجع سابق.

(1) الزخرف (54).

دعواه الربوبية⁽¹⁾، وبعد أن أخذ منهم الإعراف بربوبيته استطاع فرعون الاستخفاف بعقول قومه فيما دون ذلك من الأمور، وما كان ذلك إلا كما أشارت الآية لفسقهم وخروجهم عن طريق الحق والصواب، وما خرجوا عن طريق الحق والضلال إلا حُباً في المال والجاه والسلطان، ولذلك كان فرعون يبهرهم دائماً بماله وسلطانه، وكان ذلك هو السوط المسلَّط على قلوب هؤلاء، فقد علموا صدق موسى ولكنهم رفضوا الإذعان له والتمسك بالحق، وما ذاك إلا حُباً في المال الذي يملكه فرعون، وخوفاً من بطشه وجبروته، وما ساعد على خفة أحلامهم وقلّة عقولهم إلا تلك الخرافات والعقائد الباطلة التي امتلأت بها قلوبهم، ولما تعرضوا له من التضليل والعزل عمّا من شأنه أن ينور لهم الطريق ويجلي لهم الحقائق⁽²⁾.

موسى يجأ بالدعاء إلى الله

لمّا رأى موسى استكبار فرعون وملئه وإصرارهم على الكفر، وازدياد عدائهم على المؤمنين وبطشهم بهم وقمعهم لهم، توجه موسى إلى الله تعالى يدعو على فرعون وملئه، فهذا هو سبيل المظلوم المقهور، والله لا يخيّب مظلوماً لجأ إليه⁽³⁾، وقد سجل لنا القرآن هذا الدعاء فقال عزّ من قائل: [وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ]⁽⁴⁾، وهذه الدعوة العظيمة التي دعى بها كليم الله موسى على فرعون وقومه لتكبرهم عن الحق، وقد ذكر موسى في الدعاء أسباب الإفساد الكبرى التي استخدمها فرعون وقومه، وهما ما يغتر به من يُعظّم أمر الدنيا، وهما الزينة والأموال⁽⁵⁾، والزينة هي الدنيا وزخارفها ومصالحها ومنافعها، والمال هو عصب الحياة والوسيلة التي تقضى بها الحاجات، وقد استخدم فرعون هاتين الوسيلتين في إغراء الناس حتى يبقوا في صفه ولا يسيروا مع ركب

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، م 1 (ج 1/239)، مرجع سابق.

(2) قاسم توفيق، شخصية فرعون في القرآن، ص 133، مرجع سابق.

(3) طهماز، عبد الحميد محمود، الإنسان بين التقدير والتكليف في سورة يونس، ص 109، دار القلم، دمشق، ودار العلوم، بيروت، ط 1، 1989م.

(4) يونس (88).

(5) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 333، مرجع سابق.

موسى والمؤمنين، فقد كان يأمر قومه أن يمنحوا الموالين له الأموال الكثيرة ليشتتوا نفوسهم ويكسبوا ولاءهم، وأن يحرموا المؤمنين بموسى من هذه الأموال⁽¹⁾.

أقول: وقد ركز موسى في دعائه على قضية المال "العامل الاقتصادي"، كونه هو العامل الأبرز والأقوى في إحياء الشعوب وتقدمها مادياً، فالأموال سبب في إيجاد السلاح وبالتالي ازدياد قوة الشعوب، وبضعف الجانب الإقتصادي تضعف الشعوب عسكرياً، وتنزلق إلى قاع الأمم والحضارات، وفي ذلك إشارة إلى أن موسى قد دعى عليهم بالهلاك والخسران والضعف، وهذا معنى قوله (ربنا اطمس على أموالهم)، وقد دعى عليهم أيضاً بقوله (واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم)، أي أحكم يا رب الأربطة على تلك القلوب فلا يخرج ما فيها من كفر، ولا يدخل ما هو خارجها من الإيمان، لأن هؤلاء قد افتروا افتراءً عظيماً، وأن نظل الأربطة على قلوبهم حتى يروا العذاب الأليم، وموسى كان قد دعا على آل فرعون بهذا الدعاء لا خوفاً منهم ولا من ضلال قوم فرعون أنفسهم، وإنما كان ذلك خوفاً من استمرار إضلالهم لغيرهم، وإجبار الآخرين على اتباع الباطل، وقد استجاب الله دعوته ودعوة أخيه هارون، وطمس على أموال فرعون وملئه، وطبع على قلوبهم بالكفر، وأوصى الله موسى وهارون أن يستقيما على طريقه، ويثبتا على دينه، ولا يتبعان سبيل فرعون وملئه⁽²⁾، [قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ]⁽³⁾، وقد استجاب دعوة موسى على فرعون وقومه دون تحديد الكيفية والله تعالى أعلم.

قارون يناصر فرعون على موسى وقومه

لقد ذكر الله في كتابه نماذج كثيرة للطغاة المستبدين ومن الالههم وناصرهم، ومن تلك النماذج رجل من قوم موسى اسمه قارون، وهذا الرجل كان يمثّل القوة الإقتصادية العظيمة في عصر فرعون، وهو أحد أركان الثلاث الباغي الذي كان يحكم مصر، وقد قرن الله اسمه باسم

(1) رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الكريم المعروف بتفسير المنار، (472/11)، دار المنار، مصر، ط4، 1373هـ، بتصرف.

(2) الخالدي، القصص القرآني، (41/3)، مرجع سابق.

(3) يونس (89).

فرعون، [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَّانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ]⁽¹⁾ وفي موضع آخر قال تعالى [وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَّانَ ^ط] وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ]⁽²⁾، ولم يذكر القرآن أية تفاصيل عن قارون ونسبه سوى أنه أثبت أنه من بني إسرائيل وليس من قوم فرعون، وذلك بقوله تعالى [إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ]⁽³⁾، وقد انحاز قارون إلى فرعون، فقطع ما بينه وبين قومه من الوصل، ووصل ما بينه وبين فرعون⁽⁴⁾، ولقد ورد في قصة قارون تفصيل لمنهج الهيمنة على بني إسرائيل من خلال إفساد المفاهيم، حتى أصبح الكثيرون يعتقدون أن الشخص الذي يملك المال الكثير هو صاحب الحظ الكبير في هذه الدنيا⁽⁵⁾، مما غرر بالكثير من الإسرائيليين وجعلهم تبعاً لفرعون، ولا أريد أن أخوض في تفاصيل قصة قارون في كتاب الله وإنما أريد أن أتناول منها ما يخدم فكرة ظلم فرعون لبني إسرائيل، وتمثل هذا الظلم باستخدام وسائل متعدّدة في سبيل ذلك وهي:

الوسيلة الأولى: ظلم الإسرائيليين وإغرائهم

شارك قارون فيما كان يملك من أموال في ظلم الإسرائيليين واضطهادهم جنباً إلى جنب مع فرعون الطاغية، وبالإضافة إلى أن قارون كان يحاول مراراً وتكراراً إغراء ضعاف الإيمان بما لديه من أموال وزخارف حتى استطاع أن يوقع بهم، قال تعالى [فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ^ط قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ]⁽⁶⁾، فقد بهرهم قارون بما يملك من أموال فأخذت تطير لها قلوب فريق منهم وتنتهاوى لها نفوسهم، وأصبحوا يتمنون لأنفسهم مثل ما أوتي قارون وأصبحوا يحسون أنه أوتي حظاً

(1) غافر (23-24).

(2) العنكبوت (39).

(3) القصص (76).

(4) البقاعي، نظم الدرر، (517/5)، مرجع سابق.

(5) الخضري، محمد صالح، منهج الدعاة إلى الله في رحاب سورة الكهف والقصص، ص117، تقديم أحمد حسن فرحات وعبد الستار أبو غده، دار النفائس، الأردن، ط1، 1998م.

(6) القصص (79).

عظيماً يتشبهاه المحرومون⁽¹⁾، ونلاحظ هنا التفرقة التي غرسها قارون بين قومه حتى أصبحوا فريقين، الفريق الأول: مبهور بما لديه من أموال وزينة وزخارف، والفريق الثاني: المتمسك بدينه وعقيدته، والذي ينظر إلى الدنيا على أنها حياة زائفة، وهذا مما لا شك فيه يوقع الضعف والهوان في صفوف المؤمنين بإغرائه طائفة منهم وتشبيط عزائمهم وإشغالهم بالحياة الدنيا عن دينهم وعقيدتهم.

الوسيلة الثانية: استخدام قارون أمواله لنشر الفساد في الأرض

لقد أنعم الله على قارون بالمال الكثير حتى صعب على الرجال حمل مفاتيح الخزائن، والمال وسيلة لتحقيق المراد فإما أن يستخدمه الإنسان في فعل الخير وإمّا أن يستخدمه في فعل الشر، وقد سخر قارون ماله الذي آتاه الله في الإفساد في الأرض ونشر الرذيلة، ويظهر ذلك من خلال النصائح التي أسداها له قومه حين قالوا له [وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ]⁽²⁾، فلو أنه كان يسخر ماله في فعل الخير لما أحتاج قارون إلى هذه النصيحة، وإنما نهاه قومه عن الإفساد عندما شاع فساده، وقد ذكر من مظاهر إفساده أنه اقتترف المعاصي والآثام، وانشغل بالدنيا عن الآخرة، وجدد رسالة موسى، والكبر الذي كان في نفسه على قومه حتى اغتر عليهم بكثرة ماله وولده، ونسب ما آتاه الله من الكنوز إلى نفسه بعلمه وحيلته، وقيل إنّه دبّر مكيدة لموسى كي يُتهم بالزنا، وذلك بعد أن أعطى امرأة من البغايا بعض المال لكي تلتصق التهمة بموسى عليه السلام⁽³⁾.

الوسيلة الثالثة: الامتناع عن إفادة الآخرين بماله

عندما رأى القوم أن قارون سادر في طغيانه، لا هم له إلا أن يستكثر من المال، وإن تضرّوا غيره جوعاً، وأن يكتسي من اللباس ما يزيّن به نفسه، وإن رأى العري في قومه فاشياً، وهذا كله مع غرور واستنثار وبطر واستكبار، فلما رأى قومه ذلك منه، نقموا عليه طريقته، وحاولوا

(1) قطب، الظلال، (6/376)، مرجع سابق.

(2) القصص (77).

(3) الطبري، تفسير الطبري، م11 (ج2/136)، بتصرف، مرجع سابق، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م7 (ج13/205)، بتصرف، مرجع سابق.

أن يثيروا فيه روح الخير، وأن ينبهوه إلى ما غاب عنه، فنصحوه أن لا يغويه ماله عن الآخرة، وأن لا يحول ذلك بينه وبين الإحسان إلى قومه وإقالة عثرة المحتاجين، ومسح دموع البائسين، وبذلك ينال الثواب والحمد في الدنيا والآخرة⁽¹⁾، فقال له قومه [وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ^ط وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ^ط وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ^ط وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ^ط إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ]⁽²⁾، أرادوا منه أن يحسن للفقراء والمحتاجين كما أحسن الله إليه، فأمدّه بالمال الكثير والنعم الوافرة، فما كان منه إلا أن أجابهم متكبراً عن قبول النصيحة في جملة واحدة تحمل شتى معاني الفساد [قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي]⁽³⁾، أي إنما أعطيت هذا المال على علم عندي بوجوه المكاسب، وأنا مستحق لهذا الإكرام⁽⁴⁾، وهذه الإجابة تحمل في طياتها إشارات من قارون إلى قومه بأنه لن يساعد الفقراء والمحتاجين من قومه لأنه اكتسب هذا المال بحنكته وذكائه، فهو من خصوصياته وليس لأحد حق فيه، ونسي قارون أن في ماله مستحقات قد فرضها الله للفقراء من وجوه الزكاة والصدقة، ولكنه لم يذعن لأمر الله، واحتكر المال في يده، وامتنع عن إفادة قومه الإسرائيليين الذين كانوا يعيشون حياة الضنك والفقر والهوان، وهذا هو شأن المترفين في كل زمان، فهم ينمون الثروة ويدخرونها لأنفسهم ويبدلون تحت عناوين شتى، كلها لا تتجاوز شهوة الإنسان ورغبته في أن تكون له الهيمنة على مصالح الناس وتوجهاتهم، وذلك للضغط عليهم ومنعهم من السير في طريق آخر غير الطريق الذي يريده أصحاب تلك الأموال⁽⁵⁾، وهذا ما يعبر عنه اليوم بالرأسمالية، فالمال محتكر في تلك الأيدي التي تمسك تلك الأموال، و التي تسلك كل الطرق في سبيل تحصيل أموالها وشهواتها دون رقيب، ودون النظر، إلى احتياجات الآخرين ورغباتهم، وقد شكلت خطوة احتكار قارون لتلك الأموال في يده وعدم إعانة الآخرين، ضربة لقومه وأبناء جلدته، فهم يرون المال بين أيديهم دون القدرة على الإستفادة منه، وهذا ما أوجد بينهم ما يسمى بالطبقية والإقطاع، وجسد فكرة الإحتكار، وكلُّ هذا يضعف النفوس، ويشربها من كؤوس الحقد والحسد، فهذه الوسائل التي

(1) جاد المولي، قصص القرآن، ص154، مرجع سابق.

(2) القصص (77).

(3) القصص (78).

(4) الفتاوي، الحوار القرآني، ص180، مرجع سابق.

(5) فرح موسى، الأنبياء والمترفون في القرآن، ص 275، دار الهدى، بيروت، ط1، 1997.

اتبعها قارون الخبيث لبث الفرقة والحسد بين أبناء قومه مناصرة لفرعون، الذي استغل قارون في تثبيت حكمه وفرض سيطرته على بني إسرائيل، وكل هذه الوسائل كانت تجتمع تحت صفة واحدة كبرى، استقرت في نفس قارون وهي صفة الكبر، والتي قادته في نهاية الأمر إلى أن يخرج على قومه مختالاً متكبراً، يلبس الثياب الجميلة متزيناً بزينته، منتفحاً بماله، ليريهم أنه هو الأغنى والأقوى⁽¹⁾.

الجزاء من جنس العمل

لقد استكبر قارون عن الحق، وبغى على قومه، واستطال فوق الأرض غروراً وكبرياءً، فما كان من الله إلا أن جازه بجزاء من جنس عمله، فقد هوى في بطن الأرض التي علا واستطال فوقها جزاءً وفاقاً، وذهب ضعيفاً عاجزاً لا ينصره أحدٌ، ولا ينتصر بمال أو جاه⁽²⁾، [حَسَفْنَا بِهِءَ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْأُمْتَصِرِينَ]⁽³⁾، أي ما أغنى عنه ماله ولا خدمه ولا حشمة، فهوى في باطن الأرض، وهوت معه الفتنة الطاغية التي جرفت بعض الناس، وكشفت عن قلوبهم قناع الغفلة والضلال، ووقف من تمنى أن يكون له مثل الذي مع قارون يحمده الله أنه لم يُعْطِ مِثْلَ مَا آوَتْ قَارُونَ، وذلك حينما رأى المصير البائس الذي انتهى إليه بين ليلة وضحاها، وعلم أن الثراء ليس آية دالة على الرضا من الله، فهو يمتُّ بالرزق على من يشاء من عباده، ويضيقه لأسباب أخرى غير الرضا والغضب⁽⁴⁾، ولقد عَقَّبَ الْقُرْآنَ عَلَى قِصَّةِ قَارُونَ بِقَوْلِهِ [تِلْكَ الْأَمْثَلُ حَقَّ الْحَقِّ لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ]⁽¹⁾، أي تلك الدار الآخرة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبراً عن الحق في الأرض وتجبراً عنه ولا فساداً⁽²⁾.

(1) الخالدي، القصص القرآني، (55/3)، مرجع سابق.

(2) العفاني، سيد حسين، روضة الناظر ونزهة الحاضر في الجزاء من جنس العمل، (322/1)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، 1996م.

(3) القصص (81).

(4) قطب، الظلال، (377/6)، مرجع سابق.

(1) القصص (83).

(2) الطبري، تفسير الطبري، م11 (ج2 / 137)، مرجع سابق.

لا تفاصيل عن كيفية الخسف

نلاحظ أن القرآن أجمل الحديث عن الخسف بقارون وداره، فلم يفصّل هذا المشهد العنيف المؤثر، ولم يذكر كيفية حدوث ذلك⁽¹⁾، كما أن القرآن لم يحدد وقت ومكان ذلك الخسف⁽²⁾، لا تفاصيل عن ذلك كله في القرآن، ويأتي الخسف بمعنى "ذهاب الشيء كله"⁽³⁾، وينسجم هذا المعنى مع مغزى الخسف بقارون، فقد خسف الله به وداره وما كان فيها من مالٍ ومتاع حتى غاب ذلك كله وذهب في باطن الأرض، وأصبح لا يرى ولا يشاهد، وقد خاض الأقدمون في تفاصيل الخسف فذكروا أموراً كثيرةً وأحداثاً جمّة، وكل ذلك من طرق الإسرائيليات، والتي لا نسلم بصحتها، ولذلك نتوقف عن الحديث عن كيفية الخسف ومكانه وزمانه، ونسكت عما سكت القرآن عنه، تمثيلاً مع العبرة المرجوة من إيراد القصة في القرآن الكريم⁽⁴⁾، وأودُّ أن أشير إلى أنني ذكرت قصة قارون ضمن قصة موسى مع فرعون كون القرآن قرن بين قارون وفرعون، عندما ذكر رسالة موسى في قوله [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهٰمٰنَ وَقُرُوٰنَ فَعَالُوا سٰجِرٌ كٰذٰبٌ]⁽⁵⁾ وهذا قد يشير إلى أن قارون كان في قمة قوته وفتنته زمن بعثة موسى إلى فرعون، بالإضافة إلى أن قارون يمثل أنموذجاً لأعدوان الظلمة، وهو قد أعان فرعون على قومه "بني إسرائيل" عندما بغى عليهم، وقارون نفسه يمثل العقلية التي يفكر بها فرعون تجاه موسى.

وأشير كذلك في نهاية حديثي عن مرحلة الدعوة التي خاضها موسى أمام فرعون كما جاءت في كتاب الله، أن هذه المرحلة كانت مرحلة شاقّة، تحمل فيها نبي الله موسى أعباءً كثيرةً، فقد لاقى ما لاقى من السخرية والاستهزاء، واتهم بأنه ساحرٌ ومجنون، وهُدّد بالسجن والتعذيب،

(1) الخالدي، القصص القرآني، (61/3)، مرجع سابق.

(2) قطب، الظلال، (372/6)، مرجع سابق.

(3) الراغب، المفردات، ص148، مرجع سابق.

(4) انظر تفصيل الروايات الإسرائيلية في قصة قارون عند ابن الأثير، المبارك محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، (204/1)، دار الصدر، بيروت، 1965م، والطبري، تاريخ الطبري، (446/1)، مرجع سابق، وابن كثير، قصص الأنبياء، ص397، مرجع سابق.

(5) غافر، (23-24).

وطعن عليه السلام في عقيدته ودينه وأخلاقه، ودبّرت مكائد لقتله، هذا بالإضافة إلى عناد قومه الإسرائيليين وقسوة قلوبهم، مما زاد دعوته صعوبةً وتعقيداً، وقد صبر كلّم الله موسى على ذلك كلّهُ احتساباً للأجر والثواب عند الله، وتحلّى بتلك الروح العالية العظيمة حتى استطاع أن يوصل رسالته إلى قلوب الناس المؤمنين الصادقين كما أرادها الله عز وجل.

المبحث الثاني: مشاهد المواجهة في التوراة

في هذا المبحث أقدم عرضاً أُبين فيه الأحداث التي جرت مع موسى أثناء تبليغه رسالة ربه إلى فرعون وقومه كما توردها التوراة في سفر الخروج، هذا السفر الذي ينفرد بإيراد قصة موسى مع فرعون كاملةً من ولادته حتى خروجه مع بني إسرائيل من أرض مصر وغرق فرعون وجنوده⁽¹⁾، وتجدر الإشارة إلى أن التوراة تورّد تفاصيل دقيقة لكثير من أحداث هذه المرحلة والتي تتعلق بأنسب الإسرائيليين وأسماء العائلات التي تنتمي لبني لاوي بن يعقوب عليهم السلام وذلك بحسب مواليدهم، وغيرها من الأمور التي لا تتعلق تعلقاً وثيقاً بقصة موسى مع فرعون⁽²⁾، وهذه الأمور لن أتعرض لها أثناء حديثي عن قصة موسى مع فرعون في مرحلة الدعوة والمواجهة مكتفياً بذكر الأحداث الرئيسية التي تتعلق بدعوة موسى فرعون للتصديق به والإيمان برسالته.

المطلب الأوّل: اللقاء الأوّل مع فرعون

عاد موسى إلى مصر بعد أن التقى بأخيه هارون في صحراء سيناء وبعد أن جمعاً شيوخ بني إسرائيل وزعماءهم وأخبراهم بما جرى مع موسى من لقاء الرب والتكليف بالرسالة، قام هارون بعرض المعجزات التي آتاها الله موسى لتكون دليل صدق على نبوته ورسالته، فأمن لهما الشعب وخرّوا ساجدين لرب العالمين لأنه نظر إلى ذلّهم وهوانهم⁽³⁾، وهذا كلّه قبل أن ينطلق موسى وهارون إلى فرعون، وبعد أن حصل موسى وهارون على تأييد الشعب ذهبوا إلى فرعون، وعرض عليه موسى مطلبه الأساسي وهو إطلاق بني إسرائيل ليعبدوا الله في البرية⁽⁴⁾، وقد أنكر فرعون على موسى هذا الطلب محتجاً أنه لا يعرف ربّ موسى فقال له: (من هو الرب حتى اسمع لقوله فأطلق إسرائيل؟* لا أعرف الرب وإسرائيل لا أطلقه)⁽⁵⁾،

(1) السقا، نقد التوراة، ص30، مرجع سابق.

(2) انظر الخروج (6) / (14-25).

(3) الخروج (31/4).

(4) الخروج (1/5).

(5) الخروج (5) / (2-3).

ويتضح لنا مما ذكرته التوراة أن رسالة موسى جاءت لهدف أساسي وهو إخراج بني إسرائيل من عبودية فرعون، ولم نقرأ في التوراة شيئاً يدل على أن موسى قد عرض الإيمان على فرعون، وكأن فرعون مستثنى من هذه الرسالة، وأن دعوة موسى مختصةً بالإسرائيليين ومصالحهم دون غيرهم من الشعوب التي كانوا يتعايشون معها جنباً إلى جنب في أرض مصر، وقد عاد موسى مرّةً أخرى ليؤكد لفرعون بعد رفضه إطلاق الإسرائيليين أن الرب قد إنقاه وكلفه بالرسالة، وعرض على فرعون إطلاق الإسرائيليين ثلاثة أيام كي يذبحوا للرب قرابين لئلاً يصيبهم بالأوبئة أو القتل⁽¹⁾، فاحتج فرعون مرّةً أخرى على موسى وهارون متهما إياهم بأنهما إنما يريدان أن يعطّلا بني إسرائيل عن أشغالهم المناطة بهم، ونلاحظ أيضاً أن فرعون لم يحتج على موسى عندما طلب منه أن يطلقهم ليدبحوا لإلههم بأنه هو الإله الأوحد لهم، ولم يعر لذلك انتباهها، وإنما كان جلُّ اهتمامه على أن لا يتوقف بني إسرائيل عن أعمالهم، وأمره أن يبقوهم حتى لا تتعطل تلك الأعمال، مما يشير إلى أن فرعون حسب نصوص التوراة لم يدع الألوهية على بني إسرائيل في ذلك الزمن، ونتيجة لتحركات موسى الدعوية ومطالبه التي قدّمها لفرعون أمر فرعون زبانيته بحرمان الإسرائيليين من بعض ما كانوا يعطونهم إياه مقابل عملهم، وذلك حتى يتقل عليهم أعمالهم فلا يلتفتوا إلى كلام موسى، ويضجّوا من دعوته ويتهموه أنه السبب الرئيس في إيقال فرعون الأعمال عليهم وحرمانهم من بعض ما كانوا يأخذونه مقابل عملهم، تقول التوراة: (فأمر فرعون في ذلك اليوم مسخري الشعب ومدبريه قائلاً: لا تعودوا تعطوا الشعب تبناً لصنع اللبن كأمس وأول من أمس ليذهبوا هم ويجمعوا تبناً لأنفسهم)⁽²⁾، وقد نجح فرعون في ما رمى إليه فقد ضجّ الإسرائيليون على موسى وخاصموه واتهموه أنه السبب في تشديد فرعون عليهم وحرمانهم من حقوقهم ونتيجة لذلك فقد ضجّ موسى لربه معاتباً إياه ومقرعاً له ومتهماً إياه بأنه هو السبب في كل ما يجري لبني إسرائيل وأنه مقصرٌ تجاه

(1) الخروج (3/5).

(2) الخروج (5) / (6-7).

الشعب الضعيف⁽¹⁾، قال موسى لربّه: (يا سيّد لماذا أسأت إلى هذا الشعب؟؟ لماذا أرسلتني؟؟
فإنه منذ دخلت إلى فرعون لأتكلم بإسمك أساء إلى هذا الشعب وأنت لم تخلص شعبك)⁽²⁾.

المطلب الثاني: ميثاق الله مع بني إسرائيل

بعدما ضجّ الإسرائيليون لموسى، وضجّ موسى لربه وعاتبه على تقصيره تجاه بني إسرائيل - كما تزعم التوراة - طمأن الله موسى بأنه سوف يفي بالعهد الذي قطعه على نفسه تجاه بني إسرائيل، والذي كان أبرمه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، ومقتضى هذا العهد أن يعطيهم الله أرض كنعان لهم ولذريتهم من بعدهم أبد الدهر، وكنعان تعني الأرض المنخفضة، وبالعبرية تعني بلاد الأرجوان، وقد أُستخدم اسم كنعان في أوّل الأمر للدلالة على غربي فلسطين ثم أصبح اللفظ علماً على ما هو متعارفٌ عليه جغرافياً باسم "فلسطين" وعلى قسم كبير من سوريا⁽³⁾، وبحسب التوراة فقد نسي الله هذا العهد مُدَّةً من الزمن ثم عاد بعد ذلك ليتذكّره⁽⁴⁾، وبحسب التوراة كذلك تصبح هذه الأرض ملكاً للإسرائيليين طيلة الزمان، بالإضافة إلى أن الله سيتخذهم شعباً مختاراً، ويكون لهم إلهاً، وسيخرجهم من ذلهم واستعبادهم من قبل المصريين⁽⁵⁾، ومن الملاحظ على كلام التوراة هذا أنها ذكرت أن الله أعطى الإسرائيليين كل هذه الامتيازات " فهم شعب الله المختار وأعطاهم أرض كنعان....." دون أن تذكر الاستحقاق والثمن الذي قدّمه الإسرائيليون حتى استحقوا كل هذا العطايا والمميزات، فلا نجد ذكراً لأي سبب من أسباب التمكين، أين إيمانهم؟؟ أين تضحياتهم؟؟ أين صبرهم على الابتلاءات؟؟ بل على العكس من ذلك تذكر التوراة أموراً من شأنها الحطّ من قدر الإسرائيليين لا رفع مكانتهم، ومنها مخاصمتهم لموسى واتهامهم له بعدما منع فرعون عنهم قليل الأعطيات، وكان هذا في أوّل اختبار لهم أثناء دعوة موسى، إلى غير ذلك من المثالب والمفاسد التي تذكرها

(1) البار، الله جل جلاله، ص 199، بتصرف، مرجع سابق.

(2) الخروج (5/ 2-22).

(3) المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (4/115)، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1999م.

(4) الخولي، اليهود من كتابهم، ص7، مرجع سابق.

(5) انظر الخروج (6/ 3-8).

التوراة في حقهم، فهل من قرع الرُّسل وخاصمهم واتهمهم بالفساد والإفساد يستحق أن يرث الأرض ويكون لله شعباً مختاراً؟؟!!.

أقول: وكانَ هذا المشهد يوحى أنَّ الرب قد أعطى هذه الميِّزات والعطايا لبني إسرائيل إسترضاءً لهم بعد أن سخطوا عليه وعلى رسوله موسى، وكأنه يدلُّهم ويستعطفهم ويطلب القرب منهم ويشتري سكوتهم، فماذا بعد هذا الدلال؟؟!!، وبعد كل هذه المحفِّزات فقد رفضوا أن يسمعوا لموسى ولم يصدِّقوا كلامه وأعرضوا عنه، تقول التوراة: (فكلم موسى هكذا بني إسرائيل "أي بما وعدهم به الرب"، ولكن لم يسمعوا لموسى من صغر النفس ومن العبودية القاسية)⁽¹⁾.

المطلب الثالث: تقديم المعجزات أمام فرعون

أمر الله موسى أن يعيد الكرة مرَّةً بعد مرَّةٍ، ويدخل على فرعون ويطلب منه ثانيةً أن يطلق الإسرائيليين من عبوديته، وكما تقول التوراة فإن الله أخبر موسى مسبقاً أن فرعون لن يستجيب لطلبه برضاه⁽²⁾، وقد نصَّب الله موسى إليها لفرعون وجعل من هارون نبياً لموسى، وهو "أي هارون" مكلفٌ بالحديث أمام فرعون، وبصناعة المعجزات أمامه وأمام الشعب، تقول التوراة: (فقال الرب لموسى: أنظر أنا جعلتك إليها لفرعون، وهارون أخوك يكون نبيك * أنت تتكلم بكل ما أمرك به * وأخوك هارون يكلم فرعون ليطلق بني إسرائيل من أرضه)⁽³⁾، وهنا يظهر التناقض الواضح بين نصوص التوراة، فكيف يكون موسى رسولاً وإلهاً في آن واحد؟؟ فهل سيكون عادياً أم معبوداً؟؟ وهل جاء موسى ليخرج قومه من عبودية فرعون وذلك لهم، أم جاء ليدخل فرعون في عبوديته؟؟ فهذه النصوص تظهر خلافاً واضحاً في العقيدة والدين الذي جاء به موسى كما تبيَّن ذلك نصوص التوراة، وقد أرشد الله موسى إلى تقديم معجزة العصا إذا طلب منهم فرعون دليلاً على صدقهم، وعلى هارون أن يأخذ العصا وي طرحها أمام فرعون لتصبح ثعباناً يسعى⁽¹⁾، وبعد أن قدَّم هارون عصاه أمام فرعون جمع الأخير السحرة فطرح كلُّ

(1) الخروج (9/6).

(2) الخروج (4/7).

(3) الخروج (7) / (2-1).

(1)الخروج (10/7).

واحدٍ منهم عصاه، فصارت العصي ثعابين، ولكن عصا هارون ابتلعت عصيهم⁽¹⁾، ومن هذا الكلام يتضح أن هارون هو من كلف بتقديم المعجزات أمام فرعون وهو الذي تبارى مع السحرة لا موسى عليه السلام، ولا تذكر التوراة أن موسى وهارون قدّما المعجزة الثانية، وهي معجزة اليد البيضاء، وعلى ما يبدو فقد اكتفى الإثنان بتقديم معجزة العصا، مع الإشارة إلى أن التوراة ذكرت تقديم معجزة اليد البيضاء أمام الشعب الإسرائيلي قبل الإنطلاق لدعوة فرعون وتكليمه بشأن إطلاق الإسرائيليين⁽²⁾.

المطلب الرابع: سخط الله على فرعون وقومه

كما أخبر الله موسى فقد رفض فرعون الاستجابة لطلبه، وكان منه الكفر والعناد، ولذلك استحق فرعون عقوبات ربّانية كي تستدرجه لإطلاق الإسرائيليين من قبضته، وكانت أولى تلك العقوبات هي "عقوبة الدم" فقد طلب الله من موسى مرّة أخرى أن يذهب إلى فرعون ويأمره بإطلاق الإسرائيليين، وأن يأخذ معه العصا التي تحوّلت إلى ثعبان يسعى، فرفض فرعون طلبه، فعندئذٍ طلب موسى من هارون أن يمدّ عصاه إلى النهر ويضربه بها فتحول النهر إلى دم، وأصبحت رائحة النهر نتنة نتيجة لموت الأسماك التي تعيش في ذلك النهر، ثم طلب الله من موسى أن يأمر هارون أن يضرب بعصاه المياه المصريين فتحوّلت كل مياههم لدم، فلم يستطع أحدٌ منهم أن يجد ماءً صالحاً للشرب⁽³⁾، واستمر الحال على ذلك سبعة أيام متواصلة، وقد حفر المصريون حفراً على جانبي النهر كي يستطيعوا الحصول على ماءٍ صالح للشرب⁽⁴⁾، وبعد ذلك انطلق موسى إلى فرعون ثانيةً بأمر من ربه، وأعاد عليه طلبه بإطلاق الإسرائيليين مضمناً ذلك الطلب تهديداً آخر إلى فرعون مفاده، أنه إذا أصر على موقفه من إطلاق الإسرائيليين فإن الله سيرسل عليهم الضفادع حتى تدخل كل أماكنهم وبيوتهم وفرشهم، وتصعد كذلك على أجسامهم مما يفسد حياتهم ومتاعهم⁽¹⁾، ومع ذلك فقد أصرّ فرعون على موقفه فأمر الله موسى

(1) الخروج (11/7).

(2) الخروج (30/4).

(3) الخروج (7/24 - 25).

(4) الخروج (8/1 - 4).

(1) الخروج (8/5 - 16).

أن يأمر هارون بأن يمدّ يده بالعصا على الأنهار والسواقي، حتى إذا فعل صعدت الضفادع على أرض مصر⁽¹⁾، وبعد اشتداد الأمر على فرعون وقومه دعا فرعون موسى وهارون وطلب منهما بحسب التوراة أن يصليا لربهما كي يرفع عن المصريين ما أصابهم به من الضفادع مقابل أن يطلق فرعون سراح الإسرائيليين، وفي اليوم التالي قام موسى وهارون بالصلاة إلى الرب وطلبا منه أن يرفع الضفادع عن فرعون وقومه، فخرجت كل الضفادع من بيوت المصريين واستقرت في النهر⁽²⁾، وبدل أن ينفذ فرعون ما وعد به موسى وهارون نكث عهده وعاد إلى طبيعته الخبيثة، ونتيجة لذلك فقد أمر الله موسى أن يطلب من هارون أن يمدّ عصاه إلى تراب الأرض، فتحول تراب الأرض إلى بعوضٍ يهاجم الناس والبهائم، ومع ذلك فقد أصرَّ فرعون على موقفه، فهذَّه موسى بأن الله سيرسل عليهم "الذَّبَّان" -حسب تعبير التوراة- حتى تمتلئ بيوت المصريين ذَّبَّاناً، فرفض فرعون إطلاق الإسرائيليين، فأرسل الله عليهم الذَّبَّان بأعدادٍ كبيرة، حتى أفسد عليهم حياتهم ومعيشتهم⁽³⁾، والذَّبَّان هو الذباب، والأصوب أن نقول الذباب وليس الذَّبَّان، والذباب كلُّ حشرة طائرة، حيث يطلق على النمل وغيره من الحشرات الطائرة، كما يطلق الذباب على الطاعون⁽⁴⁾، أمَّا البعوض فهو جنسٌ معينٌ من الحشرات المضرّة من ذوات الجناحين، ويطلق عليه العامّة "الناموس" ويطلق البعوض على البقِّ أيضاً⁽⁵⁾، وعلى كلِّ فإن هذه الحشرات بجميع أنواعها مؤذيةٌ للإنسان والحيوان، فهي تحمل وتنقل الكثير من الأمراض والأوبئة، ممَّا يعرّض الكثيرين للإصابة بالأمراض المختلفة، وقد حما الله الإسرائيليين كما تقول التوراة من كل ما أصاب به المصريين من ألوان العذاب وأصنافه، وكان الإسرائيليون يعيشون في منطقة جاسان، وهي منطقة خصبةٌ في دلتا النيل الشرقية بمصر، وكانت مكاناً مناسباً للحياة حيث تتوفر فيها مقومات الحياة الأساسيّة من الكلاً والماء، وكانت قريبة من بلاط

(1) الخروج (8/5 - 6).

(2) الخروج (8/8 - 14).

(3) الخروج (8/15 - 12).

(4) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مادة "ذب"، (320/1)، مرجع سابق، وانظر ابن منظور، لسان العرب، "باب الباء"، (1/382)، مرجع سابق.

(5) المرجع السابق، مادة بَعَضَ، (1/65)، وابن منظور، لسان العرب، مادة بَعَضَ، (7/120)، مرجع سابق.

فرعون⁽¹⁾، وعندما اشتد الأمر على فرعون وقومه دعا فرعون موسى وهارون وقال لهما: (انهبوا واذبحوا لإلهكم في هذه الأرض "أي أرض مصر")⁽²⁾، وكانت هذه مناورة من فرعون، فهو لم يسمح للإسرائيليين بالخروج من مصر وهو ما كان يطالب به موسى، وإنما سمح لهم أن يذبحوا لربهم في أرض مصر مع بقائهم فيها، ولكن موسى رفض هذا الأمر، وطلب من فرعون أن يطلق الإسرائيليين مسيرة ثلاثة أيام في الصحراء، وبعد جدال طويل بين موسى وفرعون سمح الأخير بخروج بني إسرائيل، لكن بعد أن يرفع رب موسى العذاب عن المصريين، وكانت هذه خديعة أخرى من فرعون، فما أن رفع العذاب حتى عاد لإمساك الإسرائيليين في قبضته، ورفض السماح لهم بالخروج من أرض مصر⁽³⁾، فأرسل الله وباءً شديداً قتل جميع مواشي المصريين دون أن يمسه مواشي الإسرائيليين بسوء، ومع ذلك لم يطلق فرعون الإسرائيليين، فأرسل الله على المصريين غباراً كان من نتائجه ظهور الدمامل والبثور على المصريين ومواشيهم، ومع ذلك بقي فرعون مصراً على موقفه، فأرسل الله عليهم البرد الشديد والرعود القويّة، فمات من الناس والبهائم ومن أصيب بالبرد والرعود والنار الناتجة عن الرعود، وكل هذا ما لم يعهده الناس في ذلك الزمان والمكان، وضرب البرد جميع العشب وكسّر جميع الأشجار⁽⁴⁾، وهنا حدث تغيير ملحوظ في لهجة فرعون تجاه موسى وأخيه، فاعترف بأنه هو المخطيء، وأنه وشعبه الأشرار، وأن الله "رب موسى" هو البار⁽⁵⁾، فهذه أوّل مرّة يعترف فرعون بالخطأ ويعترف بأن الله هو المحسن، وذلك بعدما كان يعتد برأيه ولا يرضى قبول رأي من أحد غيره، ويلحظ من هذا كما يظهر من خلال دراسة نصوص التوراة أن العذاب الذي أرسل عليهم قد ازدادت حدّته وقوّته، فبعد أن كان يتعرض في بداية الأمر لإفساد حياتهم والتنغيص عليهم، أصبح الآن يتعرض لحياتهم بالأمراض والأوبئة الفتاكة، فغدّت أرواحهم في خطر جسيم، وهذه الأمراض قضت على كثير من الشعب مما أفزع فرعون وأخافه مما جعله يعترف بالخطأ ولو ظاهرياً، وبوجود الرب وإحسانه، ومن ثمّ قدّم لموسى الوعد ثانية

(1) دار المنهل، موسوعة الكتاب المقدس، ص97، إصدار دار المنهل، بيروت، 1993.

(2) الخروج (25/8).

(3) انظر الخروج (8) / (25 - 32).

(4) الخروج (9) / (6 - 7).

(5) الخروج (9) / (27 - 28).

بإطلاق الإسرائيليين بعد أن يرفع الربُّ العذاب عنهم، ولكنَّه كعادته نكث العهد ثانيةً، فهَدَّه موسى أن الله سيرسل عليه وعلى شعبه الجراد الذي سيغطي وجه الأرض ويأكل جميع الشجر النَّابت مما سيصيبهم بالقحط والجذب والجوع الشديد⁽¹⁾، فرفض فرعون إطلاقهم فحَقَّق الله لموسى ما وعد به، فأرسل الجراد على المصريين، فضجَّ الناس وانطلقوا إلى فرعون طالبين منه أن يطلق رجال الإسرائيليين ليعبدوا الربَّ إلههم⁽²⁾، ونلاحظ أن هذه أوَّل مرة يتكلم القوم فيها مع فرعون ويقدموا له احتجاجاً على شكل اقتراح بإطلاق رجال الإسرائيليين، وهذا إن دلَّ على شيء فإنه يدلُّ على شدَّة ما أصابهم من العذاب الذي أنزله الله عليهم بسبب طيغانهم، ومن جهةٍ أخرى يدلُّ على الاستبداد والدكتاتورية التي يحكم بها فرعون قومه، فهو المسيطر على كل أحوالهم حتى أنه أصبح يتحكم بأرائهم وأفهامهم، وحياتهم وأرواحهم غدت ملكاً في يديه يتصرف فيها كيفما شاء، وقد احتج القوم عليه بأن أرض مصر قد خربت وأصبحت لا تصلح للحياة بسبب الجذب وكثرة الأمراض والأوبئة التي أصابت الناس، فقد ضعفت بهائمهم نتيجةً للجذب والأمراض، ومات جزءٌ كبيرٌ منها، ومع ذلك يصرُّ فرعون على عدم إطلاق الإسرائيليين، فأشاروا عليه بالسماح لرجالهم بالخروج⁽³⁾، ولكنَّ موسى رفض هذا العرض، وأصرَّ على أن يخرج كل الشعب رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً، ومع بهائمهم وأغنامهم، وبعد جدالٍ مريرٍ مع فرعون، أصرَّ فرعون على موقفه من إبقاء النساء والأطفال والسماح للرجال فقط بالخروج، وذلك خوفاً من عدم عودتهم إذا خرجوا جميعاً، وعندئذٍ من سيقوم بخدمة فرعون ويحقق له مطالبه وأهدافه، ولأن موسى عندها يستطيع أن يبلغ دينه ودعوته ويغرسها في قلوب أتباعه، ولن يعودوا تبعاً لفرعون، ولكنَّ موسى بقي مصراً على طلبه، فطرد من قصر فرعون مع أخيه هارون، فحقق الله وعده بأن أرسل على المصريين أسراب الجراد فأكلت ما تركه البرد من عشب الأرض وخضرتها، وغطَّى الجراد وجه الأرض حتى أظلمت، فدعا فرعون موسى وأخاه وطلب منهما أن يصفحا عنه لآخر مرَّة، وأن يصليا للرب لكي يرفع عنهم العذاب والجراد⁽¹⁾،

(1) الخروج (10 / 3 - 7).

(2) الخروج (7 / 10).

(3) الخروج (10 / 10).

(1) انظر الخروج (10 / 12 - 16).

ففعلاً فأرسل الله ريحاً غربيةً شديدةً جداً، فحملت الريح الجراد، وطرحته في "بحر سوف"⁽¹⁾، ومع ذلك كله فقد نكث فرعون عهده ولم يطلق الإسرائيليين⁽²⁾، فأرسل الله عليهم الظلام الدَّامس، واستمر هذا الظلام ثلاثة أيام، حتى لم يستطع أحدٌ أن يبصر الذين حوله من الناس، ولم يستطع أحدٌ أن يقوم من مقامه مُدَّة ثلاثة أيام، ولكنَّ الإسرائيليين لم يغطُّهم هذا الظَّلام، وكان لهم نورٌ في مساكنهم⁽³⁾، فعاد فرعون مرَّةً أخرى لمفاوضة موسى، وانتهت تلك المفاوضات بأن سمح فرعون للإسرائيليين جميعاً بالخروج شريطة أن يتركوا أغنامهم ومواشيهم، فرفض موسى هذا العرض وأصرَّ على إخراج المواشي أيضاً، فرفض فرعون ذلك، وفي هذه المرة طلب فرعون من موسى أن لا يريه وجهه مرَّةً أخرى، فوافق موسى على ذلك وقال له موسى: (أنا لا أعود أرى وجهك مرَّةً أخرى)⁽⁴⁾.

المطلب الخامس: الربُّ يوجِّه ضربةً قاصمةً للمصريين

أخبر الله موسى أنه سيوجه ضربةً قاسيةً إلى فرعون وقومه، ونتيجةً لهذه الضربة سيقوم فرعون بطرد الإسرائيليين طرداً من أرض مصر، لا إخلاءً لسبيلهم ولكن تخلصاً منهم كونهم السبب في الضربات المتلاحقة التي وجهت للمصريين، (ثم قال الرب لموسى ضربةً واحدةً أيضاً أجلب على فرعون وعلى مصر بعد ذلك يطلقكم من هنا، وعندما يطلقكم يطردكم من هنا بالتمام)⁽⁵⁾، وكانت هذه الضربة تتلخَّص في أن ينزل الرب إلى أرض مصر ليلاً وعندما يقوم بقتل كل بكر من قوم فرعون، ومن ضمنهم ابن فرعون البكر، وكذلك يقتل كل بكر الحيوانات والمواشي، وعندما تمتلئ بيوت المصريين حزناً وغماً لموت بكرهم، وذلك جزاءً وفاقاً على ظلمهم للإسرائيليين، وكما تقول التوراة فقد طلب الله من الإسرائيليين مساعدته في تمييز بيوتهم عن طريق وضع علامات خاصة عليها بالدم، وذلك حتى يتجنب الرب قتل

(1) هو البحر الأحمر ومعنى الاسم بالعبرية بحر القصب، انظر، منهل الحياة، موسوعة الكتاب المقدس، ص63، مرجع سابق.

(2) الخروج (10 / 20).

(3) الخروج (10 / 21-22).

(4) الخروج (10 / 29).

(5) الخروج (1/11).

بكورهم تقول التوراة: (فإني أجتاز في أرض مصر في هذه الليلة وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم... ويكون الدم لكم علامةً على البيوت التي أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم...) (1)، وهنا يضرب الرب موعداً لبني إسرائيل ليوجّه الضربة فيه لأعدائهم المصريين وكونه عاجزاً عن التمييز بين بيوتهم وبيوت أعدائهم فقد طلب مساعدتهم في تمييزها وذلك بوضع دم عليها (2)، ويشكل هذا النص التوراتي أنموذجاً من نماذج جهل الإله في نظر اليهود، حيث يعتقد اليهود أنّ صفة العلم عند الإله ليست صفة انكشاف عام لكل ما كان وما يكون، وإنما هي صفةٌ محدودةٌ، فالله - في ظنهم - قد يعلمُ بعض الأشياء على غير وجهها الصحيح، ثم يبدو له خطؤه فيغير من خطته ويعدل عملاً عزم عليه (3)، فالله هنا يعجز عن تعيين بيوت الإسرائيليين دون مساعدة، فهو محتاج لغيره، ولمن؟؟ للبشر الذين خلقهم بيده!!! وما هذا إلاّ تمام الضعف والقصور، وقبل توجيه الضربة طلب الله من موسى أن يخبر قومه بأن عليهم أن يطلبوا الملابس والذهب من المصريين، حتى إذا أن لم بالخروج أخذوها ولم يعيدوها (4)، وقد أمر الله موسى كذلك أن يجعل موعد توجيه الضربة للمصريين عيداً على طول الزمان (ويكون لكم هذا اليوم تذكاراً فتعيّدونه عيداً للرب في أجيالكم فتعيّدونه فريضةً أبديةً) (5)، وهذا العيد أصبح يسمى فيما بعد "عيد الفصح" أو "عيد الفطير" (6)، وهو عيدٌ معتبر عن السامريين كذلك "أحدى طوائف اليهود" وهو عيدٌ دينيٌ نصّت عليه التوراة وهو أوّل أعيادهم (7)، ويطلق عليه بالعبرية "بيساح" ويسمى أيضاً "عيد الفصح"، أي الفرج بعد الضيق، وكلمة الفصح كلمةٌ عبريةٌ تعني العبور أو المرور أو التخطي، وذلك نسبة إلى عبور "الرب" ملك العذاب فوق منازل العبرانيين دون المساس بهم بأي أذى (1)، وهذا العيد يحتفل به اليهود في اليوم الرابع عشر من الشهر الأوّل من سنتهم الدينية، وهو شهر نيسان، ويمتد احتفالهم به سبعة أيام بعد يوم

(1) الخروج (12/12 - 13).

(2) الخولي، التحريف في التوراة، ص35، بتصرف، مرجع سابق.

(3) سعد الدين، العقيدة اليهودية، ص314، مرجع سابق.

(4) انظر سفر الخروج (2/11).

(5) الخروج (14/12).

(6) ماستر فيديا، التفسير التطبيقي، ص152، مرجع سابق، وعرفات عبد المجيد فتاح، اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، ص138، دار عمار، الأردن، ودار البيارق، بيروت، ط1، 1997م.

(7) انظر الشريفة، محمد حافظ، وغوراني، عمر عبد الخالق، الطائفة السامرية، ص93، ط1، 1994م.

(1) السعدي، غازي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ص14، وما بعدها، دار الجبل، عمان، ط1، 1994م.

العيد نفسه، وينتهي احتفالهم به في اليوم الحادي والعشرين من شهر نيسان⁽¹⁾، ولهذا العيد عند اليهود طقوس كثيرة لا مجال للخوض فيها لئلا تخرج بنا عن صلب الموضوع في البحث⁽²⁾، وعندما جاء موعد توجيه الضربة نزل الرب إلى الأرض، وضرب كل بكر في أرض مصر "من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الأسير الذي في السجن، وبكر كل بهيمة أيضاً"⁽³⁾، وهذا يعني أن الرب لم يستثن من بكور المصريين أحداً، فقد مات كل بكورهم، من بكر زعيمهم فرعون حتى بكر الذليل الأسير الذي يقبع في سجون فرعون، ولم يكتف الرب ببكور البشر، فقد امتدت يده لتتال بكور المواشي والحيوانات، فقد جمعت الضربة بين الخسارة البشرية والخسارة المادية مما زادهم إيلاً وتوجعاً، فضج فرعون نفسه وضج معه الناس من حوله، فدعا موسى وهارون على عجلة ليلاً وقال لهما: (أخرجنا من بين شعبي أنتما وبنو إسرائيل، واذهبوا واعبدوا الرب كما تكلمتم خذوا أغنامكم أيضاً وبقركم كما تكلمتم واذهبوا وباركوني أيضاً وألح المصريون على فرعون ليطلقهم عاجلاً من الأرض لأنهم قالوا جميعنا أموات)⁽⁴⁾، وقد استغل الإسرائيليون هذه الضربة الموجهة والتي أجبرت فرعون على السماح لهم بالخروج جميعاً لعبادة الرب، فحملوا متاعهم والأموال والحلي التي أخذوها على سبيل الإعارة من المصريين وأضرموا سرقتها في نفوسهم "كما أمر الرب"، وكان رحيلهم كما تذكر المصادر من مدينة "رمسيس"⁽⁵⁾، وهي مدينة مصرية قرب الساحل على الجانب الشرقي من دلتا النيل، وكانت هذه المدينة قبل ذلك تدعى "أفارين" العاصمة الشمالية لفرعنة الهكسوس، وهي مدينة بناها الإسرائيليون غصباً وإجباراً عندما كانوا يعيشون في ظل عبودية الفرعنة⁽¹⁾، وقد رحل

(1) علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص34، دار نهضة مصر، القاهرة.

(2) انظر التفاصيل، السعدي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ص14، مرجع سابق، وانظر الشنطي، عماد الدين عبد الله، اليهودية والمسيحية في الميزان، ص119 وما بعدها، دار المناره، ط1، 2004م، وانظر عرفات فتاح، اليهودية عرض تاريخي، ص138، مرجع سابق.

(3) الخروج (29/12).

(4) الخروج (31-33/12).

(5) الخروج (37/12).

(1) أنظر دار منهل الحياة، موسوعة الكتاب المقدس، ص158، بتصرف، مرجع سابق.

الإسرائيليون إلى مدينه "سكوت" وهي مدينةً مصريه حط فيها بنو إسرائيل رحالهم أول مرّة بعد خروجهم من مصر⁽¹⁾.

أقول: أفف عند هذه النقطة في حديثي عن مرحلة الدعوة والمواجهة التي خاضها موسى مع فرعون بعدما كلف بالرسالة كما بينتها نصوص التوراة، كونها النقطة التي انقطعت عندها دعوة موسى إلى فرعون بعد أن استطاع أن يرحل مع بني إسرائيل من أرض مصر، ولم يرجع بعدها لدعوة فرعون لأنه أيقن أن شخصاً مثل فرعون رأى الكثير من المعجزات بأمر عينيه ولم يؤمن بدعوته، فهذا الشخص لن يسلك الخير إلى قلبه طريقاً، وسأكمل الحديث عمّا تبقى من قصة موسى مع فرعون في الفصل الرابع من هذا البحث إن شاء الله عند حديثي عن مرحلة الخروج، وما جرى فيها من أحداث.

(1) المرجع السابق، ص 179.

المبحث الثالث: الدعوة ومواجهة فرعون بين القرآن والتوراة

من خلال دراسة مرحلة الدعوة والمواجهة بين موسى وفرعون في نصوص القرآن والتوراة نجد أن توافقاً يسيراً قد حصل بين الكتابين في بيان أحداث هذه المرحلة، واختلافاً كبيراً في الكثير من تفاصيل هذه المرحلة، وسأبيّن في هذا المبحث أوجه الاتفاق والاختلاف بين القرآن والتوراة في حديثهما عن مرحلة الدعوة والمواجهة بين موسى وفرعون، حيث أبين أوجه الاتفاق أولاً ثم أوجه الاختلاف بعد ذلك.

المطلب الأوّل: أوجه الاتفاق بين الكتابين في مرحلة الدعوة

حال الإسرائيليين عند البدء في الدعوة

أشار القرآن إلى أن بني إسرائيل كانوا في حالة العبودية المطلقة لفرعون عندما صدح موسى بالدعوة إلى الله في وجه فرعون، ونقرأ ذلك في توجيهه تعالى إلى موسى وهارون قبل الإنطلاق للبدء بالدعوة [فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ]⁽¹⁾، أي أطلق سراحهم من الأسر والعبودية، وسرحهم معنا إلى وطننا ولا تعذبهم بإبقائهم على ما هم عليه من التسخير والتذليل في الأمور الشاقة⁽²⁾، ولو لم يكونوا تحت عبوديته لكان طلب الله من موسى أن يطلب من فرعون أن يطلق سراحهم من عبوديته عبثاً، وحاشى الله أن يكون ذلك، وقد وردت في التوراة نصوصٌ تبين أن بني إسرائيل كانوا تحت عبودية فرعون وغطرسته، ويظهر من خلال دراسة التوراة أن هدف موسى الأوّل كان إطلاق سراح الإسرائيليين من عبودية فرعون واستغلاله لهم وأن فرعون كان يحملهم مالا يطيقون من الأشغال والأعمال الشاقة، تقول التوراة على لسان فرعون: (لِيثْقَلِ الْعَمَلُ عَلَى الْقَوْمِ حَتَّى يَشْتِغَلُوا بِهِ وَلَا يَلْتَفِتُوا إِلَى كَلَامِ الْكُذْبِ)⁽³⁾، وكان هذا الأمر بعد اللقاء الأوّل الذي جرى بين موسى وفرعون، وطلب

(1) طه (47).

(2) القاسمي، محاسن التأويل، م7 (ج11/127)، مرجع سابق.

(3) الخروج (9/5).

فيه موسى من فرعون إطلاق سراح الإسرائيليين، فكان الردُّ زيادة الأعباء عليهم وتحميلهم المشاق⁽¹⁾.

رفض فرعون إطلاق سراح الإسرائيليين

كثيرةٌ هي النصوص في الكتابين التي تدلُّ على أن فرعون رفض إطلاق سراح الإسرائيليين من عبوديته، وتحريرهم من قيودهم وأغلالهم، فقد بيَّن القرآن أن فرعون قابل دعوة موسى له بأن يطلق الإسرائيليين، بتدبير مؤامرة لقتله، وذلك بعدما اتهمه بالسحر ورماه بالجنون، وادعى بأن هدف موسى من ادعائه الرسالة هو الحصول على السيادة والرئاسة [وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرِّيَّتِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ⁽²⁾]، وهو إنما أراد قتل موسى لأمرٍ كثيرةٍ منها: إنهاء دعوته التي تقوم على العبودية المطلقة لله وبالتالي تحرير الإسرائيليين من عبودية فرعون، ومحاولة قتل موسى تشير إلى رفض فرعون إطلاق الإسرائيليين من قبضته، والتوراة تشير كذلك صراحةً إلى رفض فرعون إطلاق الإسرائيليين حيث تقول: (فقال فرعون من هو الرب حتى اسمع لقوله فأطلق إسرائيل؟* الرب لا أعرفه وإسرائيل لا أطلقه)⁽³⁾.

تدمرُ الإسرائيليين من دعوة موسى

أشار كل من القرآن والتوراة إلى أن جزءاً من الإسرائيليين قد تدمروا من دعوة موسى عندما زاد عليهم فرعون سخطه بعدما بلغه موسى دعوة ربه، فقد ثار بعض الإسرائيليين على موسى متهمينه بأنه السبب في ازدياد تسلط فرعون عليهم، وكأنَّ فرعون كان بهم رحيمًا، وإليهم محسنًا قبل مجيء موسى بالرسالة!!، قال تعالى على لسان بني إسرائيل مخاطبين موسى: [قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ⁽⁴⁾]، وتذكر لنا التوراة مشهداً مشابهاً يصورُ حال الإسرائيليين عندما زاد عليهم فرعون أعباء العمل (وصادفوا موسى وهارون واقفين للقاءهم حين خرجوا من لدن فرعون* فقالوا لهما: ينظر الرب إليكما ويقضى لأتكما رائحتنا

(1) الخروج (5/ 11-1).

(2) غافر (26).

(3) الخروج (2/5).

(4) الأعراف (129).

في عيني فرعون وفي عيون عبيده حتى تعظيا سيفاً في أيديهم ليقتلونا⁽¹⁾، وفي موقف آخر تشير التوراة إلى تدمرهم وإعراضهم عن سماع كلام موسى، وعدم ثقتهم بدعوته ونصر الله الموعود لهم (... فكلّم موسى هكذا بني إسرائيل - أي بما أمره الله به - ولكن لم يسمعوا لموسى من صغر النفس ومن العبودية القاسية)⁽²⁾، وهكذا نستطيع أن نخلص إلى صفة عامة من صفات بني إسرائيل من خلال نصوص القرآن والتوراة، ألا وهي عدم الثبات وانعدام الصبر وكأنهم يظنون أن طريق الحق والنصر والتمكين تأتي على أرض مفروشة بالورود والرياحين، دون حاجة إلى الصبر والثبات ودون تضحيات، فما أن أودوا في سبيل الله حتى ضعفوا واستكانوا، وضجوا إلى موسى متهمين إياه بأنه السبب في شقائهم وبؤسهم وازدياد مآسيهم.

فرعون ناكث العهود

نكت العهود صفةً يثبتها الكتابان في حق فرعون، فكلّمَا أعطى موسى وقومه عهداً بأن يطلقهم ويخلي سبيلهم مقابل أن يرفع الله العذاب عنه وعن قومه، يعود لينكث عهده وينسى رحمة الله له، وقد أشار القرآن إلى هذه الصفة في قوله تعالى: [وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمْوَسَىٰ آدَعُ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ]⁽³⁾، وقصد خصّصت فرعون بنكث العهود دون قومه مع أنهم يشتركون معه في ذلك كونه صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في قومه، فهو الأمر النّاهي، وهو الذي يقرّ الأمور ولا يشاركه في ذلك أحد، فأمره أمرهم وهواه هواهم، وقد أشارت التوراة إلى هذه الصفة الملازمة لشخصية فرعون في مواطن عديدة منها ما ذكرته في حال إرسال الضفادع على فرعون وقومه (فدعا موسى وهارون وقال صلّيا إلى الرب ليرفع الضفادع عني وعن شعبي فأطلق الشعب ليزبحوا

(1) الخروج (5) / (20 - 21).

(2) الخروج (9/6).

(3) الأعراف (134 - 135).

للرب.... فلما رأى فرعون أنه قد حصل الفرج أغلظ قلبه ولم يسمع لهما بما تكلم الرب⁽¹⁾،
أي نكث عهده ولم يطلق الإسرائيليين من عبوديته.

موسى في قفص الإتهام

يعمد الباطل دائماً إلى تشويه صورة الدعوة إلى الله أمام الجموع حتى يحول ذلك بينهم وبين الإيمان بدعوتهم، وقد استخدم فرعون صوراً شتى من الإتهامات في حق موسى محاولاً إصاقها به لتشويه صورته وصدّ الناس عن دعوته، وقد أشير إلى هذه الاتهامات في كل من القرآن والتوراة، فقد أشار القرآن إلى اتهام موسى بالجنون [قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ]⁽²⁾، وتارة أخرى بالسحر [قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ]⁽³⁾، وتارة أخرى يتهمه بأن غرضه من الدعوة هو الإفساد في الأرض، ونقرأ ذلك في قوله تعالى على لسان فرعون متهماً موسى [إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ]⁽⁴⁾، وتشير التوراة كذلك إلى أن فرعون جمع السحرة ليواجهوا سحر موسى كما اعتقد في نفسه (فدعا فرعون الحكماء السحرة)⁽⁵⁾، وقد اتهم موسى بالإفساد عن طريق تعطيل الشعب عن عمله وواجباته، وهذا وجهٌ من وجوه الإفساد (فقال لهما ملك مصر لماذا يا موسى وهارون تبطلان الشعب عن أعماله؟)⁽⁶⁾.

المطلب الثاني: أوجه الاختلاف بين الكتابين في مرحلة الدعوة

قبل الحديث عن أوجه الاختلاف التي وقعت بين القرآن والتوراة عند الحديث عن دعوة موسى لفرعون وقومه للإيمان بالله والتصديق برسالته، لا بدّ من الإشارة إلى أن هذه المرحلة اشتملت على كثيرٍ من الاختلافات والفوارق الجوهرية الأساسية في مختلف القضايا، سواء في

(1) انظر الخروج (8 / 8 - 15).

(2) الشعراء (27).

(3) الشعراء (34).

(4) غافر (26).

(5) الخروج (7 / 11).

(6) الخروج (4/5).

حق الإله أو حق موسى، أو شخصية فرعون، أو الشخصوس الذين رسموا أحداث هذه المرحلة، أو تفاصيل الأحداث نفسها.

الاختلاف في حقيقة دعوة موسى

ككل الرسل أرسل الله موسى ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وكى يرشدهم إلى طريق الحق وبصرفهم عن طريق الضلال، قال تعالى [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْتَ أَخْرِجِ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ]⁽¹⁾، وفي موضع آخر قال له: [أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ]⁽²⁾، فقد كانت دعوة موسى موجّهةً لأمتين مختلفتين، الأمة المصرية الحاكمة والأمة الإسرائيلية المحكومة المقهورة⁽³⁾، ولم تقتصر الدعوة على الإسرائيليين وحدهم أو الأقباط وحدهم، وهذا ما دلّت عليه نصوص القرآن السابقة الذكر، وكانت دعوة موسى تسيّر بصورة متوازية تجمع بين دعوة فرعون وقومه الأقباط، والإسرائيليين قوم موسى، وذلك لأنّ الحق لا يقتصر على أمة دون أمة، بل هو عام لكل الناس بصرف النظر عن ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم، ولكننا نلاحظ أن التوراة أهملت هذا الجانب بالكلية، فالقارئ المتبصّر لنصوصها يخيلُ إليه أن موسى أرسل بهذه الدعوة لتحرير الإسرائيليين فقط، فلم تشر التوراة لدعوة فرعون إلى الهداية، ويظهر ذلك من خلال اللقاء الأوّل الذي حصل بين موسى وفرعون، فبدل أن يعرض عليه الإسلام والإيمان بالله تعالى كما أشار القرآن في كثير من آياته كما في قوله تعالى [أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَن تَزْكَىٰ]⁽⁴⁾، فالتوراة قصرت دعوة موسى على طلبه من فرعون أن يطلق الإسرائيليين من قبضته، وكأنّ الدعوة سُخّرت لخدمة الإسرائيليين دون النظر إلى الشعوب والأمم الأخرى، مما يعيد إلى الأذهان سياسة "الأنا" والنزعة القومية، ومقولة "شعب الله المختار" وغيرها.

(1) إبراهيم (4).

(2) طه (24).

(3) طهماز، عبد الحميد محمود، الأسباب والمسببات في سورة الرعد والدعوة والهداية في سورة إبراهيم، ص 68، دار القلم، دمشق والدار الشامية، بيروت ط1، 1994م.

(4) النازعات (17-19).

في القرآن تفاصيل أكثر عن اللقاء الأول مع فرعون

ذكر القرآن الكريم تفاصيل اللقاء الأول الذي جرى بين موسى وفرعون، بينما اقتصرَت التوراة على ذكر طلب موسى الأساسي من فرعون في ذلك اللقاء، وهو إطلاق الإسرائيليين من عبوديته، ورفض فرعون لهذه الدعوة، واتهامه موسى بأنه يريد أن يوقف خدمة الإسرائيليين لفرعون⁽¹⁾، بينما تعرض القرآن لتفاصيل كثيرة وذكر عدد من الأمور والأحداث، فذكر تعريف موسى بحقيقة دعوته التي جاء بها، وذكر المحاوراة التي جرت بينهما في شأن الربوبية، وعرض موسى المعجزات أمام فرعون، واتهام موسى بالسحر نتيجةً لذلك وتهديده بالسجن، وذكرت عرض موسى لمظاهر قدرة الله من خلال خلقه، وتمنُّ فرعون على موسى وردود موسى عليه⁽²⁾ وهذا ما لم يرد ذكره في التوراة.

في التوراة هارون صاحب العصا وليس موسى

عندما أشار القرآن للعصا التي تحولت إلى ثعبان عظيم يسعى، لتكون دليل صدق على نبوة موسى، ذكر أن موسى هو الذي قام باللقاء العصا أمام فرعون وأمام السحرة قال تعالى على لسان موسى: [قَالَ أُولُو جِبْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِمْ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ * فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ]⁽³⁾، وفي موضع آخر قال تعالى: [فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السّٰحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ]⁽⁴⁾، وهذه النصوص واضحة الدلالة في أن موسى هو الذي ألقى العصا وليس أحد غيره، بينما تذكر التوراة أن الذي كان يتولى إلقاء العصا هو هارون وليس موسى⁽⁵⁾، (وكلم الرب موسى وهارون قائلاً: إذا كلمكما فرعون قائلاً هاتا

(1) انظر الخروج (5-1) / (5-1).

(2) انظر سورة طه (49 - 59)، والشعراء (16 - 37).

(3) الشعراء (30 - 32).

(4) طه (67 - 69).

(5) الخروج (7 / 8 - 10).

عجيبةً، تقول لهارون: خذ عصاك واطرحها أمام فرعون فتصير ثعباناً⁽¹⁾، وقوله خذ عصاك صريحٌ بأن العصا لهارون وليس لموسى.

التوراة لا تذكر إيمان السحرة بموسى

يتفق الكتابان أن موسى تبارى مع السحرة في موقف عظيم حضره جمعٌ غفيرٌ من الناس، وأن موسى غلب السحرة، وكان في ذلك نصرٌ للإسرائيليين على المصريين، لكنهما يختلفان في شأن السحرة وما آل إليه حالهم بعدما غلبوا، فالقرآن يذكر أن السحرة آمنوا بموسى وخرّوا سجداً لرب العالمين، بعدما علموا علم اليقين أن موسى ليس بساحر، وأن فرعون وبخهم على ذلك وتوعدهم بالانتقام الشديد [فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ * قَالُوا ءَأَمْنَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ ءَأَمِنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْمُونَ^٤ لَا تُقِطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلُكُم مِّنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ]⁽²⁾، بينما لا يرد أي ذكر لإيمان السحرة في التوراة، بل إن ذكر السحرة في التوراة لا يتجاوز سطرًا واحدًا⁽³⁾ تقول التوراة: (فدعا فرعون أيضاً الحكماء والسحرة * ففعل عرافو مصر بسحرهم كذلك طرحوا كل واحد عصاه فصارت العصي ثعابين ولكن عصا هارون ابتعلت عصيهم)⁽⁴⁾، وهكذا نرى أن التوراة لم تشر إلى إيمان السحرة واكتفت بذكر انتصار موسى وهارون عليهم.

معجزة اليد البيضاء

يذكر القرآن أن موسى قدّم أمام فرعون معجرتين وهما معجزة العصا ومعجزة اليد البيضاء، وذلك بعد أن هدّده فرعون بالسجن إذا اتخذ من دونه إلهاً آخر، [قَالَ لِيْنِ أَخَذْتِ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ * قَالَ أَوْلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنّٰظِرِينَ]⁽¹⁾،

(1) الخروج (30/4-31).

(2) الشعراء (46-49).

(3) البار، الله جل جلاله، ص200، مرجع سابق.

(4) الخروج (7/11-12).

(1) الشعراء (29-33).

بينما لا تذكر التوراة أن موسى قدّم معجزة اليد البيضاء أمام فرعون واكتفت بذكر معجزة العصا⁽¹⁾، وقد أشارت التوراة أن هارون قدّم المعجزتين أمام الإسرائيليين وليس أمام فرعون وذلك قبل أن ينطلق موسى وهارون ليصدحا بالدعوة أمام فرعون وقومه⁽²⁾.

سبب اعتراض فرعون على دعوة موسى

ذكر القرآن أن فرعون نصّب نفسه إلهاً فقال [أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى] ⁽³⁾، فقد جعل نفسه معبوداً، وسخّر من حوله لتحقيق هذه الغاية، وهذّب موسى بالسجن إذا ما اتخذ من دونه إلهاً يُعبد، وهنا تظهر العقدة الأساسية في شخصية فرعون كما بينها القرآن، وهي النزعة الفوقية، ودعوى الألوهية عند فرعون كانت تقوم على ما كان يشعر في نفسه من فوقية، وتفوق على الآخرين، ولذلك رفض فرعون أن يؤمن بدعوة موسى كونه سيصبح عبداً لا معبوداً تابعاً لا متبوعاً، ولا تذكر التوراة أن فرعون نصّب نفسه إلهاً لبني إسرائيل مع إشارتها لتسخيره إيّاهم في العمل لخدمته وتحقيق مصالحه، ولذلك لم يعترض فرعون على موسى عندما طلب منه أن يطلق الإسرائيليين ليذبحوا للرب بأنهم سيتخذون إلهاً معبوداً من دونه، وإنما كان اعتراضه على أنهم إذا خرجوا فستعطل الأعمال التي كانت تتأط بهم، ومن هنا يظهر الاختلاف بين الكتابين في بيان السبب الرئيس الذي من أجله رفض فرعون أن يؤمن بدعوة موسى وأن يطلق شعبه من يده.

المؤامرة على قتل موسى

ذكر القرآن المؤامرة التي دُبّرت في قصر فرعون للخلاص من موسى ودعوته، وكانت هذه المؤامرة تقتضي قتل موسى، وجاءت فكرة قتل موسى على لسان فرعون محتجاً بخوفه على قومه من هذه الدعوة، ومن إشاعة موسى الفساد في الأرض كما يزعم فرعون [وَقَالَ

(1) الخروج (7/ 8-11).

(2) الخروج (4/ 30/31).

(3) النازعات (24).

فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ
الْفَسَادَ⁽¹⁾، ولكننا لا نجد ذكراً لهذه المؤامرة في التوراة.

التربية الإيمانية لبني إسرائيل

أشار القرآن أثناء حديثه عن دعوة موسى لبعض الجوانب التربوية التي سلكها موسى مع قومه ليعزز الإيمان في نفوسهم، ويطرد الخوف والفرع من قلوبهم، فقد أرشدهم للإستعانة بالله والصبر على الحق وذلك عندما قرّر فرعون وقومه مرّة ثانية قتل أبناءهم واستحياء نسائهم فقال لقومه: [أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا]⁽²⁾، أي استعينوا بالله على فرعون وقومه فيما ينوبكم من أمركم، واصبروا على ما نالكم من المكاره في أنفسكم وأبنائكم من فرعون⁽³⁾، وكما أرشدهم إلى الحفاظ على الصلاة والتمسك بها، وذلك لأن الصلاة مفرغ كل مؤمن عند الشدائد والنوازل [وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ]⁽⁴⁾، وذلك لما اشتد بهم البلاء من قبل فرعون وقومه وضيقوا عليهم، أمروا بكثرة الصلاة⁽⁵⁾، ولا نجد في التوراة ما يدل على أن موسى سلك طرقاً تربوية مع قومه أثناء فترة الدعوة، بينما تركز التوراة في حديثها على موضوع واحد وهدف أساسي مركزي، وهو جهد موسى ونضاله من أجل تخليص الإسرائيليين من قبضة فرعون وحكمه.

◆ الإله يطلب مساعدة البشر

تعرض التوراة للانتقاص من قدسيّة الرب، والنيل من كماله في كثير من المواضع، ومنها ما تذكر التوراة أن الرب طلب مساعدة الإسرائيليين عندما أراد أن يضرب بيوت المصريين، وذلك حتى لا يتضرر الإسرائيليون بسبب هذه الضربة، فطلب منهم أن يضعوا

(1) غافر (26).

(2) الأعراف (128).

(3) الطبري، تفسير الطبري م 6 (ج 36/11)، مرجع سابق.

(4) يونس (87).

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (2 / 428)، مرجع سابق.

علاماتٍ بالدم على بيوتهم⁽¹⁾، تقول التوراة: (فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين فحين يرى الدم على العتبة العليا يعبرُ الرب عن الباب)⁽²⁾، ويبيِّنُ هذا النص التوراتي عجز الرب عن القيام بأعماله دون مساعدة الآخرين، فهو ناقص القدرة محتاجٌ للبشر الذين خلقهم بيده!! وهو ناقص العلم حتى لا يستطيع التمييز بين الشعوب!!، بينما نرى في الجانب الآخر أن القرآن يثبت صفات الجلال والكمال لرب العزة، فهو مستغنٍ عن كل مخلوقاته، وهذه المخلوقات لا تستغني عنه تبارك تعالي، وقد اثبت الله لنفسه صفتي العلم والقدرة، قال تعالي: [اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُو أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا]⁽³⁾، أي علمه قد أحاط بالمخلوقات كلها فلا يغيب عنه منها شيء⁽⁴⁾، ولكي يعلم الناس كنه قدرته وسلطانه، وأنه لا يتعدَّر عليه شيءٌ أرادَه ولا يمتنع عنه أمرٌ، فهو على ما يشاء قديرٌ وليعلم الناسُ أن الله بكل خلقه محيطٌ علماً، لا يعزب عنه مثقال ذرةٍ في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر⁽⁵⁾، فأَيُّ الكتابين أحق بالاتباع، القرآن الذي يثبت الجلال والكمال لله أم التوراة التي لا تتفك عن الانتقاص من قدرة الله وعلمه وإصاق صفات الضعف به؟؟.

الحديث في التوراة عن الأحساب والأنساب وأعياد الإسرائيليين

عند قراءة قصة موسى مع فرعون من سفر الخروج نجد أن التوراة تتطرق للحديث عن تفاصيل خاصة ببني إسرائيل، فنراها تتحدث عن أنسابهم وأحسابهم ورؤساء بيوتهم وعائلاتهم في زمن إرسال موسى إلى فرعون⁽⁶⁾، وفي الجانب الآخر تتحدث التوراة عن أحد أعيادهم وهو عيد الفصح وتذكر التوراة تفاصيل خاصة بهذا العيد، ابتداءً من أكل اليهود الفطير بدل الخبز

(1) الخولي، اليهود من كتابهم، ص6، بتصرف، مرجع سابق.

(2) الخروج (23/12).

(3) الطلاق (12).

(4) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، الأسماء والصفات، ص115، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بتصرف.

(5) المراغي، تفسير المراغي، م10 (28/152)، مرجع سابق.

(6) سفر الخروج (6/14-19).

المختمر طوال سبعة أيام، وانتهاءً بالذبح والطقوس الأخرى الخاصة بهذا العيد⁽¹⁾، ولا يذكر القرآن شيئاً من هذه الأمور، فلا نجد في القرآن تفاصيل عن أنساب الإسرائيليين وأسمائهم ولا ذكراً لأعيادهم ومناسباتهم ولا لطقوس أعيادهم، وإنما يهتم بالعبارة والعظة من قصة موسى مع فرعون مبتعداً عن السرد التاريخي الذي لا يحمل فائدة في ذكره.

شخص ذكر في القرآن ولم تذكر في التوراة

لا بد للحوادث من محدث ولا بد للفعل من فاعل، والمشاهد التي ذكرت في كلا الكتابين ورسمت أحداث القصة كانت من صنع شخص، وبعض هذه الشخصيات اتفق ذكر التوراة لها مع ما ذكره القرآن الكريم، مثل شخصية موسى وهارون عليهما السلام، وشخصية الطاغية فرعون، وبعض هذه الشخصيات ذكرت في القرآن ولم يرد لها ذكر في التوراة، وهذه الشخصيات هي:

أولاً: هامان

ذكر هامان في القرآن الكريم في ستة مواضع⁽²⁾، ولم يذكر القرآن الكريم أي تفاصيل عن حياة هذا الرجل، واكتفى القرآن بالإشارة إلى إشراك هامان مع الطاغية فرعون بالإفساد في الأرض وارتكاب الخطايا والآثام، ويظهر ذلك في قوله تعالى: [**إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَمَنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ**]⁽³⁾، كما يظهر من خلال تدبر آيات القرآن الكريم أن هامان هو أحد المقربين من فرعون، وهو يشكّل الذراع الأيمن لفرعون، وإليه كانت توكل الأعمال والمهمات الصعبة، فقد أمره فرعون ببناء صرح يصعد من خلاله إلى السماء ليتأكد من وجود إله موسى على حدّ زعمه [**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَمَنُ ابْنُ بَنِي إِسْرَائِيلَ صرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ**]⁽⁴⁾، ولا يرد ذكر هامان في أسفار التوراة الخمسة، بينما يرد ذكره في سفر أستير⁽⁵⁾، وعاش هامان هذا في

(1) انظر تفاصيل ذلك، البار، المدخل، ص303، مرجع سابق.

(2) انظر، محمد عبد الباقي، المعجم المفهرس، ص907، مرجع سابق.

(3) القصص (6).

(4) غافر (36).

(5) انظر سفر أستير، (3/ 1/ 3)، وانظر المسيري، الموسوعة اليهودية، (5/ 267)، بتصرف، مرجع سابق.

فارس بعد النفي إلى بابل وتستطيع أستير بدهائها أن تدبر مكيدة وتقتل هامان وزير الملك ويحتفل اليهود بقتله ويجعلونه عيداً لهم وهو ما يسمى اليوم عند اليهود بعيد (النصيب) أو (بوريم) أو عيد المساخر ويصادف الرابع عشر من آذار⁽¹⁾.

ثانياً: قارون

ورد ذكر قارون في القرآن الكريم أربع مرات، مرتان منهما في سورة القصص ومرّة في سورة العنكبوت أثناء الحديث الموجز عن تكذيب الطواغيت الثلاثة: فرعون وهامان وقارون وإهلاك الله لهم، والمرّة الرابعة في سورة غافر حيث وردت أسماء الطواغيت الثلاثة في سياق إرسال موسى عليه السلام لهم وتكذيبهم له⁽²⁾، وقد قصّ القرآن قصة قارون مع موسى وقومه كاملة في سورة القصص⁽³⁾، ولا يرد أيُّ ذكر لقارون في التوراة، وإن كانت هناك قصة قريبة إلى حدٍ ما من قصته في النهاية المفجعة، وهي ابتلاع الأرض له ولمن معه، وهذه القصة هي قصة قارح بن يصهار الذي يثور على موسى ويرفض علانية نبوته ويتهمه بالكذب على الله، فيدعو موسى ربه فيخسف الله الأرض بقارح بن يصهار ومن معه أمام بني إسرائيل⁽⁴⁾ وتختلف قصة قارون في كل تفاصيلها عن قصة قارح وتشترك فقط معها في النهاية المخيفة⁽⁵⁾.

ثالثاً: مؤمن آل فرعون

قصّ علينا القرآن قصة الرجل المؤمن من آل فرعون الذي هدى الله قلبه للإيمان وذلك في سورة غافر⁽⁶⁾، هذا الرجل الذي شكل مع زوجة فرعون المؤمنة الضربة القاسية لطغيان فرعون وجبروته، حيث يمثلان الاختراق العملي الذي حققته دعوة موسى في قلب بيت فرعون،

(1) البار، الله جل جلاله، ص158، مرجع سابق.

(2) انظر عبد الباقي، المعجم المفهرس، ص690، مرجع سابق، وانظر الخالدي، مع قصص السابقين، (146/5)، مرجع سابق.

(3) انظر القصص (76-83).

(4) انظر سفر العدد، الإصحاح السادس عشر، وانظر البار، الله جل جلاله، ص206، مرجع سابق.

(5) المرجع السابق، ص206.

(6) انظر غافر (27-46).

وقد سكت القرآن عن اسم هذا الرجل المؤمن وتفصيل حياته، ومع ذلك لا نجد أي أثر يذكر لقصة هذا الرجل المؤمن في نصوص التوراة.

الاختلاف في العقوبات المرسلة على المصريين

نصَّ القرآن الكريم على أن موسى أرسل إلى فرعون وقومه في تسع آيات بينات، [وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ] ⁽¹⁾، وكانت هذه الآيات دليل صدق على نبوة موسى ورسالته، وكانت بعض هذه الآيات مقرونة بالتحدي مثل معجزتي العصا واليد البيضاء، وبقيّة الآيات كانت غير مقرونة بالتحدي، حيث كانت وبالأعلى على فرعون وقومه نتيجة لتكذيبهم موسى وجودهم رسالته، وجاء تفصيل ذكر هذه الآيات في سورة الأعراف في موضعين، الموضع الأول: في قوله: [وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ] ⁽²⁾، والموضع الثاني في قوله: [فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ] ⁽³⁾، وبنص القرآن فقد كانت آيات العذاب سبعة أصناف وهي: سنين القحط والجذب ونقص الثمرات والزرع، والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، وفي التوراة اختلاف في بعض العقوبات التي أرسلت على فرعون وقومه عمّا ذكره القرآن فقد ذكرت التوراة أن العقوبات التي أرسلت على فرعون وقومه كانت الدم والضفادع والبعوض والذباب والوباء الذي أرسل على المواشي والدمل والمطر والبرد والرعود الشديدة القاتلة والجراد والظلام وموت الأبقار من البشر والبهائم ⁽⁴⁾، ويتضح لنا أن القرآن لم يذكر البعوض والأورام الجلدية والبرد والظلمات وموت كل بكر من البشر والأنعام التي تصفها التوراة، ومن الملاحظ أن القرآن ذكر العقوبات دون تفصيل يذكر عن كيفية إرسال

(1) الإسراء (101).

(2) الأعراف (130).

(3) الأعراف (133).

(4) انظر سفر الخروج، (الإصحاح السابع - الإصحاح الحادي عشر).

تلك العقوبات وآثارها ولكن التوراة كانت تفصل بعض الشيء عند الحديث عن تلك العقوبات وما حلَّ بفرعون وقومه من خلالها⁽¹⁾.

ميثاق الله مع بني إسرائيل

تشكل مسألة الميثاق الذي أقامه الرب مع بني إسرائيل محوراً أساسياً في التوراة، فلا يكاد يخلو سفرٌ من أسفار التوراة من إشارة مباشرة أو غير مباشرة إلى الميثاق ومدى تمسك بني إسرائيل به⁽²⁾، وهذا العهد كما تذكر التوراة يقضي أن يمنح الرب الإسرائيليين أرض كنعان وهي ما أصبح متعارف عليه جغرافياً باسم "فلسطين" وعلى قسم كبير من سوريا⁽³⁾، وهذا العهد كان الرب قد أبرمه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وبحسب التوراة فقد نسي الله هذا العهد مدة من الزمن ثم عاد بعد ذلك ليتذكره⁽⁴⁾، وبمقتضى هذا العهد يتملك الإسرائيليون أرض كنعان إلى الأبد دون أن يشاركون فيها أحد، ودون أن تذكر التوراة أسباب التمكين التي من أجلها أعطى الرب أرض كنعان للإسرائيليين مع أن الإسرائيليين نقضوا العهود مراراً وتكراراً كما تذكر التوراة، إلا أن فكرة العهد بقيت قائمة وستبقى راسخة في معتقداتهم حتى يأتي وعد الله، وفي القرآن الكريم ذكر الله ميثاقه مع بني إسرائيل، قال تعالى: [يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ]⁽⁵⁾، وهذا النص القرآني يذكر الله فيه بني إسرائيل "اليهود" الذين كانوا يسكنون المدينة بنعم الله عليهم وهي كثيرة لا تعد ولا تحصى، ابتداءً من إنجائهم من فرعون وبطشه وتظليل الغمام لهم، وغيرها من النعم⁽⁶⁾، ويلاحظ من خلال النص نفسه أن الله قد أقام عهداً مع بني إسرائيل وأنه قد فرض عليهم التزامات يجب عليهم أن يفوا بها مقابل أن يحقق الله لهم ما وعدهم به من النصر والتمكين، وهذا ما ذكر في سورة المائدة في قوله تعالى: [وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ

(1) البار، الله جل جلاله، ص202، مرجع سابق.

(2) عبد الستار قاسم، إبراهيم والميثاق مع بني إسرائيل في التوراة والإنجيل والقرآن، ص39، الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، القدس، 1994.

(3) المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (15/4)، مرجع سابق.

(4) انظر الخروج (6) / (3-8).

(5) البقرة (40).

(6) النيسابوري، غرائب القرآن، (270/1)، بتصرف، مرجع سابق.

نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ [1]، وهذا العهد والميثاق الذي ذكره الله في كتابه لا يقتصر على بني إسرائيل بل ويشمل المؤمنين في كل زمان ومكان، فأى جماعة تلتزم بشرع الله وتحافظ على حرمانه يكون لها التمكين في الأرض ومعنى هذا الكلام أن أي أمة لا تلتزم بهذا النهج القويم سوف يذلها الله ويجعلها في قاع الأمم، ولن يكتب لها النصر والتمكين وبما أن الإسرائيليين لم يلتزموا بما أمرهم الله به، وخرجوا على دينه ورسله وقابلوهم بالكذب والإفتراء والبهتان كان حقاً على الله أن لا يحقق لهم ما وعدهم به، وقد أشار الله في كثير من مواضع القرآن الكريم إلى عدم وفاء بني إسرائيل بعهدهم مما استجلب عليهم الغضب والذلة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: [فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَنَسَةً (2)] وقال أيضاً: [وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (3)]، وبالإضافة إلى نكوصهم عن دخول الأرض المقدسة التي أمرهم الله بالدخول إليها وقتال أعداء الله فيها وقولهم لموسى: [فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (4)].

وبذلك لم يعد بنو إسرائيل مميّزين ومفضلين عند الله عن بقية الناس كما كانوا في حال إيمانهم وصلاحهم، بل هم كالأخرين الذين لا يؤمنون بالله تعالى ولا يعملون حسب تعليماته، وبهذا يكون قد انتهى مفعول ميثاق الله وعهده مع بني إسرائيل ولم يكتف القرآن بهذا الحد بل شنّ عليهم هجوماً عنيفاً لأنهم كانوا مثلاً سيئاً للأخرين، قال تعالى: [مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِعَايَةِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (1)]، وهكذا يتضح لنا الفرق الشاسع بين الميثاق مع بني إسرائيل في القرآن

(1) المائدة (12).

(2) المائدة (13).

(3) البقرة (61).

(4) المائدة (24).

(1) الجمعة (5).

والتوراة، فالقرآن ربط الميثاق وحدّده بالتزام بني إسرائيل بشرع الله، بينما نجد أن التوراة ألزمت الرب بالعهد والميثاق مع نكوص بني إسرائيل ومخالفتهم أوامره، والقرآن يضع بني إسرائيل في ميزان التقوى والصلاح كبقية الشعوب، فهم غير مفضلين على أحد، فهم كغيرهم من المؤمنين إذا التزموا وأخلصوا نبيّاتهم لله، وفي التوراة نجد النزعة العرقية الواضحة بتفضيل العبرانيين على بقية الشعوب والأمم لأنهم عبرانيون دون التحاكم إلى ميزان التفاضل بالتقوى والصلاح.

موسى يعود ثانية لمعاتبه ربه

بعد أن وافق موسى على حمل الرسالة وبعد محاولات عديدة للتوصل من هذه المسؤولية تعود بنا التوراة ثانية لتذكر معاتبه موسى ربه ومجادلته إيّاه، وذلك بعد أن ضاق قومه ذرعاً بمضايقات فرعون لهم بعد أن جاء موسى بالرسالة، فتوجه موسى إلى ربه معاتباً موبخاً، تقول التوراة على لسان موسى مخاطباً ربه: (يا سيّد لماذا أسأت إلى هذا الشعب؟؟ لماذا أرسلتني فإنه منذ دخلت إلى فرعون لأتكلم باسمك أساء إلى هذا الشعب وأنت لم تخلص شعبك)⁽¹⁾، وهذا ما يعكس سوء الأدب مع الله من قبل رسوله موسى كما تزعم التوراة، ولا نجد شيئاً من هذا القبيل في القرآن فيها هو موسى ملتزماً طاعة ربه قائماً على حدوده، مجتنباً نواهيته حتى استحق من الله أن يقربه إليه ويخصه ببعض المزايا والمكرّمات قال تعالى: [وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَنَدَيْنَاهُ مِنَ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا]⁽²⁾، فشتان بين شخصية موسى كما رسمها القرآن وتلك الشخصية المهزوزة المهزومة التي رسمتها التوراة لموسى رسول الله وكليمه.

ومن خلال دراسة أحداث هذه المرحلة بين القرآن والتوراة يستطيع القارئ أن يتبيّن مدى استهزاء اليهود بالله ورسله الكرام، فما هم يصوّرون الرسل وهم يخاصمون الرب ويجادلونه ويقرعونه بدل أن يتأدّبوا معه، ويستطيع القارئ أيضاً أن يلاحظ مدى جحود بني

(1) الخروج (5/ 22-23).

(2) مريم (51-52).

إسرائيل نعم الله عليهم، فقد أنجاهم من عدوهم ومكنهم في الأرض، وأرسل على أعدائهم أصناف العذاب المختلفة، ومع ذلك رفضوا الالتزام بدينه وأمره، ويستطيع القارئ أن يلاحظ تلك النزعة الفوقية التي تتملك بني إسرائيل، فهم على حد زعمهم خيرٌ من كل الشعوب والأمم، وكل الأمم مسخرةً لخدمتهم، والأبلغ من ذلك سوء الأدب مع الله، فوصفوه بالضعف وعدم القدرة واحتياج الآخرين، وهو الذي يشعر بالندم على بعض ما يقوم به من تصرفات، وهو الذي ينسى عهوده ومواثيقه التي أبرمها معهم فترةً من الزمن ثم يعود ليتذكرها، وفي المقابل نجد أن القرآن نزه الله ورسله الكرام عن كل نقص وعيب، فهو يصف الرب بصفات الجلال والكمال وينزل الرسل منازلهم، فهم المعصومون بعصمة الله لهم من الوقوع في الآثام والمعاصي، وقد كشف القرآن حقيقة بني إسرائيل، وبيّن زيف معتقداتهم وادعاءاتهم الكاذبة، وبيّن لهم العقاب التي ستحيق بهم لمكرهم وخبثهم وافتراءهم الكذب على الله ورسله الكرام، فهو الكتاب الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

الفصل الرابع

الخروج في القرآن والتوراة

الفصل الرابع

الخروج في القرآن والتوراة

في هذا الفصل أُقدم عرضاً لخروج بني إسرائيل من مصر، هذا الخروج الذي شكّل نهايةً لمرحلة العذاب والاضطهاد التي عانا منها الإسرائيليون طويلاً، ونهايةً لحياة شخصية تعتبر من أكثر الشخصيات طغياناً وتجبراً في تاريخ البشرية جمعاء، وهذه المرحلة في نهايتها تعتبر النقطة التي انتهت عندها قصة موسى الطاغية فرعون، وبدايةً لمرحلةٍ جديدةٍ في دعوة موسى، وهي دعوته لقومه بني إسرائيل، وسأستعرض بدايةً خروج بني إسرائيل من أرض مصر كما جاء في القرآن، ثم الخروج كما جاء في نصوص التوراة، ثم أعقد مقارنةً لمرحلة الخروج بين القرآن والتوراة مبيناً أوجه الاتفاق والاختلاف بين الكتابين في حديثهما عن الخروج.

المبحث الأول: الخروج في القرآن

المطلب الأول: الخروج معنى ودلالة

الخروج في اللغة: بمعنى خرج من الموضع "خروجاً" و"مخرجاً" وأخرجته أنا، ووجدت للأمر "مخرجاً" أي مخلصاً، ويأتي "الخروج" بمعنى التمرد على صاحب الأمر والنهي⁽¹⁾، وهذه المعاني كلها تتلاقى مع معنى الخروج في القرآن، فخروج موسى مع بني إسرائيل من أرض مصر كان خلاصاً لهم من الذل والعبودية التي عاشوها فترة من الزمن، وفي نفس الوقت كان خروجاً وتمرداً على صاحب الأمر والنهي في زمانهم، فرعون الذي استعبدهم وسلبهم حقوقهم في الحرية والحياة، ومعنى الخروج في قصة موسى، هو قيام موسى وقومه بالخروج من أرض مصر فراراً بدينهم من بطش الطاغية فرعون، والخروج في التاريخ على اختلاف المكان والزمان والشخص موجود بصورة ملحوظة وخاصةً في حياة الرسل الكرام، فما هو إبراهيم

(1) انظر البستاني، عبد الله الوافي، معجم وسيط اللغة العربية، باب الخاء، ص167، مكتبة لبنان، ط(2)، 1980، والفيومي، المصباح المنير، كتاب الخاء، جذر خرج، ص89، المكتبة العصرية، ط(2)، 1997م، والرازي، مختار الصحاح، باب الخاء، جذر خرج، ص89، مرجع سابق.

الخليل عليه السلام يهاجر من أرض مولده⁽¹⁾، بعدما جحد قومه رسالته، وأرادوا قتله وتحريقه بالنار بعدما حطم أصنامهم وسفّه أحلامهم، فقال: [إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ]⁽²⁾، وها هو النبي المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يؤمر بالخروج من مكة أرض مولده فراراً بدينه وروحه من بطش الكافرين الذين أرادوا قتله والإجهاز على دعوته في مهدها، والملاحظ أن الخروج الذي حصل من الأنبياء عليهم السلام كان ممهداً لطريق الانتصارات والفتوحات فيما بعد، فالرسول المصطفى عليه السلام استطاع بعد خروجه من مكة أن يبني دولة الإسلام في المدينة المنورة، وأن يؤسس دعاماتها الأساسية، وأن يأخذ الحرية مع قومه في العبادة والاستقلالية عن الآخرين، واستطاع أن يجهز جيشاً عظيماً، استطاع من خلاله أن يعود فاتحاً لمعقل الشرك "مكة المكرمة" في ذلك الزمان، وبعد ذلك انتقل بالفتوحات والانتصارات إلى غيرها من الأماكن، وهذا نبي الله موسى بخروجه استطاع التخلص من عدوه وعدو قومه الأوّل "فرعون" الذي لاقى مصيره المحتوم غرقاً أثناء مطاردة موسى ومن معه أثناء الخروج من مصر، واستطاع موسى كذلك أن يأخذ حريته في الدعوة بعدما ضيّقت عليه السبل في أرض مصر، وكل ذلك كان ممهداً لرفع شأن بني إسرائيل "الذين آمنوا بموسى وثبتوا معه" فالخروج ومفارقة الباطل يعدُّ سبباً من أسباب النصر والتمكين.

المطلب الثاني: الخروج مطلبٌ أساسي في دعوة موسى

عندما وقف موسى أمام فرعون وعرض عليه مطالبه، وأبان له حقيقة دعوته، كان من جملة مطالبه أن يخرج فرعون بني إسرائيل من عبوديته وأن يطلقهم من أرض مصر حتى يعبدوا الله بحريّة، وقد ذكر هذا المطلب صراحة في القرآن الكريم في أكثر من موضع، قال تعالى على لسان موسى مخاطباً فرعون: [قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ]⁽³⁾، وقوله

(1) تدرّج كتب التاريخ والسير أن مولده عليه السلام كان بأرض بابل وما حولها، وقيل غيرها، انظر تفصيل ذلك، إبن كثير، قصص الأنبياء، ص127، مرجع سابق، وابن الأثير، الكامل في التاريخ، (94/1)، مرجع سابق، وابن كثير، البداية والنهاية، م2 (126/1)، مرجع سابق.

(2) الصافات (99).

(3) الأعراف (105).

تعالى: [فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ]⁽¹⁾، وهذا المطلب الأساسي يدلُّ على أن مهمة الأنبياء والمرسلين لا تقتصر فقط على بيان أركان الدين وأسسها، وإنما تمتد إلى مقاومة الطغاة والظالمين، وإلى العمل من أجل تخليص الأمم والشعوب من ظلمهم وبغيهم⁽²⁾. أقول: إن الهدف الأساسي من دعوة الرسل الكرام عليهم السلام هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور ومن عباده العباد إلى عبادة رب العباد، وهذا مغزى طلب موسى من فرعون بأن يخرج بني إسرائيل من أرض مصر، لأن خروجهم منها يعني خروجهم من عبوديته وسيطرته، وعندها يستطيعون عبادة الله بحريَّة كاملة، ولا عجب إذاً أن يكون مطلب موسى إخراج بني إسرائيل مطلباً أساسياً من فرعون، فرسالة الإسلام مفادها التحرر من الاستبداد الذي كان مسيطراً على شخصية الظالمين، وعلى رأسهم فرعون، فهذا هو جوهر دعوة الإسلام، فهي تهدف لتحرير الإنسان من أن يكون عبداً لشهوته ونزواته، أو أن يكون أسيراً لتصورات ومعتقدات باطلة وملوثة، فهي تمتد من تحرير الإنسان من داخله، ثم إزالة العقبات الخارجية المادية والمعنوية التي تمنعه من الانطلاق لتحقيق هدف التوحيد والعبادة، وتعطل حركته في الحياة.

المطلب الثالث: زمن ومكان الخروج

لا يذكر القرآن الكريم شيئاً عن زمن ومكان الخروج، ولا توجد بين أيدينا أدلة يقينية نستطيع من خلالها تحديد زمن ومكان الخروج، بل إنَّ القرآن سكت عن تحديد زمن تلك الفترة من التاريخ بشكل كامل، فلم يذكر زمن ولادة موسى ولا زمن بعثته أو وفاته، ولم يحدد تاريخ الفراعنة بشكل عام أو خاص، وهذا كله يتمشى مع حكمة القرآن في سرد القصة، وهي أخذ العبرة والعظة مع الإبتعاد عن السرد التاريخي الذي لا يفيد في بيان تلك العبرة والعظة من القصة المذكورة، وكذلك سكت القرآن عن تحديد مقدار الزمن الذي أقامه بنو إسرائيل في أرض مصر، فالفترة ما بين دخول بني إسرائيل مصر وخروجهم منها غير محدَّدة بتواريخ دقيقة تعتمد

(1) طه (47).

(2) ظهراز، عبد الحميد محمود، سبيل السعادة في سورة طه وكلمة التوحيد وأمة التوحيد في سورة الأنبياء، ص44، دار القلم والدار الشامية، ط (1)، 1994م.

على أدلة صحيحة⁽¹⁾، ويحاول المؤرخون وعلماء الآثار تحديد هذه الفترة بالسنوات فيذهبون إلى أن يوسف عليه السلام دخل مصر في القرن السادس عشر قبل الميلاد تقريباً، ويذهبون إلى أن موسى خرج مع بني إسرائيل من أرض مصر في القرن الثاني عشر قبل الميلاد في عهد الأسرة الحاكمة التاسعة، أي أن فترة مكوث بني إسرائيل في مصر كانت أربع قرون⁽²⁾، وحسبنا أن نقول أن موسى والإسرائيليين خرجوا من أرض مصر بأمر الله تعالى دون تحديد لزمان ومكان ذلك الخروج لعدم امتلاكنا أدلةً تثبت من خلالها تاريخ ذلك الخروج.

المطلب الرابع: أمرُ الله لموسى بالخروج

قام موسى بواجبه وأدى رسالته، لكنه وجد آذاناً صُمًّا من فرعون وقومه، وازداد طغيان الطاغية، فزاد من تعذيب الإسرائيليين فثبت موسى مع من ثبت من قومه وأعرض عنه الكثيرون، وقدّر الله أن ينهي المواجهة بين موسى وفرعون، وأن يوقف بطش فرعون وملئه لبني إسرائيل، كما قدّر الله أن تنتهي إقامة بني إسرائيل في مصر، وأن الأوان لخروجهم⁽³⁾، وذلك ليتحقق عملياً قوله تعالى: [وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ]⁽⁴⁾، فأوحى الله إلى موسى أن يجمع قومه ويخبرهم أنهم سيرحلون عن مصر ليلاً [فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ]⁽⁵⁾، وقد انبنى هذا الأمر على السرية والكتمان والسرعة ويدل على ذلك قوله (وأوحينا) وهي من الوحي، ويعني الإشارة السريعة الخفية⁽⁶⁾، وكذلك قوله "أسر"، وهذا لا يكون إلا ليلاً⁽⁷⁾، وهو عين الحيلة والحذر والسرية، فالليل يتخفى

(1) الخالدي، القصص القرآني، (3/ 72)، بتصرف، مرجع سابق.

(2) انظر النجار، قصص الأنبياء، ص (201-203)، مرجع سابق.

(3) الخالدي، القصص القرآني، (3/ 172)، بتصرف، مرجع سابق.

(4) القصص (5-6).

(5) الدخان (23).

(6) الزين، سميح عاطف، مجمع البيان الحديث، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، مادة "وحي"، ص 912، دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري، ط (1)، 1980م.

(7) خطاب، محمود شيت، المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم، باب السين، مادة سري، (1/ 361)، دار الفتح، بيروت، ط (1)، 1966م.

به، ويساعد الإسرائيليين على الخروج دون أن تبصرهم عيون فرعون المنتشرة في كل مكان، وأخبر الله موسى أن فرعون سيلحق بهم بجنوده وأمره أن يقودهم إلى ساحل البحر (1).

المطلب الخامس: مطاردة موسى وأتباعه

خرج موسى ومن معه ليلاً من أرض مصر، مستعينين على ذلك بالسريّة والكتمان، وبقي الأمرُ سرّاً حتى افتقدهم المصريون وعلّموا بخروجهم، فأخبروا فرعون بذلك، فعزم على إرجاعهم صاعرين، فهو الخاسر الأوّل والأخير من خروجهم، فمن سيكون له بعدهم عبداً؟ ومن سيقوم على خدمته وأتباعه، فهو لا يريد إعادتهم حبّاً لهم، وإنما رغبةً في الإبقاء على مصالحه والحفاظ على هيئته، وقد أشار القرآن إلى التعبئة العامّة التي قام بها فرعون في شعبه للّحاق بموسى ومن معه، قال تعالى: [فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَتُؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ] (2)، وهذه الآيات توحى لنا بالسرعة الخاطفة التي قام بها فرعون في سبيل التعبئة العامة للّحاق بموسى وبمن معه، وأوّل هذه الخطوات كانت تجميع الجنود القادرين على حمل السلاح والقتال من مختلف أرجاء مملكته، وهذه كانت تشكل القوّة العسكرية التي سيضرب بها موسى وأتباعه، والخطوة الثانية كانت بث الرّوح المعنويّة بين جنوده وأتباعه، وكانت عن طريق التقليل والتهوين من شأن الإسرائيليين الخارجين، فوصفهم بقوله: [إِنَّ هَتُؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ] (3)، ومعنى "الشردمة" الطائفة المنقطعة عن الناس والتي لا يحسب لها أي حساب، وتأتي بمعنى الجمع القليل المحتقر، والعصبة الضعيفة (4)، وقد أراد فرعون بهذا الوصف أن يشعر أتباعه أن المهمّة التي تنتظرهم مهمة سهلة، فهم يلاحقون مجموعة منقطعة صغيرة من الناس، لا تملك عدّةً ولا عتاداً، فلا يحسب لهم أي حساب وفي ذلك تحفيز لمن معه بأن يستغلوا هذه الفرصة للقضاء على موسى ومن معه، وكان في ذلك تبريرٌ

(1) قطب، الظلال، (211/6)، مرجع سابق.

(2) الشعراء (53-56).

(3) الشعراء (54).

(4) اليزيدي، أبو عبد الرحمن عبد الله بن يحيى المبارك، غريب القرآن وتفسيره، ص281، تحقيق محمد سليم، عالم

الكتب، ط (1)، 1985م، وعبد الجليل عيسى، تيسير التفسير، ص483، ط(1)، 1958م، والواحي، الوجيز في تفسير

الكتاب العزيز، (2/790)، مرجع سابق.

لاتخاذ فرعون قراره باللحاق بموسى ومن معه، بالإضافة إلى أن الإسرائيليين قد أغاظوا المصريين وملؤوا قلوبهم حقداً، كونهم خالفوهم في دينهم وخرجوا على نظامهم وحكمهم، وفي هذا إشارة لخطورة بني إسرائيل، وقد استطاع فرعون إقناع أتباعه بشن الحرب على الإسرائيليين، ومطاردتهم حتى القضاء عليهم، وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله [وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ]⁽¹⁾، وقد امتاز جيش فرعون بقوة تنظيمه وسرعة حركته، مما يدل على الانضباط التام في صفوفه، حيث يقول تعالى: [فَأَرْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ]⁽²⁾، فما هي إلا ساعات قليلة بين علم فرعون بخروج بني إسرائيل وأمره بالاستنفار العام والتعبئة الشاملة وبين لحاقه بهم بهذا الحشد الهائل من الجنود، فما هم بنو إسرائيل بقيادة موسى يخرجون تحت جنح الظلام ليلاً، وها هو فرعون يتبعهم وقت شروق الشمس، مما يدل على سرعته في تنظيم صفوف جيشه وضبطه لهم، والسرعة في اللحاق بموسى ومن معه، قال تعالى: [فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ]⁽³⁾، أي لحقوا بهم وقت دخولهم في شروق الشمس وهو طلوعها، حيث أشرفت الأرض بالضياء⁽⁴⁾.

المطلب السادس: المواجهة الأخيرة بين موسى وفرعون

قبل أن يعرض القرآن المشهد الأخير عجل السياق العاقبة الأخيرة التي أرادها الله من إخراج فرعون وملئه بما كانوا فيه من متاع ونعيم وفير، قال تعالى: [فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ]⁽⁵⁾، فكانت خرجتهم هذه هي الأخيرة، وكان إخراجهم مقصوداً حين كان إخراجاً لهم من كل ما هم فيه من النعيم، فلم يعودوا أبداً لهذا النعيم⁽⁶⁾، وبعد ذلك يصور لنا القرآن اللحظات الأخيرة من هذه المواجهة، فقد استطاع فرعون وقومه اللحاق بالإسرائيليين وقت الشروق وتراءى الجمعان، ولم يبق ثمة ريب ولا

(1) الخالدي، القصص القرآني، (80/3)، بتصرف، مرجع سابق.

(2) الشعراء (53).

(3) الشعراء (60).

(4) الطبري، تفسير الطبري، م 11 (97/19)، بتصرف، مرجع سابق.

(5) الشعراء (57-59).

(6) قطب، الظلال، (212/6)، مرجع سابق.

لبس، وعابن كل من الفريقين صاحبه وتحققه ورآه، ولم يبق إلا المقاتلة والمجادلة والمحاماة⁽¹⁾، ولم يبق عندئذ خيار ثالث أمام الإسرائيليين فإمّا الموت على يد فرعون وجنده، وإمّا الموت غرقاً في البحر، فاضطربت نفوسهم وتزعزع إيمانهم وخارت قواهم، فأكدوا لموسى أن نهايتهم حانت، وأنه لا مفر ولا ملجأ من الموت القريب، هذا وإن دلّ على شيء فإنما يدل على النفسية الضعيفة المهزومة التي كانت تتملك نفوسهم تجاه الله الذي أمر موسى بالخروج إلى هذا المكان، فهل يعقل أنّ الله أخرجهم لملاقاة هذا المصير وهذه النهاية المشؤومة؟؟ فقالوا لموسى والخوف يملأ جوانحهم: [إِنَّا لَمُدْرِكُونَ]⁽²⁾، ولكن موسى الذي تلقى الوحي من ربه، لا يشك لحظة واحدة في نصر ربه له، وإن كان لا يدري كيف يكون النصر ولا على أي هيئة يجيء، فهو لا بدّ آتٍ قريب، والله هو الذي يوجهه ويرعاه⁽³⁾، فقال لهم: [كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ]⁽⁴⁾، والمراد بهذه المعية معية الحفظ والنصرة، وهي التي وعده بها ربه في بداية دعوته وأوّل بعثته بقوله (إنني معكما) أي بالحفظ والرعاية، وقوله: (سيهدين) أي سيدلني على طريق النجاة التي لا يدركني فرعون معها⁽⁵⁾، ويشار هنا إلى قول موسى (كلا إن معي ربي سيهدين)، فقد قصر معية الله على نفسه دون قومه جزاءً لهم على غفلتهم، وعدم تقّتهم بنصر الله مع أنه أخبرهم أنهم هم الغالبون، وذلك في قوله لموسى وهارون [أَنْتُمْ وَمَنْ أَتَّبَعَكُمْ أَلْغَلِبُونَ]⁽⁶⁾، ولكنهم تجاهلوا ذلك وتيقنوا الهلاك عندما شاهدوا فرعون وجنوده قريبين منهم، وقد كان حقاً عليهم أن يثقوا بالنصرة الكاملة المستمدة من الله ولكنهم فعلوا خلاف ذلك⁽⁷⁾.

(1) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 273، مرجع سابق.

(2) الشعراء (61).

(3) قطب، الظلال، (6 / 212)، مرجع سابق.

(4) الشعراء (62).

(5) الطبطايني، الميزان، (15 / 277)، مرجع سابق.

(6) القصص (35).

(7) الألوسي، روح المعاني، (10 / 35)، مرجع سابق.

المطلب السابع: معجزة النجاة

وقف الإسرائيليون حائرين أمام جموع المصريين الذين جاءوا للقضاء عليهم، وأيقنوا الهلاك، ولكن الله الذي وعدهم بالنصر لا يخلف وعده، وهذا ما كان يتيقنه موسى ويغفل عنه أتباعه، فأمر الله موسى أن يضرب البحر بعصاه من باب الأخذ بالأسباب، فنفذ موسى أمر ربه، فإذا البحر ينفلق فلقتين، قال تعالى: [فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ]⁽¹⁾، أي فانشق البحر إلى شقين منفصلين، وأصبح كل شق قطعة منفصلة من الماء "كالطود" وهو القطعة من الجبل العظيم، فدخلها موسى ومن معه من الإسرائيليين⁽²⁾، ووقف فرعون مع جنوده مشدوهاً بذلك المشهد الخارق، وذلك الحدث العجيب، وهو يرى موسى وقومه يعبرون الخضم في طريق مكشوف⁽³⁾، هذا الطريق الذي طمأن الله موسى شأنه، فقال له: [فَأَضْرِبْ هُمَّ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ]⁽⁴⁾، أي أن الله أيبس لهم ذلك الطريق حتى لم يكن فيه ماء ولا طين فكانت أماناً لهم من أن يدركهم العدو⁽⁵⁾، فأنجى الله موسى ومن معه وعبروا إلى الجانب الآخر من البحر، وأصبح البحر فاصلاً بين الفريقين، وعندما أراد موسى أن يضرب بعصاه البحر ليرجع على ما كان عليه من حاله، لئلا يكون لفرعون وجنوده وصولٌ إليه وأتباعه، فأمره القدير ذو الجلال أن يترك البحر على هذه الحال⁽⁶⁾، كما قال وهو الصادق في المقال [وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهَوْاً ۗ إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ]⁽⁷⁾، والرهو كما ذكر الراغب "الساكن" وقيل: السعة من الطريق، ويقال لكل جوفة مستوية يجتمع فيها الماء رهو ومنه قيل: "لا شفعة في رهو"⁽⁸⁾، والمعنى أي يا موسى أترك البحر ساكناً على

(1) الشعراء (63).

(2) الطبطباتي، الميزان، (15 / 277)، مرجع سابق.

(3) قطب، الظلال، (6 / 213)، مرجع سابق.

(4) طه (77).

(5) الأشقر، محمد سليمان، زبدة التفسير من فتح القدير، ص412، دار الفتح ودار النفائس، عمان، ط (5)، 1994م.

(6) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 336، مرجع سابق.

(7) الدخان (24).

(8) الراغب، المفردات، كتاب الرء، باب رهو، ص204، مرجع سابق.

حاله⁽¹⁾. أقول: ويظهر من خلال أمر الله لموسى بأن يترك البحر ساكناً على حاله أن ذلك كان استدراجاً لفرعون وقومه ليتبعوا موسى والإسرائيليين، وبعد دخولهم البحر خلفهم يطبق الله عليهم الماء فيموتوا غرقاً، وهذا ما تحقق عندما وصل غرور فرعون إلى أقصى درجاته، فقد رأى معجزةً أخرى تتحقق لموسى أمام عينيه، بعدما تحققت قبلها معجزات العصا واليد البيضاء والآيات التي أرسلها الله على المصريين لما جحدوا رسالة موسى، ومع ذلك فقد غرر فرعون نفسه وأتباعه، ومناهم الأمانى بأنهم سيظفروا بموسى ومن معه وتكون لهم الكبرياء في الأرض، فاصدر فرعون أمره للجنود بالدخول خلف الإسرائيليين، ولما كانوا في وسط الطريق وهم يسيرون على اليابسة التي شققها الله لموسى ومن معه، والماء عن أيمنهم وشمالهم كالجبال العظيمة، أمر الله الماء أن يطبق عليهم، وأن يتحد جزءاه على جانبي الطريق، فنفذ الماء أمر مولاه، وما هي إلا لحظات قليلة حتى كان فرعون وجنوده تحت الماء يصارعون الموت⁽²⁾، وقد أشار القرآن إلى أن فرعون كان هو السبب في إضلال قومه وإغوائهم، مما أدى في نهاية الأمر إلى هلاكهم، قال تعالى: [فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا عَشَيْتُمْ * وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ]⁽³⁾، وكان اتباع المصريين لهوى فرعون سبباً لاستحقاقهم غضب الله وعقابه، قال تعالى: [فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ]⁽⁴⁾، أي فلما أغضبونا جعلناهم عبرة لمن بعدهم يتمثلون بحالهم فلا يقدمون على مثل أفعالهم⁽⁵⁾.

المطلب الثامن: اللحظات الأخيرة في حياة فرعون

في خضمّ الأمواج المتلاطمة كان فرعون يصارع الموت في لحظاته الأخيرة، ولم يبق له في الحياة إلا القليل، تلك هي اللحظات الأصعب في حياة كل إنسان، وفي تلك اللحظة الرهيبة

(1) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، تفسير غريب القرآن، ص402، تحقيق أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، 1958، بتصرف.

(2) الخالدي، القصص القرآني، (97/3)، بتصرف، مرجع سابق.

(3) طه (78-79).

(4) الزخرف (55-56).

(5) السيوطي والمحلّي، تفسير الجلالين، ص652، مرجع سابق.

مرّ به شريط الذكريات، يوم أن كان على عرش مصر يحكمها، وأهلها عباد مسخرون تحت إمرته ورهن إشارته، وهو كما يزعم ربهم الأعلى، لكنه الآن عاجز عن إنجاء نفسه بعد أن أوردتها المهالك، فاستسلم لواقعه ومصيره، وحاول التمسك فيما ظنّه سبباً من أسباب النجاة، لكن بعد فوات الأوان، أعلن فرعون إسلامه واستسلامه، لكنه إسلام الغرغرة⁽¹⁾، والذي لا تقبل عنده توبة الإنسان تصديقاً لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم (إنّ الله عز وجل ليقبل توبة العبد ما لم يغرغر)⁽²⁾، فقد سدّت أبواب التوبة أمام أعتى عتاة الأرض، وأكثرهم تجبراً واستكباراً، فما عاد ينفعه الندم، فهو يلاقي مصيره عاجزاً وحيداً لا ناصر له ولا معين، وقد سطر القرآن اللحظات الأخيرة في حياة فرعون وهو يصارع الموت في وسط البحر في سورة يونس، فقال عز من قائل: [وَجَبَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِم بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * ءَأَلْفَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ]⁽³⁾، لقد أخطأ فرعون في التوقيت، وأعلن إسلامه واستسلامه في حالة الإكراه والاضطرار، وحين لم يبق له اختيار قط⁽⁴⁾، وجواب المنتقم صريح في عدم قبول التوبة، وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لما أغرق الله فرعون قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، فقال جبريل: يا محمد لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر وأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة)⁽⁵⁾، وكان ذلك زيادة في النكاية بفرعون، وخطأ من شأنه، فما زال على هذه الحال حتى خرجت روحه الخبيثة إلى بارئها، وأراح الله موسى والمؤمنين منه ومن أتباعه، وطويت صفحة شاقة من

(1) الغرغرة، تردد الروح في الحلق وهي كناية عن اقتراب الأجل، وهي لحظة النزاع، انظر الرازي، مختار الصحاح، مادة غرر، ص226، مرجع سابق.

(2) الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، ص418، حديث رقم (3430)، تعليق زهير الشاويش، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، والمكتب الإسلامي، بيروت، ط(1)، 1988م.
(3) يونس (90-91).

(4) الزحيلي، التفسير المنير، م6 (257/11)، بتصريف، مرجع سابق.

(5) انظر الطبري، تفسير الطبري، م7 (211/11)، مرجع سابق، والألباني، صحيح سنن الترمذي، (61/3)، أبواب تفسير القرآن، حديث رقم (2483)، تعليق زهير الشاويش، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، والمكتب الإسلامي، بيروت، ط (1)، 1988م.

صفحات حياة موسى خاصة والإسرائيليين عامة، وتنفّسوا الصعداء بعدما كتبت أنفاسهم في صدورهم عشرات السنين.

المطلب التاسع: إزهاق الرُّوح وإنجاء البدن

كتب الله على فرعون الموت غرقاً في البحر، وأخبر المولى أنه سينجي بدنه ليكون عبرةً وعظةً لمن خلفه، فقذف البحر جثته على الشاطئ وجعلها آيةً للناس يشاهدونها ويتذكرونها، [فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَفْلُونَ] ⁽¹⁾، فقد كانت آيةً على كذبه لمن صدّقه في دعواه الألوهية والربوبية من دون الله، فالإله لا يموت ولا يفنى، وها هو فرعون جثةً هامدةً لا حراك فيها، وإثباتاً لمن حوله أنه كباقي البشر، يحتاج إلى ما يحتاجون إليه من الطعام والشراب ومقومات الحياة، وهو يموت مثلهم، لا مزايا له عليهم، وكان موته دليل صدق على رسالة موسى ونبوته، فما هو ينجو بفضل هذه الرسالة الربانية، وفرعون يخسر صريعاً لأنه خالف هذه الرسالة، وقوله (نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ)، معناه ننجي بدتك، وتتجيبته ببدنه تدل على أن له أمراً آخر وراء ذلك البدن الذي فقده بالعذاب، وهو النفس التي تسمى روحاً، وهذه النفس التي يخبر الإنسان عنها بقوله "أنا" وهي التي بها تتحقق للإنسان إنسانيته وهي التي تدرك وتدبر وتعقل الأفعال، وما البدن إلا آلةٌ وأداةٌ لهذه الروح ⁽²⁾، ولم تكن جثة فرعون آيةً لأهل عصره فحسب، بل هي آيةٌ عامةٌ قائمةٌ إلى كل من أتى بعد فرعون بدليل قوله تعالى: [لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً] ⁽³⁾، وكلمة "خلفك" تشمل كل من سيأتي بعده من الأمم والأقوام، وقد سخرَّ الله لإتمام حفظ جثة فرعون بعض العلوم التي كانت معروفة عند المصريين آنذاك، والتي انفردوا بها عن غيرهم وتميزوا بها، فهي مما يُسجّل لهم في التاريخ ومن أبرزها علم "التحنيط" وهو عند قدماء المصريين عبارة عن حفظ هيكل جسم الميت بتخليصه من المواد الرخوة، وتطهير جوفه بموادٍ خاصة ⁽⁴⁾، وكان الغرض من هذه

(1) يونس (92).

(2) سعيد أيوب، الإنحرافات الكبرى للقرى الظالمة في القرآن الكريم، ص246، وما بعدها، دار الهادي، بيروت، ط(1)، 1992م، بتصرف.

(3) يونس (92).

(4) إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، (209/1)، باب الحاء، مادة حنط، مرجع سابق.

العملية هو حفظ أجسام الموتى من التحلل والفساد، والإحتفاظ بالمظهر الخارجي للشخص الميت، والإبقاء على ملامح شخصيته خلال رحلته إلى العالم الآخر⁽¹⁾، وتذكر بعض الكتب الحديثة أنه تم اكتشاف جثة فرعون الخروج أو ما يسمى جثة منبتاح بن رمسيس الثاني، وبعد فحص هذه الجثة من قبل بعض الأطباء المصريين والغربيين أكدوا في دراساتهم أن السبب المباشر لموت هذه المومياة إما الغرق وإما الرضوض العنيفة التي سبقت ابتلاع البحر لهذه الجثة وإما السببين معاً⁽²⁾، وهذا ما يستأنس به كدليل مادي في حديث القرآن عن إهلاك فرعون بالغرق مع جزمنا بأن فرعون مات غرقاً وإن لم تظهر هذه الأدلة لإخبار القرآن بذلك.

المطلب العاشر: خاتمة القصة في القرآن

بعد أن ذكر القرآن نهاية الطاغية، وإنجاء الله لبدنه حتى يكون عبرةً وعظةً لمن يأتي بعده، أبان القرآن جملة من الأسباب التي أدت إلى إهلاك الطاغية ومن تبعه، وجملة هذه الأسباب كما ذكرها القرآن تتلخص فيما يلي:

أولاً: رفض فرعون وقومه الاستجابة لدعوة موسى مع تقديمه المعجزات

قال تعالى: [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوهُ أَمْرًا فِرْعَوْنَ وَمَأْمُرًا فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ * يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ * وَأَتَّبَعُوا فِي هٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ بئسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ]⁽³⁾، أي ولقد أرسلنا موسى بالأدلة القاطعة على صدقه، وحجة قاطعة تبين لمن عاينها وتأملها بقلب صحيح صدق رسالة موسى، وكذب كل من ادعى الربوبية الألوهية من دون الله⁽⁴⁾. أقول: وهنا تظهر صفة العناد والمكابرة التي كانت سبباً من أسباب إهلاك الطاغية ومن حالفه، فمن رأى الحقيقة بأم عينيه واضحة وضوح الشمس كان لزاماً عليه أن يتمسك بهذه الحقيقة، وأن ينبذ ما سواها، ولكنهم خالفوا هذه القاعدة وتمسكوا بالباطل فوجب إهلاكهم.

(1) انظر تفاصيل التحنيط، حسين فرح زين الدين، التحنيط، ص3، دار الفكر العربي.

(2) بوكاي، موريس، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص269، دار المعارف، لبنان، ط4، 1977م

(3) هود (96 - 99).

(4) الطبري، تفسير الطبري، م7 (142/12)، مرجع سابق.

ثانياً: الإستكبار بغير حق

قال تعالى في شأن فرعون وأتباعه [وَأَسْتَكْبَرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ
إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الظَّالِمِينَ]⁽¹⁾، وأصل الإستكبار طلب الكبر من غير استحقاق، لا بمعنى طلب تحصيله في
اعتقادهم، بل بمعنى أن يعدّ الإنسان نفسه كبيراً متفضلاً على غيره⁽²⁾، أي يحسب الإنسان نفسه
خيراً من الآخرين وأفضل منهم فيظلم الناس، ويغتصب حقوقهم لمجرد أنه أوتي قدراً من القوة.
أقول: لقد استكبر فرعون وتمادى في استكباره حتى عدّ كل شيء غيره حقيراً تافهاً،
واعتقد أن كل شيء مسخرٌ له وتحت خدمته، واستكبر عن اتباع الحق، لأن الحق لا يعطيه هذه
الصلاحية المطلقة لاستحقاق الآخرين، وعندما أبى أن يقلع عن استكباره كتب الله عليه وعلى
أتباعه الهلاك.

ثالثاً: إغضاب الله تعالى

قال تعالى معقّباً على إهلاك فرعون وقومه: [فَلَمَّا آسَفُونَا انتقمنا منهم فأغرقناهم
أجمعين * فجعلناهم سلفاً ومثالاً للآخرين]⁽³⁾، أي وكما أغضبوا الله بالإفراط والعناد
والمعصية، كانت سنة الله التي مضت، فهو يمهل ولا يهمل، فجعلهم الله عبرة لمن بعدهم من
الكفار، وجعلهم عظةً وقصةً عجيبةً تسير مسير الأمثال في الأجيال المتقدمة⁽⁴⁾.

(1) القصص (39-40).

(2) الألوسي، روح المعاني، (10/82)، بتصرف، مرجع سابق.

(3) الزخرف (55 - 56).

(4) البيضاوي، تفسير البيضاوي، م 2 (62/5)، بتصرف، مرجع سابق.

المبحث الثاني: الخروج في التوراة

المطلب الأول: مدّة إقامة الإسرائيليين في مصر

تذكر التوراة أنّ المدّة التي أقامها بنو إسرائيل في أرض مصر من لدن يوسف عليه السلام حتى خروجهم منها كانت بحسب سفر التكوين 400 عام⁽¹⁾، وبحسب سفر الخروج 430 عام⁽²⁾، وهذه المعلومات لا نستطيع أن نجزم بدقتها في تحديد مدّة إقامتهم في مصر، كون التوراة هي المصدر الوحيد لهذه المعلومات، والتوراة نفسها تحمل تناقضات واسعة في هذا المجال، ففي حين يذكر سفر التكوين أنّ المدّة 400 عام يذكر سفر الخروج أنها كانت 430 عام وعلى فرض صحة أحد هذه التواريخ فإنها تتناقض تناقضا شديدا مع تواريخ أخرى تفهم من نصوص التوراة⁽³⁾.

المطلب الثاني: عدد بني إسرائيل أثناء الخروج

تذكر التوراة أن عدد الإسرائيليين من الرجال فقط والصالحين للقتال منهم كانوا مع موسى في الخروج نحو ستمائة ألف رجل⁽⁴⁾، وهذا غير الأولاد والنساء وكبار السن والحواشي التي سمح لهم فرعون بإخراجهم معهم بعد أن سلط الله على المصريين ألوان العذاب لامتناعهم عن إطلاق الإسرائيليين من عبوديتهم.

المطلب الثالث: طريق الخروج حسب رواية التوراة

تذكر التوراة أن طريق الخروج كان من مدينة رعمسيس إلى سكوت⁽⁵⁾، حيث خرج الإسرائيليون مع مواشيهم، وأخذوا معهم العجين الذي لم يختمر بعد بسبب سرعة خروجهم من مصر كونهم طردوا طرداً من قبل المصريين، وقد كانت وجهة الإسرائيليين المفترضة إلى أرض كنعان، تلك الأرض التي أعطاهم الله إياها بحسب ميثاقه مع إبراهيم عليه السلام، ولكن

(1) التكوين (13/15).

(2) الخروج (40 / 12).

(3) انظر تفاصيل ذلك التناقض، موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص 192، مرجع سابق.

(4) الخروج (37/12).

(5) الخروج (37/12).

التوراة تقول: إنَّ الله لم يهد الإسرائيليين إلى أرض كنعان وذلك لأنه يعلم أن أرض فلسطين سكنها أقوام أشدَّاء معروفين بقوتهم، فخاف الرب على الإسرائيليين وخشي أن يندموا على خروجهم من أرض مصر ويعودوا إليها بسبب جبنهم وخوفهم، تقول التوراة: (وكان لَمَّا أُطْلِق فرعون الشعب أنَّ الله لم يهدهم في طريق أرض الفلسطينيين مع أنها قريبة لأنَّ الله قال لئلا يندم الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعوا إلى مصر)⁽¹⁾، فغيَّر الله مسار طريقهم إلى بريَّة بحر سوف، وهناك كما تقول التوراة أخذ موسى عظام يوسف عليه السلام بعدما استخرجها من المكان الذي دفنت فيه وذلك تنفيذاً لوصية يوسف نفسه، تقول التوراة: (وأخذ موسى عظام يوسف معه لأنَّه كان قد أستحلف بني إسرائيل بحلف قائلاً: إنَّ الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا معكم)⁽²⁾، وارتحل الإسرائيليون من "سكوت"⁽³⁾، إلى إيثام⁽⁴⁾، وكان الرب يسير أمامهم ليهديهم إلى الطريق، حيث كان يتمثل لهم في النهار في عمود سحاب وليلاً في عمود من نار ليضيء لهم الطريق⁽⁵⁾، وكان عمود النار والسحاب نوعاً من ظهور الإله في صورة منظورة مشاهدة، وبهذه الصورة أضاء الله لهم الطريق وحماهم من أعدائهم، وأعطاهم اليقين بالنصر، بالإضافة إلى أنه هيمن على تحركاتهم⁽⁶⁾.

خطة الرب لإخراج المصريين خلف الإسرائيليين

بعدما استقر المقام بموسى ومن معه في إيثام طلب الرب من موسى وقومه أن يرجعوا إلى مكان قريب نسبياً من المصريين وذلك حتى يغروهم باللحاق بهم (وقال الرب لموسى قل

(1) الخروج (17/13).

(2) الخروج (19/13).

(3) هو أول مكان نزل فيه الإسرائيليون بعد خروجهم من مصر وكان على بعد يوم من مدينة رمسيس والمكان الآن لا يعرف تحديداً، ويرجح البعض أنه يسمى اليوم "بتل المسخوطة"، أنظر بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص472، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، ط (2)، 1971م.

(4) مكان شرقي سكوت، ويعتقد بعض العلماء أنه بالقرب من مدينة الإسماعيلية الحالية، المرجع السابق، ص104.

(5) الخروج (20/13 - 21).

(6) ماستر فيديا، التفسير التطبيقي، ص159، مرجع سابق.

لبنى إسرائيل أن ينزلوا أمام فم الحيروث⁽¹⁾ بين مجدل والبحر أمام جبل صفون⁽²⁾، مقابله تنزلون عند البحر فيقول فرعون عن بني إسرائيل هم مرتبكون في الأرض قد استغلق عليهم الفقر، واشدد على قلب فرعون حتى يسعى وراءهم⁽³⁾، وكانت هذه الخطة حسب نص التوراة تقضي أن يتجمع الإسرائيليون في مكان يستطيع من خلاله عيون فرعون الراصدة أن تتقصّى أخبار الإسرائيليين بسهولة ويُسرّ، حتى يظنوا أن الإسرائيليين عادوا لأنهم اصبحوا ضعفاء بعدما خرجوا من أرض مصر وأنّ الفقر قد استغلق عليهم، وعندها يصبح الوقت مناسباً في ظنّ فرعون وقومه للإنقراض على الإسرائيليين للقضاء عليهم أو إرجاعهم لتسخيرهم في خدمتهم واستعبادهم والحط من شأنهم، وخاصة أن فرعون قد أُخبر أن الإسرائيليين خرجوا من مصر لا ليعبدوا الرب وإنما هروباً من خدمته، فندم على إطلاقهم وقرّر إرجاعهم، وبالفعل كما أراد الرب خرج المصريون بقيادة فرعون يطلبون موسى ومن معه وقد خرجوا في ستمائة مركبة من خيرة مركباتهم، وجيش جرار من الفرسان المقاتلين الأشداء، وأدركوا الإسرائيليين عند المنطقة التي أمر الله الإسرائيليين بالتجمع فيها، تقول التوراة في وصف ذلك (وشدّد الرب قلب فرعون ملك مصر حتى يسعى وراء بني إسرائيل، وبنو إسرائيل خارجين بيدٍ رفيعة، فسعى المصريون وراءهم وادركوهم جميع خيل مركبات فرعون وفرساته وهم نازلون عند البحر عند فم الحيروث أمام جبل صفون)⁽⁴⁾.

المطلب الرابع: أصحاب النفوس المريضة

عندما اقترب فرعون وجنوده من الإسرائيليين، فزع الإسرائيليون فزعاً شديداً، وبلغت قلوبهم الحناجر وظنوا بالله الظنوناً، واتهموا موسى أنه أخرجهم إلى هذا المكان حتى تتم إبادتهم من قبل

(1) فم الحيروث: محلّة للعبرانيين عن حدود مصر واقعة بين مجدل وجبل صفون، موقعها الآن غير معروف بالتمام ويرجّح البعض أنه في مستنقعات (حنفه) على حافة الممر بين الجبل والبحيرات المرّة. انظر بطرس عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، ص198، مرجع سابق.

(2) جبل صفون أو جبل صفوان كلمة كنعانية تعني جبل الشمال أو جبل برج المراقبة، أو برج مجدل الذي كان قريباً منها، وهو مكان قرب خليج السويس على الشاطئ الغربي، المرجع السابق، ص183.

(3) الخروج (14) / (4-1).

(4) الخروج (14) / (4-1).

فرعون وجنوده، وهنا ظهر ضعف الإيمان في قلوبهم، فانه أراهم معجزاته عياناً وألحق الضربات بأعدائهم وساقهم بهدايته إلى هذا المكان، وبمجرد أن رأوا فرعون وجنوده نسوا ذلك كله، وأيقنوا الهلاك، ولم ينتبهوا إلى ميثاق الله لهم الذي تزعم التوراة أن الله قطعه على نفسه تجاههم، وبمقتضاه سيورثهم أرض كنعان، ولم ينتبهوا كذلك إلى وعود موسى وتطميناته، بل على العكس تبجحوا عليه قائلين: (هل لأنه ليس قبوراً في مصر أخذتنا لنموت في البرية؟ ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر؟ أليس هذا الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين: كف عنا فنخدم المصريين لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية)⁽¹⁾، حقاً إنه الذل الذي استمرؤوه، والسخره والمهانة التي اعتادوا عليها، فهم يفضلون البقاء تحت الذل والمهانة على أن يموتوا عزيزي الأنفس مرفوعي الرؤوس دفاعاً عن دينهم وحريرتهم، فوقف موسى في عزة المؤمن الواصل بنصر الله، الذي لم يشك لحظة واحدة أن الله سيتخلى عنه وعن أتباعه، وأنه ناصرهم وخاذل أعدائهم، وقف بهم خطيباً وطمأنهم بأن الله لن يتخلى عنهم، وطلب منهم الصمت لأن الله سيقايل معهم ويهزم عدوهم، (فقال موسى للشعب لا تخافوا قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم، فإنه كما رأيتم المصريين اليوم لا تعودوا ترونهم أيضاً إلى الأبد، الرب يقايل عنكم وانتم تصمتون)⁽²⁾، ولكي يوقف الرب تقدم المصريين تجاه الإسرائيليين، ويفصل بينهم، إنتقل الرب الذي كان يتشكل في عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً للوقوف بين الفريقين، وعندها توقف تقدم المصريين، تقول التوراة: (وانتقل ملاك الله الذي كان يتقدم عسكر إسرائيل إلى المؤخرة وخلفهم، وكذلك انتقل عمود السحابة من أمامهم ووقف وراءهم فدخل بين عسكر المصريين وعسكر الإسرائيليين، وصار عمود الظلام قائماً على المصريين وضياءً على بني إسرائيل فلم يقترب أحدهما من الآخر طوال الليل)⁽³⁾، وعندها طلب الرب من موسى أن يأمر بني إسرائيل بالرحيل "أي أن يتقدموا أماماً نحو البحر"، وطلب منه أن يرفع عصاه، وأن يمدّ يده على البحر، وبذلك ينشق البحر، ويصبح الماء على جانبيه كالسور العظيم وفي وسطه تصبح الأرض يبساً لكي يعبرها الإسرائيليون إلى الجانب الآخر، وتقول

(1) الخروج (14/11-12).

(2) الخروج (14/14).

(3) الخروج (14/19-20).

التوراة في وصف ذلك الحدث: (ومدَّ موسى يده على البحر فأجرى الرب البحر بريح شرقية، شديدة كل الليل، وجعل البحر يابسةً، وانشق الماء فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سورٌ لهم عن يمينهم وعن يسارهم)⁽¹⁾، وقد أخبر الربُّ موسى أنه سيشدُّ على قلب فرعون ويملؤه غيظاً حتى يدخل البحر خلف الإسرائيليين، بالإضافة إلى أن الرب سيتولى إعطاب مركبات المصريين التي تحملهم حتى يضطروا إلى أن يجروها بأنفسهم مما يزيد في تعبهم، ويهز نفوسهم، فتلحق بهم الهزيمة النفسية قبل الهزيمة المادية، (وكان في هزيع الصباح أن الرب أشرف على عسكر المصريين في عمود النار والسحاب وأزعج عسكر المصريين وخلق بكر مركباتهم حتى ساقوها بثقله فقال المصريون: نهرب من إسرائيل لأن الرب يقاتل المصريين عنهم)⁽²⁾.

ورغم ما شاهد فرعون وجنوده من الآيات وآخرها آية انشقاق البحر لموسى ومن معه، إلا أن نفوسهم ملئت كبراً وحقداً، فلحقوا بالإسرائيليين وسط البحر دون أيِّ وقفةٍ مع النفس يتفكروا من خلالها في القوة التي شقت البحر للإسرائيليين، وكأنها النظرة السابقة!! فهل خُيِّل لهم ذلك أنه من سحر موسى؟؟ كما كانوا في السابق قد اتهموه به بعد أن صنع أمامهم معجزتي العصا واليد البيضاء، وعندما وصل المصريون إلى وسط البحر أمر الله موسى " كما تقول التوراة" أن يمدَّ يده على البحر مرّة ثانية، وكان ذلك أوّل وقت الصباح فعاد البحر إلى طبيعته فغرق المصريون جميعاً مع مركباتهم، والإسرائيليون ينظرون إليهم صرعى، حيث ألقى بهم البحر على الشاطئ، وتصف التوراة ذلك المشهد الرهيب فتقول: (فقال الرب لموسى: مدَّ يدك على البحر فيرجع البحر عند إقبال الصباح إلى حاله الدائمة والمصريون هاربون إلى لقائه، فدفع الرب المصريين في وسط البحر، فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع الجيش الذي دخل وراءهم في البحر، فلم يبق منهم ولا واحد، وأما بنو إسرائيل فمشوا على اليابسة في وسط البحر والماء سورٌ لهم عن يمينهم وعن يسارهم، فخلَّص الرب في ذلك اليوم الإسرائيليّين من يد المصريين، ونظر الإسرائيليون المصريّين أمواتاً على شاطئ البحر، ورأى

(1) الخروج (14) / (21-22).

(2) الخروج (14) / (24-25).

إسرائيل الفعل العظيم الذي صنعه الربُّ بالمصريين، فخاف الشعب الرب، وآمنوا بالرب وبعبدته موسى⁽¹⁾، ومع نهاية هذا المشهد انتهت علاقة موسى بالطاغية فرعون كما وردت في نصوص التوراة بغرق فرعون وجنوده، ونجاة موسى ومن تبعه، وعندها أخذ موسى وأتباعه يسبِّحون الرب لوقوفه معهم ونصرهم على أعدائهم بترانيم توردها التوراة، (أُرْنَم الرب فَإِنَّه قَدْ تَعْظَمَ، الفرس وراكبها طرحها في البحر، الرب قولي ونشيدي، وقد صار خلاصي.....)⁽²⁾.

(1) الخروج (14) / (26-31).

(2) الخروج (15) / (1-18).

المبحث الثالث: الخروج بين القرآن والتوراة

في هذا المبحث أقدم عرضاً لأوجه الاتفاق والاختلاف بين القرآن والتوراة في حديثهما عن خروج بني إسرائيل من مصر، وأتباع فرعون وجنده لهم، وهلاك فرعون ومن معه غرقاً في البحر، وسأبداً أولاً بعرض أوجه الاتفاق ثم أتت بأوجه الاختلاف التي وقعت بين الكتابين في إيرادهما لأحداث الخروج.

المطلب الأول: أوجه الاتفاق بين القرآن والتوراة في حديثهما عن الخروج

الخروج من المطالب الرئيسية في دعوة موسى

عندما ذكر القرآن مشاهد اللقاء الأول بين موسى وفرعون ذكر مطالب موسى من فرعون، ومن هذه المطالب إخراج بني إسرائيل من عبديته، وإطلاقهم من أرض مصر، وقد ورد هذا الطلب في أكثر من موضع في القرآن الكريم، قال تعالى: [قَدْ جِئْتَكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ]⁽¹⁾، وقال أيضاً: [فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ]⁽²⁾، وقد نصت التوراة صراحة على هذا المطلب في كثير من المواضيع ومنها قال الرب لموسى: (أدخل إلى فرعون وقل له هكذا يقول الرب أطلق شعبي ليعبدوني)⁽³⁾.

عدم تحديد زمن الخروج

سكت القرآن الكريم في حديثه عن زمن الخروج، بالإضافة إلى سكوته عن تاريخ تلك الحقبة من الزمان بشكل كامل، فلم يشر إلى أي شيء يوحى إلى تحديد زمن تلك الفترة، وهو ما يتمشى مع هدف القرآن من إيراد القصة، وهو أخذ العبرة والعظة دون الالتفات إلى السرد التاريخي الذي يخلو من ذلك الهدف المرجو، وكذلك لم تشر التوراة إلى ما يحدّد زمن الخروج، وإن

(1) الأعراف (105).

(2) طه (47).

(3) الخروج (1 / 8).

اهتمت التوراة بذكر بعض الجوانب التاريخية لإقامة بني إسرائيل في أرض مصر دون تحديد زمن ذلك الخروج بدقة⁽¹⁾.

المطاردة أثناء الخروج

ذكر القرآن التعبئة العامة التي قام بها فرعون لمطاردة موسى وأتباعه أثناء الخروج، فقال عزَّ من قائل: [فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَاتُؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ... فَأَتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ]⁽²⁾، وقوله أيضاً: [فَأَتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ]⁽³⁾، أي فتبعهم وجنوده حتى لحقوهم، ونزلوا في الطريق الذي سلكوه⁽⁴⁾، والتوراة تشير كذلك إلى هذه المطاردة: (فلما أخبر ملك أن الشعب قد هرب تغيَّر قلب فرعون وعبيده على الشعب، فقالوا ماذا فعلنا حتى أطلقنا إسرائيل من خدمتنا؟؟، فشدَّ مركبته وأخذ قومه معه.... وشدَّ الرب قلب فرعون ملك مصر حتى سعى وراء بني إسرائيل)⁽⁵⁾.

نفسية بني إسرائيل المهزومة

فرَّ الإسرائيليون من وجه فرعون، وانطلقوا إلى خارج مصر حتى وصلوا ساحل البحر، فلحق بهم فرعون، فأصبح البحر من أمامهم وفرعون عدوهم الأوَّل من خلفهم، وحين ذكر القرآن هذا المشهد أبان النفسية المريضة التي تكمن في صدور الإسرائيليين والتي تملكتهم وسيطرت على كل تصرفاتهم، فنسي الإسرائيليون أن الله الذي أجرى لهم المعجزات تباعاً في أرض مصر هو الذي أخرجهم بأمره، وأنهم تحت رعايته، وتجاهلوا وجود موسى بينهم، وهو نبي الله وكليمه، أصبحت كل هذه الحقائق في منأى عن عيونهم وسيطر عليهم الرعب والخوف من الموت إما غرقاً في البحر أو على يد عدوهم فرعون، فقالوا لموسى: [إِنَّا لَمُدْرِكُونَ]⁽⁶⁾،

(1) التكوين (13 / 15)، والخروج (40 / 12).

(2) الشعراء (53 - 60).

(3) طه (78).

(4) القاسمي، محاسن التأويل، م 6 (ج 11/ ص 18)، مرجع سابق.

(5) الخروج (14 / 5-8).

(6) الشعراء (61).

وتظهر التوراة كذلك فزع الإسرائيليين عندما شاهدوا المصريين خلفهم قد لحقوا بهم، وأيقنوا الهلاك على أيديهم، وعندها اتهموا موسى بأنه أخرجهم ليهلكهم، وتمنوا أنهم قد خالفوه ولم ينزلوا عند أمره بالخروج من أرض مصر، وما هذا إلا لضعف إيمانهم وخوران عزائمهم، تقول التوراة: (فلما اقترب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم وإذا المصريون راحلون ورائهم، ففرعوا جداً وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب وقالوا لموسى هل لأنه ليس قبوراً في أرض مصر أخذتنا لنموت في البرية ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر؟؟ أليس هذا الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين كُفْ عَنَّا فنخدم المصريين لأنه خيرٌ لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية)⁽¹⁾.

موسى صاحب النفس المطمئنة الواثقة بالله

عندما تقابل الفريقان وجهاً لوجه عند ساحل البحر، وظهرت النفسية المحطمة للإسرائيليين، كان موسى في حالة مستقرّة فمعية الله التي يستشعر بها سكبت في قلبه الأمن والأمان، وقد سطر الكتابان لموسى هذه الوقفة النبيلة فذكر القرآن قوله: [إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ]⁽²⁾، وفي التوراة يظهر موسى ثابتاً مطمئناً لنصر الله (فقال موسى للشعب: لا تخافوا قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم، فإنه كما رأيتم المصريين اليوم لا تعودون ترونهم أيضاً إلى الأبد، الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون)⁽³⁾.

آية انشقاق البحر

يذكر الكتابان أن الله شق لموسى البحر عندما حوصر مع أتباعه عند الساحل، فانشق البحر وأصبح يابسة، وصار الماء على الجانبين كالجبليين العظيمين، فعبّر الإسرائيليون وتبعهم المصريون، فخرج الإسرائيليون من الجانب الآخر، بينما أعاد الله البحر إلى حالته الطبيعية فغرق المصريون جميعاً، قال تعالى: [فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ

(1) الخروج (14) / (10-12).

(2) الشعراء (62).

(3) الخروج (14) / (13-14).

فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ
أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ⁽¹⁾، والتوراة أشارت إلى هذا المشهد (فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على
اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم...
فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر فلم يبق
منهم ولا واحد، وأما بنو إسرائيل فمشوا على اليابسة في وسط البحر، والماء سور لهم عن
يمينهم وعن يسارهم)⁽²⁾.

هلاك فرعون بالغرق

يشير الكتابان إلى أن هلاك فرعون كان غرقاً في ماء البحر بعدما أنجى الله موسى ومن
معه بعدما شق الله لهم البحر، فعبروا إلى الطرف الآخر، فتبعهم فرعون وجنوده، فأطبق الله
عليهم جانبي الماء فماتوا جميعاً وقد نص القرآن على ذلك صراحةً في قوله [فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِزَهُمْ
مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا]⁽³⁾، وهذه الآية تأتي في سياق حديث القرآن عن إرسال
موسى إلى فرعون وملئه وتكذيبهم له فكان جزاؤهم الغرق في البحر جميعاً، وتشير التوراة إلى
هلاك فرعون غرقاً في البحر حيث تقول: (فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش
فرعون الذي دخل وراءهم في البحر فلم يبق منهم ولا واحد)⁽⁴⁾، وهذا النص واضح الدلالة أن
الجيش المصري أغرق جميعاً في البحر، ومن ضمنهم فرعون حيث لم يستثن من ذلك الغرق
أحد⁽⁵⁾.

(1) الشعراء (63 - 66).

(2) الخروج (14 / 22-29).

(3) الإسراء (103).

(4) الخروج (14 / 28).

(5) انظر بوكاي، دراسة الكتب المقدسة، ص250، مرجع سابق.

المطلب الثاني: أوجه الاختلاف بين القرآن والتوراة في حديثهما عن الخروج

أعداد بني إسرائيل أثناء الخروج

تشيرُ التوراة إلى أن عدد الإسرائيليين الذين خرجوا مع موسى من أرض مصر كانوا نحو ستمائة ألف رجل عدا الأطفال والنساء، وفي إحصائية أخرى تشير التوراة إلى أن عدد الذين خرجوا مع موسى وكانت أعمارهم تتجاوز العشرين عاماً كانوا ستمائة ألف وخمسمائة وخمسون رجلاً⁽¹⁾، بينما لا يذكر القرآن شيئاً عن أعداد بني إسرائيل أثناء الخروج من أرض مصر.

خط مسير الخروج

لا يعطي القرآن أيّ إشارة عن خط مسير الإسرائيليين أثناء الخروج على حين تشير التوراة إلى خط مسير الإسرائيليين أثناء الخروج بشيء من التفصيل⁽²⁾، وقد اكتفى القرآن بالإشارة إلى أن موسى وصل بالإسرائيليين إلى ساحل البحر دون تحديد ذلك المكان بدقة، والبعض يذكر أن ذلك البحر هو بحر القلزم⁽³⁾، والبعض يذكر أن ذلك المكان هو عن التقاء خليج السويس بمنطقة البحيرات⁽⁴⁾، بينما تذكر التوراة أسماء المناطق التي سلكها الإسرائيليون أثناء الخروج بدقة، وحسب التوراة فقد خرج المصريون من رعسيس إلى سكوت وكانت وجهتهم إلى أرض كنعان، ولكنّ الربّ غير مسار طريقهم إلى (برية سوف)، ثم ارتحلوا إلى إيثام ثم رجع الإسرائيليون بطلب من الربّ إلى منطقة فم الحبروث بين مجدل والبحر أمام جبل صفون⁽⁵⁾.

(1) العدد (1/ 45 - 47).

(2) بوكاي، دراسة الكتب المقدسة، ص257، مرجع سابق.

(3) الحموي، معجم البلدان، (1/103)، مرجع سابق.

(4) قطب، الظلال، (6/211)، مرجع سابق.

(5) انظر الخروج، (12/37) و (12/381 - 39) و (13/20 - 21) و (14/1 - 2).

في القرآن الخروج كان بوحى من الله

أشار القرآن في حديثه عن خروج بني إسرائيل أن ذلك الخروج كان بوحى من الله لموسى، فقد أمر الله موسى بالخروج من أرض مصر ليلاً بسريرة تامّة، قال تعالى: [فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ⁽¹⁾]، وقد كان هذا الخروج على غير علم من فرعون وأتباعه، وإنما تم بسريرة تامّة، بينما تذكر التوراة أن خروج بني إسرائيل كان على علم من فرعون وقومه، بل إن التوراة تذكر أن فرعون طرد الإسرائيليين طرداً من أرض مصر، بعد ما حلّ العذاب بالمصريين بسبب عدم إطلاقهم الإسرائيليين، تقول التوراة: (فدعا "أي فرعون" موسى وهارون ليلاً وقال قوموا اخرجوا من بين شعبي أنتما وبنو إسرائيل جميعاً، واذهبوا واعبدوا الرب كما تكلمتم، خذوا غنمكم أيضاً وبقركم كما تكلمتم واذهبوا وباركوني أيضاً، وألحّ المصريون على الشعب ليطلقوهم عاجلاً من الأرض لأنهم قالوا جميعنا أموات)⁽²⁾، وبعد ذلك ندم فرعون على إطلاق الإسرائيليين وعزم على إرجاعهم لتسخيرهم في خدمته⁽³⁾.

الرب في صورة مشاهدة أثناء الخروج

تقول التوراة إن الرب سار مع بني إسرائيل أثناء الخروج في النهار في عمود من سحب يهديهم الطريق، وليلاً في عمود من نار يضيء لهم الطريق، وهو ما يوضح فكرة التجسيد التي يقول بها اليهود، فالإله عندهم محسوسٌ مشاهد، فهم يشاهدونه على هيئة عمود من نار في الليل وعمود من سحب في النهار⁽⁴⁾، قد جاء في سفر الخروج ما نصّه (وكان الرب يسير أمامهم في عمود سحب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود من نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهاراً وليلاً، ولم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً أمام الشعب)⁽⁵⁾، ولم تكن هذه أوّل مرّة تجسد فيها نصوص التوراة الرب، وها هو الرب ينزل على الأرض ويمشي ليقبّل

(1) الدخان (23).

(2) الخروج (13 / 31 - 33).

(3) الخروج (14 / 15).

(4) ليلي حسن سعد الدين، مثل الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً، ص154، دار الفكر، عمان، ط(1)، 1984م، بتصرف، وسعد الدين، العقيدة اليهودية، ص313، مرجع سابق.

(5) الخروج (13 / 20-22).

الآخرين، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً⁽¹⁾، والقرآن بعيد عن ذلك كل البعد عن هذه الترهات، فقد أثبت الله لذاته فيه صفات الجلال والكمال، ونفى عن نفسه التشبيه والرؤية في الدنيا، قال تعالى: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ^ط وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ]⁽²⁾، وقال أيضاً: [لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ^ط وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ]⁽³⁾، وفي هذا المقام يتضح لنا فرق جوهرى بين نظرة اليهود للاله والتي تبيّنّها التوراة والنظرة الأخرى التي جاء بها القرآن الكريم.

في التوراة... ضرب موسى البحر بيده

أشار القرآن إلى أن الله جلّ في علاه أمر موسى أن يضرب البحر بعصاه، فانشق البحر بأمر الله إلى قسمين، وأصبح بين القسمين طريق يبس ليعبره الإسرائيليون [فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ^ط فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ]⁽⁴⁾، وهذه الآية واضحة الدلالة أن الضرب كان بالعصا، بينما تذكر التوراة أن موسى ضرب البحر بيده ولم تشر إلى العصا، (فمدّ موسى يده على البحر فأجرى الرب...)⁽⁵⁾، وفي موضع آخر (قال الرب لموسى مدّ يديك على البحر ليرجع الماء على المصريين)⁽⁶⁾.

الاختلاف في عدد ضربات موسى للبحر

أشار القرآن إلى أن موسى ضرب البحر ضربة واحدة وذلك عندما تواجه الفريقان معاً وجه لوجه عند ساحل البحر، وبعدها عبر الإسرائيليون إلى الجانب الآخر أمر الله موسى أن يترك البحر على حاله دون أن يضربه مرةً أخرى وذلك في قوله تعالى: [وَأَتْرَكَ ^ط الْبَحْرَ رَهْوًا ^ط إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ]⁽¹⁾، أي أترك البحر يا موسى ساكناً على حاله⁽²⁾، وذلك أن موسى لو ضرب

(1) الخولي اليهود من كتابهم، ص 10 وما بعدها، مرجع سابق.

(2) الشورى (11).

(3) الأنعام (103).

(4) الشعراء (63).

(5) الخروج (21/14).

(6) الخروج (26/14).

(1) الدخان (24).

(2) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، ص 402، مرجع سابق.

البحر فعاد إلى حاله الأصليّة بأمر الله لبقى فرعون وجنده على قيد الحياة، ولكنّ الله بأمره هذا لموسى استدرجهم حتى دخلوا في البحر فأطبقه عليهم، فغرقوا جميعاً وتشير التوراة إلى ما يخالف ذلك، فقد جاء في نصوصها أن موسى ضرب بيده البحر مرّة ثانيةً عندما دخل فرعون وجنوده البحر ليلحقوا بهم (فقال الرب لموسى مدّ يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين على مركباتهم وفرسانهم* فمدّ موسى يده على البحر فرجع البحر عند إقبال الصبح... ولم يبق منهم ولا واحد)⁽¹⁾.

التوراة تورد تفاصيل عن جيش فرعون لم ترد في القرآن

عندما أشار القرآن إلى مطاردة فرعون وأتباعه لموسى ومن معه أشار إلى ذلك بصورة مجمّلة فقال: [فَأَتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ]⁽²⁾، ولم يدخل القرآن في الحديث عن تفاصيل ذلك الجيش الذي جهّزه فرعون ليطارد به موسى وأتباعه، بينما تذكر التوراة بعضاً من تلك المميزات والتجهيزات التي كان يتمتع بها جيش فرعون فقد كان الجيش يحتوي على ستمائة مركبة منتخبة أي من أفضل أنواع المركبات بالإضافة إلى كل المركبات الأخرى، وهذا يعني أنّ الجيش المصري استخدم عربات تجرها الخيول أو ما يقوم مقامها، وذلك لتحمل عدد أكبر من الجنود مما يوحى بضخامة الجيش المصري الذي طارد موسى، تقول التوراة في وصف ذلك الجيش: (فشدّ مركبته "أي فرعون" وأخذ قومه معه وأخذ ستمائة مركبة ضخمة وسائر مركبات مصر وجنوداً مركبيه على جميعها...)⁽³⁾.

(1) الخروج (14/ 26-29).

(2) طه (78).

(3) الخروج (14/ 5-7).

التوراة لم تذكر شيئاً عن اللحظات الأخيرة في حياة فرعون

ذكر القرآن الكريم موجزاً عن اللحظات الأخيرة من حياة فرعون عندما شارفت روحه على الخروج، وذكر ما كان فيه من الاستسلام وإعلان الإيمان في اللحظة التي لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، ولا نجد ذكراً لهذه اللحظات الخيرة من حياة الطاغية في نصوص التوراة، فقد كان آخر شيء ذكرته التوراة عن حياة فرعون أنه دخل بالجملة مع قومه في البحر ليلحقوا بموسى ومن معه فأعاد الله البحر إلى طبيعته فمات فرعون وكل من معه غرقا وكان ذلك آخر شيء ذكرته التوراة عنه.

الحديث عن جثة فرعون

لا توجد أي إشارة لجثة فرعون في التوراة، بينما أشار القرآن إلى أن الله كتب على فرعون الغرق ومن ثم إنجاء بدنه ليكون عبرة لمن يأتي بعده من البشر قال تعالى: [فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ]⁽¹⁾، وفي هذه الآية إشارة إلى أن جثة فرعون خرجت من البحر ومن ثم رآها الناس قطعاً ليتحقق الغرض من إنجاء البدن كما ذكرت الآية السابقة وهو أن يكون بدنه آية لمن خلفه، ولا نجد في نصوص التوراة أي إشارة إلى جثة فرعون بالخصوصية والظاهر من نصوص التوراة أن فرعون هلك مع قومه دون أي ذكر لمصير جثته بعد الغرق، (فخلص الرب في ذلك اليوم إسرائيل من يد المصريين ونظر إسرائيل المصريين أمواتاً على الشاطئ)⁽²⁾.

وبهذا انتهت الفوارق بين القرآن والتوراة في إيرادهما لأحداث الخروج من أرض مصر وهلاك فرعون وجنده.

(1) يونس (92).

(2) الخروج (30/14).

الخاتمة وأهم النتائج:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فقد وفَّقني الله جلَّ في علاه أن أنهى الكتابة في قصة موسى عليه السلام مع فرعون في كل من القرآن والتوراة وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين الكتابين في إيرادهما لهذه القصة، وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى النتائج الآتية:

1. التوراة التي بين أيدينا محرفة لفظاً ومعنى لما فيها من تناقضات وتفاهات في حق الله والرسول الكرام مما لا يقبله العقل السليم.
2. اليهود قد انحرفوا في الذات الإلهية انحرافاً شديداً فوصفوه بأوصاف البشر الناقصة فهو محتاج لغيره من البشر ويعتريه التعب إلى غيرها من النقائص.
3. اليهود تناولوا على الرسول الكرام وخصوصاً كليم الله موسى عليه السلام، فوصفوه بأوصاف مختلقة لا تليق بمكانة نبي مرسل.
4. الوحدة الموضوعية للقصص القرآني وحدثها العضوية المتمثلة بترابط الأحداث وتسلسل الوقائع.
5. هناك بعض التوافق بين القرآن والتوراة في الحديث عن قصة موسى مع فرعون ولكن جانب الاختلافات أوسع وأكبر.
6. يهتم القرآن بإيراد الأحداث التي فيها مواطن العبرة والعظة ولا يهتم بالتفاصيل التي تخرج عن هذا الغرض، بينما تركز التوراة على إيراد تفاصيل الأحداث والسرد التاريخي وإن خرجت عن مواطن العبرة.
7. اليهود فاسدون ومفسدون في الأرض وهذا يظهر من خلال تحريفهم للتوراة وحشوها بالكاذب والتجروء على الله وأنبيائه الكرام.

8. إدعاء اليهود بأنهم شعب الله المختار وأنهم أفضل خلقه، هو ادعاء كاذب يدحض من خلال نصوص القرآن والتوراة نفسها.

9. لقد شاهد فرعون المعجزات بأمر عينيه مما جعله على يقين أن موسى رسول من رب العالمين ولكن عقدة الكبر والعناد التي تمكنت من نفسه دفعته إلى رفض الإيمان.

10. إن من أسباب استجابة الدعاء إغاثة الملهوف كما حصل مع سيدنا موسى عليه السلام عندما ساعد الإسرائيلي والفتاتين عند بئر مدين.

11. الجبن من الصفات الملازمة لليهود وهذه الصفة لا تتفك عنهم إلى قيام الساعة.

12. نكت اليهود من أبرز صفات الطغاة المتكبرين ويظهر هذا واضحاً من شخصية فرعون وبني إسرائيل.

13. تبين للباحث أن كثيراً من الروايات والأقاصيص المنقولة من التوراة والتي تتحدث عن قصة موسى مع فرعون ليس لها علاقة بالعلم الصحيح وإنما هي بعض من الأساطير والوهم والخرافة.

14. الأمة التي تغض الطرف عن تصرفات طغاتها ولا تحاسبهم تلاقى نفس مصيرهم وهو الهلاك والعذاب.

وختاماً: لا أزعم أنني وفيت هذا الموضوع حقه ولكن حسبي أنني قد بذلت جهدي، فإن أحسنت فمن الله وإن أسأت فمن نفسي، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر

القرآن الكرم.

التوراة.

إبراهم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط.

ابن الأثير، المبارك محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ، دار الصدر، بيروت، 1965م.

أحمد بهجت: أنبياء الله، دار الشروق، ط4، 1977م.

أحمد عبد الوهاب: النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1992م.

: تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، مكتبة وهبة، مصر، ط1، 1989م.

الأشقر، محمد سليمان: زبدة التفسير من فتح القدير، دار الفتح ودار النفائس، عمان، ط5، 1994م.

الألباني، محمد ناصر الدين: صحيح سنن ابن ماجة، تعليق زهير الشاويش، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، والمكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م.

: صحيح سنن الترمذي، تعليق زهير الشاويش، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، والمكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م.

: سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف للنشر والتعارف والتوزيع، ط1، 1996م.

الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الفكر، 1987م.

الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: **تفسير البحر المحيط**، دراسة وتحقيق مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1999م.

باجودة، حسن: **تأملات في سورة الأعراف**.

البار، محمد علي: **المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم**، دار القلم والدار الشامية، ط1، 1990م.

: **الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم**، دار القلم والدار الشامية، ط1، 1990م.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل: **صحيح البخاري**، حقق أصولها الشيخ عبد العزيز بن باز، دار الفكر، 1994م.

البروسوي، إسماعيل حقي: **تنوير الأزهار في تفسير روح البيان**، إختصار وتحقيق الشيخ محمد علي الصابوني، دار الصابوني، ط1، 1988م.

البستاني، عبد الله الوافي: **معجم وسيط اللغة العربية**، مكتبة لبنان، ط2، 1980.

البغوي، الحسين بن مسعود البغوي: **تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل**، دار الكتب العلمية، بيروت ط1.

البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر: **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تخريج عبد الرازق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م.

بوكاي، موريس: **دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة**، دار المعارف، لبنان، ط4، 1977م.

: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة نخبة من الدعاة، دار الكندي،

بيروت، ط1، 1978م.

البيضاوي، سعيد وآخرون: دراسات في الأديان والفرق، دار الاتحاد، الأردن، ط1، 1990.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف

بتفسير البيضاوي، مؤسسة شعبان، بيروت.

البيضاوي والنسفي والخازن وابن عباس: ضمن كتاب مجموعة من التفاسير، دار إحياء التراث

العربي، بيروت.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي: الأسماء والصفات، دار إحياء التراث العربي،

بيروت.

بيومي، محمد، القصص القرآني: دروس وعبر للدعوة والدعاة، مكتبة الإيمان، مصر، ط1،

1999م.

تعيلب، عبد المنعم أحمد: فتح الرحمن في تفسير القرآن، دار السلام، ط1، 1995م.

الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف: تفسير الثعالبي، المسمى بالجواهر الحسان في

تفسير القرآن، تحقيق أبو محمد الغماري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996م.

جابر الشال: قصص النساء في القرآن، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

جاد المولى: محمد أحمد، قصص القرآن، تحقيق محمد علي الشقيري، مكتبة دار الثقافة، عمان،

1997م.

الجبالي، أبو محمد: قصص الأنبياء في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب، دار اليوسف، بيروت،

ط1، 1998.

الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد: زاد المسير في علم التفسير،
تخريج أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، 1997م.

الحاوي، محمد بن عمر نووي: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، ضبط محمد أمين
الضناوي، دار الكتب العلمية، ط1، 1997م.

الجوزية، ابن قيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي، تحفة المودود بأحكام المولود، تقديم
محمد سويد، المكتب العالمي للطباعة والنشر، بيروت، 1995.

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق الشيخ عادل احمد عبد
الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1995م

فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، ط1، 1989م.

حسين فرح زين الدين: التحنيط، دار الفكر العربي.

حمدي بن محمد نور الدين آل نوفل: قصص القرآن، مكتبة الصفا، ط1، 2002م.

الحمصي، أحمد فايز: قصص الرحمن في ظلال القرآن، وما بعدها، مؤسسة الرسالة، ط1،
1995.

الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار
الكتب العلمية، بيروت.

حوى، سعيد: الأساس في التفسير، دار السلام، ط1، 1989م.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم: تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني
التنزيل، دار الفكر بيروت.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، ط1،
1998م.

: مع قصص السابقين في القرآن، دار القلم، دمشق، ط2، 1996م.

: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، دار النفائس،

الأردن، ط1، 1997.

الخضري، محمد صالح: منهج الدعاة إلى الله في رحاب سورة الكهف والقصص، تقديم أحمد حسن فرحات وعبد الستار أبو غده، دار النفائس، الأردن، ط1، 1998م.

خطاب، عبد المعز: عشرون امرأة في ضوء القرآن، دار الاعتصام، القاهرة.

خطاب، محمود شيت: المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم، دار الفتح بيروت، ط1، 1966م.

الخطيب، عبد الكريم: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1975م.

الخولي، محمد علي: اليهود من كتابهم، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1998م.

: التحريف في التوراة، دار الفلاح للنشر والتوزيع، ط1، 1999م.

دار المنهل، موسوعة الكتاب المقدس، إصدار دار المنهل، بيروت، 1993م.

الدامغاني، الحسين بن محمد: قاموس القرآن أو ما يسمى بإصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق عبد العزيز سيّد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1997م.

أبو داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: سنن أبي داوود، تعليق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى.

الداودي، محمد بن علي بن أحمد: طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة ط2، 1994م.

الذهبي، محمد حسين: التفسير والمفسرون، ط2، 1976م.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر: التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م.

: مختار الصحاح، عناية يوسف الشيخ محمد، المكتبة

العصرية، بيروت، ط4، 1998م.

رضا، محمد رشيد: تفسير القرآن الكريم المعروف بتفسير المنار، دار المنار، مصر، ط4،

1373هـ.

الزحيلي، وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت،

ودار الفكر، دمشق، ط1، 1991م.

الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي: الكشاف عن حقائق التنزيل

وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، دار الفكر، ط1، 1977م.

زنون كوسيد وفسكي: الأسطورة والحقيقة في التوراة، ترجمة د. محمد مخلوف، دار الأهالي

للطباعة والنشر، ط1، 1996م، بتصرف.

الزيادي، محمد منير: الرسالة وبنو إسرائيل، (اليهودية)، 1991م.

الزين، سميح عاطف: مجمع البيان الحديث، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، دار الكتاب

اللبناني ودار الكتاب المصري، ط1، 1980م.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مراجعة علاء

السعدي، دار الفكر، 1995.

السعدي، غازي: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، وما بعدها، دار الجيل، عمان،

ط1، 1994م.

السقا، أحمد حجازي: نقد التوراة، أسفار موسى الخمسة، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، 1976م.

السقا، ألكار: إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، مكتبة مدبولي، مصر، ط2، 1997م.

أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي: تفسير أبي السعود، ترتيب عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999م.

أيوب، سعيد: الإنحرافات الكبرى للقري الظالمة في القرآن الكريم، وما بعدها، دار الهادي، بيروت، ط1، 1992م.

الصالح، السيد سعد الدين: العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، مكتبة الصحابة، جده، ومكتبة التابعين، القاهرة، ط2، 1416هـ.

السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن الكمال وجمال الدين محمد بن أحمد: تفسير الجلاليين، تقديم محمد كريم راجح، دار القلم.

الشامي، رشاد عبد الله: إشكالية الهوية في إسرائيل، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997م.

الشريفة، محمد حافظ، وغوراني، عمر بن الخالق: الطائفة السامرية، ط1، 1994م.

الشعراوي، محمد متولي: تفسير الشعراوي، طباعة دار أخبار اليوم.

الشنطي، عماد الدين عبد الله: اليهودية والمسيحية في الميزان، دار المنارة، ط1، 2004م.

الشوكاني، محمد علي بن محمد: فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، راجعه وعلق عليه هشام البخاري و نصر عكاوي، المكتبة العصرية، صيدا،

ط1، 1997م.

الشَّيبَانِي، أحمد بن حنبل أبو عبد الله: مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1999م.

الصابوني، محمد علي: صفوة التفاسير، دار الصابوني، ط9.

طبارة، عفيف عبد الفتاح: مع الأنبياء في القرآن الكريم قصص ودروس وعبر من حياتهم، مطبعة دار الكتب، ودار العلم للملايين.

: اليهود في القرآن الكريم، مراجعة شريف خليل سكر وحسين

يوسف غزال، مطابع دار الكتب، بيروت، ط1، 1966م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر.

: جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير

الطبري، تخريج صدقي جميل العطار، دار الفكر، 1995م.

طهماز، عبد الحميد محمود: الأسباب والمسببات في سورة الرعد والدعوة والهداية في سورة إبراهيم، دار القلم، دمشق والدار الشامية، بيروت ط1، 1994م.

: سبيل السعادة في سورة طه وكلمة التوحيد وأمة التوحيد في

سورة الأنبياء، دار القلم والدار الشامية، ط1، 1994م.

الإحسان بين التقدير والتكليف في سورة يونس، دار القلم، دمشق، ودار العلوم، بيروت، ط1، 1989م.

عباس، فضل حسن: القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط2، 1992م.

عبد الأمير، علي مهنا: لسان اللسان، تهذيب لسان العرب، لابن منظور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م.

عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، ط4، 1994م.

عبد الجليل، عيسى، تيسير التفسير، ط1، 1958.

قاسم، عبد الستار: إبراهيم والميثاق مع بني إسرائيل في التوراة والإنجيل والقرآن، الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، القدس، 1994.

العديوي، محمد أحمد: دعوة الرسل إلى الله تعالى، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1979.

فتاح، عرفات: اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، دار عمار، الأردن، ودار البيارق، بيروت، ط1، 1997م.

العفاني، سيد حسين: روضة الناظر ونزهة الحاضر في الجزاء من جنس العمل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، 1996م.

علوان، عبد الله: تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام، ط2، 1978م.

وافي، علي عبد الواحد: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، دار نهضة مصر، القاهرة.

فكري، علي: أحسن القصص، دار الكتب العلمية، بيروت ط7، 1979م.

عمارة، محمود محمد: فقه الدعوة من قصة موسى عليه السلام، مكتبة الإيمان، مصر، ط1، 1997م.

عميره، عبد الرحمن: دقائق لغة القرآن في تفسير ابن جرير الطبري، عالم الكتب، ط1، 1992م.

الفتياني، تيسير المحجوب: الحوار القرآني في قصة موسى عليه السلام، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، ط1، 2004م.

موسى، فرح: الأنبياء والمترفون في القرآن، دار الهدى، بيروت، ط1، 1997.

فوده، عبد الرحيم: قصة بني إسرائيل من معاني القرآن، الدار القومية للطباعة والنشر.

الفيومي، أحمد بن محمد: المصباح المنير، المكتبة العصرية، ط2، 1997م.

خضر، قاسم توفيق: شخصية فرعون في القرآن، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2003م.

القاسمي، محمد جمال الدين: تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، ط2، 1978م.

ابن قتيبه، أبو محمد عبد الله بن مسلم: تفسير غريب القرآن، تحقيق أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، 1958م.

القرضاوي، يوسف: الصبر في القرآن الكريم، وما بعدها، مؤسسة الرسالة، ط2، 1984م.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لإحكام القرآن، دار الكتب العلمية، 1993م.

قطب، سيد: في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط7، 1971م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: قصص الأنبياء، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، مكتبة دار الثقافة، ط5، 1996م.

: البداية والنهاية، دار الرشيد، حلب.

: تفسير القرآن العظيم، دار إحياء الكتب العلمية.

كشك، عبد الحميد: المستكبرون والمستضعفون في القرآن الكريم، دار المختار الإسلامي، مصر.

الكيالي، عبد الوهاب: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1983م.

سعد الدين، ليلى حسن: مثل الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا، دار الفكر، عمان، ط1، 1984م.

ماستر فيديا: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، التقريب والجمع التصويري والمونتاج والأعمال الفنية شركة ماستر فيديا، حلوان، مصر.

المراعي، أحمد مصطفى: تفسير المراعي، دار إحياء التراث، بيروت، ط3، 1974م.

مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، ط3، 1983م.

المسيري، عبد الوهاب: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1999م.

إبن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار الفكر، بيروت، ط3، 1994.

الميداني، حبنكة عبد الرحمن: العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ط7، 1994.

النجار، عبد الوهاب: قصص الأنبياء، مؤسسة الحلبي للطباعة والنشر.

النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي: تفسير غرائب القرآن، ورغائب الفرقان، ضبط تخريج الشيخ زكريا عميرات، ط1 دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود: تفسير القرآن الجليل المسمّى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، المكتبة الأموية، دمشق.

هداب، محمد أحمد: **المرأة في القصص القرآني**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين 2003م.

الواحي، أبو الحسن علي بن أحمد: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق صفوت عدنان اوودي، دار القلم، والدار الشامية، ط1، 1997م.

اليزيدي، أبو عبد الرحمن عبد الله بن يحيى المبارك، **غريب القرآن وتفسيره**، تحقيق محمد سليم، عالم الكتب، ط1، 1985م

اليقوبي، أحمد بن يعقوب بن جعفر العباسي: **تاريخ اليعقوبي**، دار صادر، بيروت، 1960م.

فهرس الآيات

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
1.	[يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا يَعْمَقِي]	40	البقرة	135، 96
2.	[وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ]	45	البقرة	108
3.	[وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ]	61	البقرة	136
4.	[وَأَلِ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ]	33	آل عمران	98
5.	[إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ]	116	النساء	67
6.	[وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا]	164	النساء	19
7.	[وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ]	12	المائدة	136
8.	[فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ]	13	المائدة	136
9.	[فَأَذَهَبَ آتَى وَرَبِّيَ فَاقْبَلَهُ]	24	المائدة	136
10.	[وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوهُمَا]	38	المائدة	63
11.	[لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ]	103	الأنعام	165
12.	[وَقَالَ مُوسَى يُفْرِعُونَ إِنِّي رَسُولُ]	104	الأعراف	75، 13
13.	[حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ]	105	الأعراف	75، 13، 159، 141
14.	[إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ]	113	الأعراف	83
15.	[قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُفْرِقِينَ]	114	الأعراف	83
16.	[وَأَلْقَى السَّحَرَةَ سَجِيدِينَ]	120	الأعراف	120، 85
17.	[قَالُوا ءَأَمْنَا رَبِّ الْعَالَمِينَ]	121	الأعراف	85
18.	[رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ]	122	الأعراف	86
19.	[إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُمْ]	123	الأعراف	85
20.	[وَقَالَ التَّلَاةُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ]	127	الأعراف	88، 87
21.	[قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ]	128	الأعراف	94، 20، 130
22.	[أَوْذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا]	129	الأعراف	94، 87، 86، 123
23.	[وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالْبَنِينِ]	130	الأعراف	97، 134، 150
24.	[فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا]	131	الأعراف	100

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
.25	[فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ]	133	الأعراف	97،98، 134، 112
.26	[وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ]	134	الأعراف	99،97، 124،
.27	[فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ]	135	الأعراف	124، 99
.28	[قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مَّجْهُلُونَ]	138	الأعراف	161، 20
.29	[قَالَ لَنْ تَرِنِي]	143	الأعراف	70
.30	[قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي أُصْطَفِيتُكَ]	150	الأعراف	67، 19
.31	[قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَا وَجَدْنَا]	78	يونس	81
.32	[فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ]	83	يونس	94
.33	[وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا]	87	يونس	130، 95
.34	[وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ]	88	يونس	102
.35	[قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا]	89	يونس	102
.36	[وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ]	90	يونس	149، 15
.37	[ءَالْقِنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ]	91	يونس	149، 15
.38	[قَالِيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَبْكٍ لِّتَكُونَ]	92	يونس	150، 15، 167
.39	[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا]	96	هود	151
.39	[إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ]	97	هود	151
.40	[يَتَقَدَّمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]	98	هود	151
.41	[فِي هِنْدِهِ لَعْنَةٌ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ]	99	هود	151
.42	[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا]	4	إبراهيم	126
.43	[وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَاتِ]	101	الإسراء	169، 96
.44	[وَأَذْكُرُ فِي إِلِكْتَابِ مُوسَىٰ]	51	مريم	134، 18، 137
.45	[وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا]	53	مريم	137، 41
.46	[وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا]	64	مريم	61
.47	[وَمَا يُنَبِّئُ لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وُلْدًا]	92	مريم	62
.48	[فَلَمَّا أَتَتْهَا نُوْدَىٰ يَمُوسَىٰ]	11	طه	42

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
.49	[إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ]	12	طه	42
.50	[وَأَنَا أَخَذْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ]	13	طه	42
.51	[إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا]	14	طه	44، 14
.52	[فَأَعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي]	15	طه	42
.53	[وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ]	17	طه	59
.54	[قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا]	18	طه	59
.55	[قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ]	21	طه	43
.56	[وَأَضْمَمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ]	22	طه	59
.57	[لِيُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ]	23	طه	79، 46، 8
.58	[أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ]	24	طه	59، 43، 126
.59	[قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي]	25	طه	44، 43
.60	[وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي]	26	طه	44
.61	[وَأَخْلَلْ عُقَدَةَ مِنَ لِسَانِي]	27	طه	60، 44
.62	[يُفْقَهُوا قَوْلِي]	28	طه	63، 62، 44، 144
.63	[وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي]	29	طه	44
.64	[هَارُونَ أَخِي]	30	طه	44
.65	[أَشَدُّ بِمَنِي أَرْزَىٰ]	31	طه	44
.66	[وَأَشْرَكُهُ فِي أَمْرِي]	32	طه	44
.67	[قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ]	36	طه	71، 45
.68	[وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ]	37	طه	71، 45
.69	[إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ]	38	طه	71، 45
.70	[أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ]	39	طه	66، 45
.71	[إِذْ تَمَنَّىٰ أَخِثَلْكَ فَتَفُوقْ]	40	طه	71، 45
.72	[وَأَصْطَبَعْتَنكَ لِتَفْسِي]	41	طه	71، 46
.73	[أَذْهَبًا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ]	43	طه	79
.74	[فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا]	44	طه	79
.75	[قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَقْرَأَ]	45	طه	45

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
.76	[فَأَتِيَاهُ فُقُولًا إِنَّا رَسُولًا رَّبِّكَ]	47	طه	59، 75، 122، 142، 159
.77	[إِنَّا قَدْ أُوْحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ]	48	طه	75
.78	[فَقَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي]	52	طه	78
.79	[الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا]	53	طه	78
.80	[كُلُوا وَأَرْعُوا أَنْعَمَكُمْ]	54	طه	78
.81	[مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ]	55	طه	78، 167
.82	[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْنَا كَلِّهَا]	56	طه	27، 30، 82، 167
.83	[قَالَ أَجِئْنَا لِتُخْرِجَنَا]	57	طه	82
.84	[قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ]	58	طه	82
.85	[فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ]	59	طه	82
.86	[فَتَتَّبِعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ]	62	طه	83
.87	[قَالُوا إِن هَذَا نَسْجَرٌ]	63	طه	83
.88	[قَالُوا يَمْوَسِيَّ إِمَّا أَنْ تَلْقَى]	65	طه	84
.89	[قَالَ بَلْ أَلْقُوا]	66	طه	84
.90	[فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى]	67	طه	84، 127
.91	[فَلَمَّا لَا تَخَفْ إِلَّا كَأَنَّكَ ادَّتِ الْأَعْلَى]	68	طه	127
.92	[وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا]	69	طه	127
.93	[فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا]	70	طه	85
.94	[قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ]	71	طه	86
.95	[قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا]	72	طه	86
.96	[إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا]	74	طه	86
.97	[وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ]	77	طه	10، 147
.98	[فَأَتَتْهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُودِهِ]	78	طه	148، 160، 166
.99	[وَأَصْلَ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى]	79	طه	31، 148، 179، 185

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
.100	[قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا]	87	طه	161
.101	[اللَّهُ يَضْطَرُّ مِنْ الْمَلَكَةِ]	75	الحج	18
.102	[قَوْمٌ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ]	11	الشعراء	48
.103	[قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ]	12	الشعراء	71، 45
.104	[وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي]	13	الشعراء	72
.105	[وَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ]	14	الشعراء	72، 45
.106	[قَالَ فَعَلَّيْهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ]	18	الشعراء	76، 56، 11، 61
.107	[وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْبِئْسَ فَعَلْتَ]	19	الشعراء	76، 11، 86
.108	[قَالَ فَعَلَّيْهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ]	20	الشعراء	76
.109	[فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ]	21	الشعراء	76
.110	[وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ]	22	الشعراء	76
.111	[قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ]	27	الشعراء	78، 14، 125
.112	[قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ]	28	الشعراء	79، 77
.113	[قَالَ لَيْنِ أَخَذْتُ لِنَهْأِ غَيْرِي]	29	الشعراء	79، 29، 13، 120
.114	[قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ]	30	الشعراء	127، 79، 128
.115	[قَالَ فَأْتِ بِمَاءٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ]	31	الشعراء	128، 127
.116	[فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ]	32	الشعراء	80، 12، 124، 127
.117	[وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ]	33	الشعراء	80، 12، 125
.118	[قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ]	34	الشعراء	125، 14
.119	[يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ]	35	الشعراء	81، 81
.120	[قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَتَّبِعْ]	36	الشعراء	82، 81
.121	[يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سَخَارٍ عَلِيمٍ]	37	الشعراء	82، 80
.122	[قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُفْرَبِينَ]	42	الشعراء	21

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
.123	[فَأَلْقُوا جِبَاهَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ]	44	الشعراء	84
.124	[فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُدُجِدِينَ]	46	الشعراء	143، 138
.125	[فَالْتُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ]	47	الشعراء	138
.126	[رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ]	48	الشعراء	138
.127	[وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ]	52	الشعراء	10
.128	[فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ]	53	الشعراء	145، 144، 160
.129	[إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ]	54	الشعراء	160، 144، 181
.130	[وَأَنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ]	55	الشعراء	160، 144، 181
.131	[وَأِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ]	56	الشعراء	160، 144
.132	[فَأَخْرَجْنَهُمْ مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ]	57	الشعراء	160، 145
.133	[وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ]	58	الشعراء	160، 145
.134	[كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ]	59	الشعراء	160، 145
.135	[فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ]	60	الشعراء	160، 145
.136	[فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ]	61	الشعراء	146، 22، 160
.137	[قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي]	62	الشعراء	146، 22، 161
.138	[فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ]	63	الشعراء	168، 153، 172
.139	[وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ]	12	النمل	96
.140	[وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ]	14	النمل	96
.141	[طسّم]	1	القصص	35، 11
.142	[تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ]	2	القصص	35، 11
.143	[تَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ مُوسَىٰ]	3	القصص	35، 11
.144	[إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ]	4	القصص	25، 11، 4، 35، 27

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
.145	[وَأُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ]	5	القصص	132
.146	[وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ]	6	القصص	143، 132
.147	[وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ]	7	القصص	65، 33، 35، 148
.148	[فَأَلْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ]	8	القصص	38، 36
.149	[وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ]	9	القصص	36، 35، 33، 65
.150	[وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا]	10	القصص	55، 35، 33
.151	[وَقَالَتْ لِأُخْتَيْهِ فَصِيهِ]	11	القصص	55، 36، 33
.152	[وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ]	12	القصص	55، 36، 33
.153	[فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا]	13	القصص	55، 36
.154	[وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ]	14	القصص	37
.155	[وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ]	15	القصص	67، 38
.156	[قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي]	16	القصص	67، 38
.157	[فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ]	18	القصص	38
.158	[فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ]	19	القصص	38
.159	[وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ]	20	القصص	67
.160	[خَرَجَ مِثًا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ]	21	القصص	58
.161	[وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ]	22	القصص	58
.162	[وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ]	23	القصص	58، 40
.163	[فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِ]	24	القصص	40
.164	[فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي]	25	القصص	40
.165	[قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ]	26	القصص	58، 39، 21
.166	[قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ]	27	القصص	40
.167	[فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ]	29	القصص	69، 41، 40
.168	[فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَظِيئِ]	30	القصص	69، 41
.169	[وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ]	31	القصص	43
.170	[قَالَ سَتَشِدُّ عَضُدَكَ بِأُخِيكَ]	35	القصص	146
.171	[وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ]	38	القصص	104، 25

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
				148،
.172	[وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ]	39	القصص	150
.173	[فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ]	40	القصص	152
.174	[وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرِيِّ]	44	القصص	77، 41
.175	[إِنَّ قُرُونَ كَارَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى]	76	القصص	137، 104
.176	[وَأَتَّبِعْ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ]	77	القصص	106، 105
.177	[قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي]	78	القصص	106
.178	[فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ]	79	القصص	104
.179	[لِحَسْفَنًا بِهِمِ وَيَدَارِهِ الْأَرْضَ]	81	القصص	107
.180	[تِلْكَ آدَارُ الْأَخِرَةِ لِيَجْزِيَهَا]	83	القصص	107
.181	[وَقُرُونًا وَفَرَعُونَ وَهَمَمَنَ]	39	العنكبوت	104
.182	[فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ]	40	العنكبوت	96
.183	[وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا]	69	الأحزاب	19
.184	[وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَاهِدِينَ]	99	الصافات	141
.185	[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا]	23	غافر	108، 104
.186	[إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَمَنَ وَقُرُونًا]	24	غافر	91، 104، 108
.187	[وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرِّيَّتِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ]	26	غافر	92، 87، 30، 132، 130
.188	[وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي]	27	غافر	92، 87
.189	[وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ]	28	غافر	89، 88
.190	[يَنْقُومِ لَكُمْ أَلْمَلِكُ الْيَوْمَ]	29	غافر	90، 81، 30، 137، 91
.191	[وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقُومِ إِنِّي أَخَافُ]	30	غافر	91
.192	[وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ]	34	غافر	93
.193	[وَوَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَمُنُ ابْنِ]	36	غافر	137
.194	[وَقَالَ الَّذِي ءَامَرَ يَنْقُومِ]	38	غافر	92

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
.195	[مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُحْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا]	40	غافر	105
.196	[وَيُنْفِقُوا مِمَّا لَمْ يَأْذَنُوا لَكُمْ إِلَى النَّجْوَى]	41	غافر	93
.197	[تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ]	42	غافر	93
.198	[لَا جِرْمَ أَنْتُمْ تَدْعُونِي إِلَيْهِ]	43	غافر	93
.199	[فَوَقِنَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا]	45	غافر	93
.200	[لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ]	11	الشورى	165، 60
.201	[فَلَمَّا جَاءَهُمْ بَيِّنَاتٌ إِذَا]	47	الزخرف	99
.202	[وَمَا تُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ]	48	الزخرف	99
.203	[وَتَادِي فِرْعَوْنَ فِي قَوْمِهِ]	51	الزخرف	100
.204	[أَمْرًا أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ]	52	الزخرف	14، 100
.205	[فَلَوْلَا أَلْفَىٰ عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ]	53	الزخرف	101، 100
.206	[فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ]	54	الزخرف	101، 25، 113
.207	[فَلَمَّا آسَفُونَا انتقمنا منهم]	55	الزخرف	152، 148
.208	[فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ]	56	الزخرف	152، 148
.209	[وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ]	17	الدخان	95
.210	[أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ]	18	الدخان	95
.211	[فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَبْ لِي قَوْمًا مُّجْرِمِينَ]	22	الدخان	95
.212	[فَأَسْرَبِي بِيَادِي لَيْلًا]	23	الدخان	164، 143
.213	[وَأَتْرَكِ الْبَحْرَ رَهْوًا]	24	الدخان	165، 147
.214	[فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ]	35	الأحقاف	20
.215	[إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ]	13	الحجرات	71
.216	[إِلَّا ءَالَ لُوطٍ]	34	القمر	98
.217	[وَلَقَدْ جَاءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ]	41	القمر	98
.218	[مِثْلَ الَّذِينَ حَمَلُوا الصَّوَارِيزَ]	5	الجمعة	136
.219	[لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]	12	الطلاق	131
.220	[إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْأَيْدِ الْأَيْدِ الْأَيْدِ]	16	النازعات	41
.221	[أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ]	17	النازعات	126

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
.222	[فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبَ]	18	النازعات	126
.223	[وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ]	19	النازعات	126
.224	[فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ]	24	النازعات	26، 29، 129

فهرس الأحادسث

الصفحة	طرف الحدسث	الرقم
7	أرسل ملك الموت إلى موسى	1
149	إن الله عز وجل ليقبل توبة العبد	2
9	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة	3
12	سألني يهودي من أهل الحيرة	4
96	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى...	5
12، 9	كمل من الرجال كثير	6
149	لمّا أغرق الله فرعون قال جبريل	7
7	مررت ليلة أسري بي على موسى بن عمران	8

فهرس التراجم والأعلام

1- ابن الأثير: المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجرزي، أبو السعدات، مجد الدين، المحدث اللغوي الأصولي، ولد عام (544هـ) في جزيرة ابن عمر، ونشأ فيها، ثم انتقل إلى الموصل واتصل بصاحبها، فكان من أخصائه، أصيب بمرض النقرس، فبطلت حركة يديه ورجليه، ولازمه المرض إلى أن توفي في إحدى قرى الموصل عام (606هـ)، قيل إن تصانيفه كلها ألفها في زمن مرضه إملأً على طلبته، وهم يعينونه بالنسخ والمراجعة، من كتبه: "النهاية في غريب الحديث"، و"الكامل في التاريخ"، و"جامع الأصول في أحاديث الرسول"، و"الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف"، و"المختار في مناقب الأخيار" و"تجريد أسماء الصحابة"، وغيرها من المؤلفات⁽¹⁾.

2- الألويسي: (1217-1270هـ)، محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، شهاب الدين، أبو النشاء، مفسر محدث، أديب من المجددين، ولد في بغداد ومات فيها، كان سلفي الاعتقاد مجتهداً، تولى الإفتاء ببلده، ثم عزل، فانقطع للعلم، سافر إلى الموصل فالأستانة، ومر بماردين وسيواس، فغاب واحداً وعشرين شهراً، ثم عاد إلى بغداد يدون رحلاته، ويكمل ما قد بدا به من مصنفاته، واستمر على ذلك إلى أن توفي رحمه الله، من كتبه: "روح المعاني" في التفسير و"تنشئة الشمول في السفر إلى اسلامبول" تحدث فيه عن رحلته إلى الأستانة و"كشف الطرّة عن الغرة" وغيرها⁽²⁾.

3- البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله، حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، أصح كتاب على وجه الأرض بعد القرآن الكريم، ومن مصنفاته "التاريخ" و"خلق أفعال العباد"، وغيرها، ولد في بخارى سنة (194هـ)، ونشأ يتيماً، قام برحلة طويلة في طلب علم الحديث، فزار خراسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، وجمع

(1) الزركلي، خير الدين، الأعلام، قاموس تراجم، أشهر الرجال والنساء فيه العرب والمستعربين والمستشرقين، (451/5)، دار العلم للملايين، بيروت، ط 6، 1984م.

(2) المصدر السابق، (177/7).

نحو ستمائة ألف حديث، إختار منها في صحيحه ما وثق بروايته وفق شروطه، توفي في "خزنتك" من قرى سمرقند سنة (256هـ)⁽³⁾.

4- البغوي: الحسين بن مسعود بن محمد، أبو محمد، أو من يلقب بان الفراء، ويلقب بمحيي السنة، ولد عام 433هـ وارتحل إل مرو الروذ، فتققه على يد شيخ الشافعية القاضي الحسين بن محمد المروزودي، فأنتقن المذهب وصنف فيه كتاب "التهذيب".

ثم بلغ درجة الإجتهد، وهو فقيه محدث ومفسر له غير التهذيب "شرح السنة في الحديث" وكتاب "الباب التأويل في معالم التنزيل"، و"مصابيح السنة"، و"الجمع بين الصحيحين"، وغير ذلك توفي بمرور الروذ عام (510هـ)⁽¹⁾.

5- البقاعي: (809-885هـ). إبراهيم بن عمر بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين، مؤرخ أديب، أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، توفي بدمشق، له من المصنفات "عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران" و"الأنس الجليل" و"الدرر الكامنة" و"غاية النهاية" و"نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" وغيرها الكثير الكثير⁽²⁾.

6- الثعالبي: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، أبو زيد، مفسر من أعيان الجزائر، ولد سنة (786هـ)، زار تونس والمشرق، توفي سنة (875هـ)، من كتبه "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" و"الأنوار في المعجزات النبوية" و"روضة الأنوار" و"نزهة الأخيار"، و"الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز"⁽³⁾.

7- الحموي: ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، من علماء الجغرافيا واللغة، أسر صغيراً من بلاد الروم، وابتاعه ببغداد تاجرٌ اسمه عسكر بن إبراهيم الحموي، فربّاه وعلمه وشغله

(3) المصدر السابق، (6/ 242)

(1) المصدر السابق، (2/ 459).

(2) المصدر السابق (1/ 15).

(3) الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، م2، ص(247-248)، ط2، 1976م.

بالإتجار في تجارته ثم أعتقه، فرحل رحلة واسعة انتهت به إلى مرو بخراسان، ثم انتقل إلى خوارزم وبقي فيها إلى خروج النتر، من أهم كتبه "معجم البلدان" توفي في حلب عام (626هـ)⁽⁴⁾.

8- أبو داوود: (202هـ - 275هـ) سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، إمام أهل الحديث في زمانه، أصله من سجستان، رحل رحلة كبيرة في طلب العلم وتوفي بالبصرة، له من المصنفات: "سنن أبي داوود" و "المراسيل" وكتاب "الزهد" وغيرها⁽⁵⁾.

9- الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصبهاني أو الأصفهاني المعروف بالراغب، أديب من الحكماء العلماء من أهل أصبهان، سكن بغداد واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، من كتبه "محاضرات الأدباء" و"المفردات" و"الأخلاق" و"جامع التفاسير" وتفصيل النشأتين⁽⁶⁾.

10- الزمخشري: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد، العلامة أبو القاسم الزمخشري النحوي اللغوي المعتزلي، المفسر، يلقب جار الله لأنه جاور مكة زماناً، ولد في زمخشر من قرى خوارزم عام (467هـ)، تنقل في البلدان، كان واسع العلم، كثير الفضل، غاية في الذكاء وجودة القريحة، متفنناً في كل علم، معتزلياً قوياً في مذهبه مجاهراً به، داعياً إليه، علامة في الأدب والنحو، توفي في الجرجانية من "قرى خوارزم" سنة (538هـ) له كثير من التصانيف البديعة منها "الكشاف" في التفسير، و"الفائق" في غريب الحديث، و"أساس البلاغة"، وغيرها من المصنفات⁽¹⁾.

(4) الزركلي، الأعلام، (246/8) مرجع سابق.

(5) المصدر السابق (220/2)

(6) المصدر السابق (220/2)

(1) الداودي، محمد بن علي بن أحمد، طبقات المفسرين، (314/2-315) تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة ط2، 1994م. (2) الزركلي، الأعلام، (91/6)، مرجع سابق.

11- الطبري: محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر، المفسر، المؤرخ الإمام، ولد في أمل طبرستان سنة 224هـ واستوطن بغداد عرض عليه القضاء والمظالم فأبى، وهو من المؤرخين الثقات قال ابن الأثير: أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ، وهو أول من كتب في التفسير بالمأثور مما يدل على علمه العزيز، كان مجتهداً في الدين، لا يقلد أحداً بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه، له مؤلفات كثيرة منها: "جامع البيان في تفسير القرآن" المعروف "بتفسير الطبري"، وكتاب "أخبار الرسل والملوك" المعروف "بتاريخ الطبري" توفي سنة 310هـ⁽¹⁾.

12- ابن عباس: (3ق هـ - 68هـ) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، حبر الأمة، الصحابي الجليل، ولد بمكة، ونشأ في بدء عصر النبوة، فلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروى عنه الحديث، وشهد مع علي الجمل وصفين، وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف وتوفي بها، له في الصحيحين وغيرهما 1660 حديثاً، وكان كثيراً ما يجعل أيامه للفقهِ والعلم، وكان عمر إذا أعضلت عليه مسألة في الفقه والعلم، يدعوه ويقول له: أنت لها، وكان آية في الحفظ، وينسب إليه كتاب في تفسير القرآن، جمعه بعض أهل العلم في مرويات المفسرين عنه في كل آية فجاء تفسيراً حسناً⁽²⁾.

13- العسقلاني: أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين، ابن حجر، من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان بفلسطين، ومولده بالقاهرة سنة 773هـ كان في بداية حياته مولعاً بالأدب والشعر، ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن، والحجاز، وغيرها لسماع الشيوخ ثم ما لبث أن ذاع صيته فقصده الناس للأخذ عنه، وأصبح حافظ الإسلام في عصره، قال السخاوي: إنتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك، وكتبها الأكابر، ولي القضاء بمصر مرّات، ثم اعتزل، مات بالقاهرة سنة 852هـ، أما مصنفاته

(3) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، الاصابة في تمييز الصحابة، (121/4)، تحقيق الشيخ عادل احمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان، ط(1)، 1995م.

فكثيرة جلييلة منها، "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، و"الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة" و"الإصابة في تميز الصحابة"، و"تقريب التهذيب" وغيرها⁽¹⁾.

14- الفخر الرازي: محمد بن عمر بن الحسن التيمي البكري، أبو عبد الله القرشي، فخر الدين الرازي، من ذرية أبي بكر الصديق، الإمام المفسر، أوجد أهل زمانه في المعقول والمنقول، وهو قرشي النسب أصله من طبرستان، مولده في الري سنة 544هـ، وإليها نسبته، يقال له: ابن خطيب الري، رحل إلى خوارزم وإلى ما وراء النهر وخراسان، أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها، له مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم منها: "مفاتيح الغيب" المعروف "بتفسير الرازي"، و"المحصول في علم الأصول"، وغيرهما الكثير، وله شعر بالعربية والفارسية وكان واعظاً بارعاً باللغتين، توفي في هراة سنة 606هـ⁽²⁾.

15- القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي، الأندلسي أبو عبد الله القرطبي، من كبار المفسرين، كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين، من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقر بمدينة ابن خصيب في شمال أسبوط بمصر ربّما توفي في التاسع من شوال سنة إحدى وسبعين وستمئة، من مصنفاته: "الجامع لأحكام القرآن" المعروف "بتفسير القرطبي"، وله "شرح أسماء الله الحسنى" وكتاب "التذكار في أفضل الأذكار" وكتاب "التذكرة في أحوال الموتى و أمور الآخرة"⁽³⁾.

16- قطب: سيد بن قطب بن إبراهيم، مفكر إسلامي معاصر ولد سنة 1906م في قرية "موشا" في أسبوط، تخرج من كلية دار العلوم بالقاهرة عام 1934م، وعمل في جريدة الأيام، وعمل مدرساً للغة العربية، ثم موظفاً في ديوان وزارة المعارف ثم مراقباً فنياً للوزارة، إنضم للإخوان المسلمين، وترأس قسم نشر الدعوة وتولّى تحرير جريدتهم، ثم سجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها، وبقي في سجنه حتى صدر الأمر بإعدامه فأعدم عام 1966م،

(1) الزركلي، الأعلام، (62/1).

(2) الداودي، طبقات المفسرين، (214/2)، مرجع سابق.

(3) المصدر السابق، (66/2).

من كتبه "في ظلال القرآن" في التفسير، و"العدالة الإجتماعية في الإسلام"، و"التصوير الفني في القرآن" وغيرها⁽¹⁾.

17- ابن كثير (701-774هـ) إسماعيل بن عمر بن كثير، القرشي البصري الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين، حافظ مؤرخ فقيه، ولد في قرية من أعمال بصرة في الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة 716هـ، ورحل في طلب العلم، وتوفي بدمشق، تناقل الناس تصانيفه في حياته، من كتبه "البداية والنهاية" و"تفسير القرآن العظيم" المعروف "بتفسير ابن كثير" وغيرها⁽²⁾.

18- المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي، مفسر مصري، من العلماء، تخرج بدار العلوم سنة 1909م، ثم كان مدرس الشريعة الإسلامية فيها، وولي النظارة في بعض المدارس، وعيّن مدرساً للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم، له كتب منها "الحسبة في الإسلام" و"الوجيز في أصول الفقه" و"تفسير المراغي" و"علوم البلاغة"، توفي بالقاهرة عام 1952م⁽³⁾.

19- مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، أبو الحسن، حافظ وإمام من أئمة الحديث، ولد بنيسابور سنة 204هـ، رحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، أشهر كتبه "صحيح مسلم" جمع فيه عشرة آلاف حديث كتبها في خمسة عشرة سنة، وهو أحد الصحيحين المعولّ عليهما عند أهل السنة في الحديث وقد شرحه كثيرون من أشهرهم الإمام النووي، ومن كتبه "المسند الكبير"، و"الجامع والكنى" و"الأسماء" وغيرها⁽⁴⁾.

20- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين إبن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، الإمام اللغة الحجة من نسل رويغ بن ثابت الأنصاري، ولد بمصر سنة 630هـ، وقيل في طرابلس الغرب، خدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة ثم ولي القضاء في

(1) الزركلي، الأعلام، (269/3).

(2) الذهبي، التفسير والمفسرون، م1، ص(242)، مرجع سابق.

(3) الزركلي، الأعلام (94/1).

(4) المصدر السابق (233/6).

طرابلس، عمي في آخر عمره، وعاد إلى مصر، فتوفي فيها سنة 711هـ، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد أشهرها "لسان العرب" الذي جمع فيه أمهات كتب اللغة، فكاد يغني عنها جميعاً، ومن مؤلفاته "مختار الأغاني" و"سرور النفس بمدارك الحواش الخمسة لأولي الألباب"، وغيرها الكثير⁽¹⁾.

(1) المصدر السابق (103/7).

**AN- Najah National University
Faculty of Graduate Studies**

**Moses Story with Pharaoh
Between the Holy Koran and the Old TestEment**

**Prepared by
Nidal Abbas Jabber Dweikat**

**Supervisor
Dr. Mohammed Hafeth Ishreida**

*Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master
in Usol Ad-Din, Faculty of Graduate Studies at An-Najah National University,
Nablus, Palestine.*

2006

Moses Story with Pharaoh
Between the Holy Koran and the Old TestEment
Prepared by
Nidal Abbas Jabber Dweikat
Supervisor
Dr. Mohammed Hafeth Ishreida

Abstract

The title of this thesis is " Moses story with pharaoh between Holy koran and the old Testament" I have showed in this thesis the incidents and events of moses story with the tyrant pharaoh in the Holy Koran and the Old testament, and I have built a comparison of its events in both books, showing that the Old testament agrees with the Holy Koran in some aspects which are the general features of the story. But there is a great difference and contrast between the two books in the details of the story. In this research, I have also dealt with the many deviations acted by the jews that are deduced and inferred from mosses story. Among them, the Jewish point of view relating to the God and messengers, especilly epithet of Moses.

According to this research , it has been proved that the Holy Koran is a book without any futile at all, while the present old Testament has been distorted.

Moreover, I have made an index for topics, verses of the Holly Koran and another for Hadith, mentioned in this thesis. I have also included a biography of some disting uished researchers as needed. Furher- more , there is an index for references.

At last , I hope the God May Bless My study.

As He is responsive and the all – hearing.